وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر

مجلة دراسات تاريخية

دوريّة علميّة محكّمة

4 العدد الرابع يونيو 2020

تصدر عن
مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر
Aden Centre for Historical Studies, Research and publishing

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

رئيس مجلس الإدارة
أ. محمد سالم علي جابر

المدير العام
د. محمود علي السالمي

رئيس التحرير
أ.د. طه حسين هُديل

هيئة التحرير
أ.د. محمد عبد الله باوزير
أ.د. علي صالح الخلاقي
أ. مشارك. د. أحمد باطايع
أ. مشارك/ د عبدالحكيم العراشي

الهيئة الاستشارية الدولية للمجلة

أ. د. حسين عبد الرحمن باسلامة	(جامعة عدن)
أ. د. ناصر صالح حبتور	(جامعة عدن)
أ. د. عبد الله سعيد الجعيدي	(جامعة حضرموت)
أ. د. محمد سعيد داوُد	(جامعة حضرموت)
أ. د. حسين عبدالله العمري	(جامعة صنعاء)
أ. د. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع	(جامعة صنعاء)
أ. د. جمال محمود حجر	(جامعة الإسكندرية)
أ. د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس	(جامعة عين شمس)
أ. د. حسن خضيري أحمد	(جامعة جنوب الوادي مصر)
أ. د. عبد العزيز بن راشد السنيدي	(جامعة القصيم)
أ . د . سعيد بن عمر بن محمد آل عمر	(مدير جامعة الحدود الشمالية)
أ . د . عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد العبدالجبار	(جامعة الملك سعود)
أ. د. محمد كريم إبراهيم الشمري	(جامعة بابل)
أ. د. قصي منصور التركي	(جامعة دهوك)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

مجلة دراسات تاريخيّة
دوريّة علميّة محكّمة

مجلَّة دوريَّة علميَّة محكّمة يصدرها مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر
بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

العدد الرابع 2020م

توجه المراسلات والبحوث المقترحة للنشر، باسم رئيس التحرير على البريد
الإلكتروني للمجلة: hsj@aden.center
أو على عنوان مركز عدن للدراسات التاريخية والنشر، عدن، الشيخ عثمان،
شمسان مول، مكتب: 6 إيميل: info@aden.center

المواد المنشورة في المجلة لا تعبِّر إلَّا عن آراء أصحابها
ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلة أو رأي القائمين عليها

المجلة صادرة بقرار ترخيص رقم (1) من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
لعام 2019م وبرقم إيداع وطني : 1109 لعام 2019م

حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز إعادة نشر البحوث المنشور في المجلة أو أجزاء منها،
في أي وسيلة نشر، إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قواعد النشر في المجلة

1- أن يكون البحث في مجال التاريخ وعلومه، وأن يتسق عنوانه مع محتواه.
2- أن يكون متسماً بالأصالة والابتكار، والمنهجية العلمية، وأن يمثِّل إضافة نوعية في مجال المعرفة.
3- أن يكتب بلغة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية.
4- أن يكون ملتزماً بدقة التوثيق، وأن توثق قائمة المصادر والمراجع وترتب ترتيباً هجائياً في آخر البحث بطريقة التوثيق المتعارف عليها: اسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الجزء، اسم المحقق أو المترجم، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر.
5- أن تذكر الهوامش في أسفل الصفحات، وأن ترقم في كل صفحة ترقيماً تسلسلياً.
6- ألَّا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدِّم للنشر في أي جهة أخرى.
7- ألَّا تقل صفحات البحث الواحد عن 15 صفحة، وألَّا تزيد عن 30 صفحة، بما فيها الجداول والرسوم الخرائط والصور، إن وجدت.
8- أن يستخدم الباحث الخط الأسود Simplified Arabic بحجم 14 Normal، وبحجم 16 Bold في العناوين الداخلية.
9- أن يقوم الباحث بإجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين والأخذ بها، مع تعليل ما لم يتم الأخذ به.
10- قرار هيئة التحرير بشأن البحوث المقدمة للنشر نهائي، وتحتفظ الهيئة بحقها في عدم إبداء مبررات قراراتها بعدم النشر.
11- لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

مرفقات النشر

عند تقديم البحث للنشر يشترط الآتي:

1- أن يقدِّم الباحث طلباً كتابياً بنشر بحثه إلى رئيس تحرير المجلة. وأن يتعهد فيه بأن بحثه لم يسبق نشره، ولم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب أو رسالة علمية.
2- أن يقدِّم الباحث ملخصاً لسيرته العلمية، وأهم إنتاجه العلمي.
3- أن يقدِّم الباحث نسختين ورقيتين من بحثه، ونسخة إلكترونية.
4- أن يرفق مع البحث ملخصًا باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، بحيث لا تزيد كلمات الملخصين عن 300 كلمة.
5- أن يقدم الباحث نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، في حال استخدامها في البحث، إلا إذا وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

محتويات العدد

المحتوى	الصفحة
دثينة في تاريخها القديم من خلال النقوش د. جمال محمد ناصر الحسني	5
نقش ضراء 10 **البعسي 1** **نقش جديد من وادي ضراء** د. فيصل حسين ناصر البعسي	65
قراءة تاريخية في الأحوال المالية لنماذج من أهل العلم من أواخر القرن الثالث إلى منتصف القرن الرابع الهجريين/ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن العاشر الميلاديين أ/ محمد عبده علي محمد صالح	81
إسهامات علماء يافع العلمية والفكرية في اليمن (بين القرنين الخامس -العاشر الهجريين/ الحادي عشر-السادس عشر الميلاديين) د. جمال عبد الحبيب عبد القوي الكلدي	115
احتفالات المولد النبوي في مصر زمن سلاطين المماليك (648 -923هـ/ 1250- 1517م) دكتور مصطفي وجيه مصطفي إبراهيم	167
الوضع الاجتماعي والاقتصادي لليهود والمسيحيين ببلاد المغرب العربي الإسلامي من القرن السابع إلي القرن العاشر الهجريين / الثالث عشر إلي الخامس عشر الميلاديين د/ ماجدة مولود رمضان الشرع	241
مسندم في كتابات الرحالة الغربيين د. علي عفيفي علي غازي	267
جرائم التعذيب الاستعماري لليبيين خلال فترة الاحتلال الإيطالي (1911 - 1930م) د/ وفاء الضاوي محمد	303

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

دثينة في تاريخها القديم من خلال النقوش

د. جمال محمد ناصر الحسني[1]

ملخص البحث:

يدرس هذا البحث منطقة دثينة القديمة، إحدى المناطق التي ذكرتها النقوش بصيغة (**د ت ن ت**)، منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد. ويعود آخر ذكر لها تقريباً بين القرنين الخامس والسادس الميلادي، وهي تقع في مديرية مودية بمحافظة أبين، ولا يزال الناس إلى اليوم، يطلقون عليها الاسمين معاً (دثينة ومودية). ومساحتها اليوم أقل مما كانت عليه في فترة قبل الإسلام، وفي العصر الإسلامي، ارتبطت دثينة القديمة بأحداث تاريخية مهمة، فقد كانت إحدى المناطق المهمة التابعة لمملكة أوسان، وبعد القضاء على أوسان، خضعت لسيطرة مملكة قتبان، أشارت نقوش دثينة إلى أسماء بعض المناصب الإدارية والعسكرية، التي تعمل على إدارة مناطقها. وعبدت دثينة آلهة وثنية متعددة. كما عرفت ديانة التوحيد.

الكلمات المفتاحية: دثينة، النقوش، أوسان، قتبان، مضحي.

(1) أستاذ مشارك في قسم الآثار والسياحة بكلية الآداب-جامعة عدن.

Dathina in its Ancient History through Inscriptions

Abstract:

This research studies the ancient area of Dathina, one of the areas mentioned in the inscriptions as (**DTNT**), since the beginning of the seventh century BC, and the last mention of it was almost between the fifth and the sixth centuries AD, it is located in the district of Mudiya in the governorate of Abyan. People still call it by the two names together (Dathina and Mudiya). Its extent today is smaller than what it was during the pre-Islamic period, and in the Islamic era as well. Ancient Dathina was associated with important historical events, it was one of the important regions of the kingdom of Awsan, and after the elimination of Awsan, it was under the rule of the kingdom of Qatabān. Dathina inscriptions referred also to the names of some administrative and military positions that managed their areas. Dathina passed through the cult of various pagan gods. As well as the monotheistic religion.

Keywords: Dathina, Inscriptions, Awsan, Qatabān, Mḍḥy.

المقدمة:

دونت نقوش ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، أسماء العديد من المناطق والمدن، إذ حرص أصحابها على توثيق أعمالهم المختلفة، وذكر أسماء مناطقهم، والأحداث المختلفة التي شهدتها، وغيرها من المناطق الأخرى. ومن خلال تتبع النقوش يمكن التعرف على مناطقها وتاريخها، ومدى أهميتها ومكانتها، وأيضـًا على موقعها الجغرافي والمدن التابعة لها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وتُعد دثينة من أسماء المناطق، التي ذكرتها النقوش منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد. وبالرغم من قلة النقوش التي ذكرتها، إلا أنها بينت أن دثينة القديمة، احتلت مكانة مهمة، وارتبطت بأحداث تاريخية مهمة في المنطقة خلال تلك الفترة. وتتضح أهمية دثينة كونها كإحدى أهم المناطق، التي حافظت على مكانتها حتى في العصر الإسلامي، وكذا العصر المعاصر.

وتهدف الدراسة إلى تحديد النقوش التي ذكرت دثينة، أو التي جاءت من أراضيها، والتعرف على أهم الأحداث التي شهدتها، وكذا على الإطار الجغرافي القديم، والمناطق التابعة لمنطقة دثينة، وعلى الديانة والآلهة التي عبدتها. وقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي، والتحليلي للأحداث التي وردت في النقوش، كما اقتضت الدراسة استخدام المنهج الوصفي إلى جانب المنهج المقارن. وبحسب المعلومات المتوفرة من خلال النقوش، سوف نتناول منطقة دثينة من حيث الآتي:

1. تسمية دثينة.
2. موقع دثينة القديمة.
3. نقوش دثينة القديمة.
4. المناصب أو الوظائف الإدارية في دثينة القديمة.
5. ديانة دثينة القديمة.

ا – تسمية دثينة:

دثينة اسم موضع، أرض [1] ذكرتها النقوش منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد، بصيغة (د ت ن ت)، كُتبت بحرف (التاء)، ومع مرور الزمن تحول أو تبدل حرف (التاء)، إلى حرف (الثاء)، لتنطق دثينة. كما كُتبت في الأخير بحرف (التاء) المبسوطة أو المفتوحة؛ لأن النقوش لم تعرف حرف التاء المربوطة. كما وردت

(1) الحموي 1988: 116؛ ابن منظور 1999 ج13: 291؛ Al-Sheiba 1987: 27.

في أحد النقوش صيغة الجمع (أ د ت ن ن)، أي الدثنيون. وهو ما سنعرضه لاحقًا.

وتعرف منطقة دثينة اليوم باسم (مودية)، وما زال الناس إلى اليوم، يطلقون عليها الاسمين معًا (دثينة أو مودية)، أي أن الاسم دثينة استمر منذ الألف الأول قبل الميلاد، إلى العصر الإسلامي حتى الوقت الحاضر.

٢- موقع دثينة القديمة:

تقع منطقة دثينة (مودية) في محافظة أبين، إلى الشرق من محافظة عدن. وتحديد الإطار الجغرافي لمنطقة دثينة القديمة، ليس بالأمر السهل، بسبب قلة النقوش التي ذكرتها، وكذا عدم إجراء أعمال التنقيبات الأثرية في المنطقة، وتقتصر دثينة (مودية) اليوم، على مساحة أقل وأضيق بكثير، مما كانت عليه في الألف الأول قبل الميلاد، حتى قبيل الإسلام[1]، وكذا في العصر الإسلامي، زمن أبي الحسن الهمداني المتوفى (360 هجرية/ 970 ميلادية)، الذي وصف معظم أراضي دثينة، وحدد موقعها من جهة الشمال والغرب بمساحة أوسع وأشمل، - وهو ما تؤكده النقوش كما سنوضحه لاحقًا-. فمن جهة الشمال تمتد دثينة إلى (كور العواذل)، المنطقة المعروفة باسم مديرية (لودر)، ومناطق شرقها وغربها، شملت منطقة دمان (أدمن قديمًا)، وعقبة ثرة، والظاهر (مكيراس)، والعادية – أمعادية (رحب - رحاب قديمًا)، وعريب (هكر قديمًا)، ووادي شرجان (شرجن قديمًا)، ووادي برع (برع قديمًا)[2]، إي إن أراضي دثينة القديمة من جهة الشمال تتداخل، مع أراضي مقولة مضحي، من قبائل ولد عم القتبانية، الواقعة في محافظة البيضاء، وكانت الحدود بين دثينة القديمة ومقولة مضحي مماثلة للحدود السابقة، التي كانت بين اليمن

(1) Wissmann 1968: 90; Robin 2005-2006: 38-39.

(2) الهمداني 1990: 177-178، 188.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الجنوبي واليمن الشمالي قبل عام 1990م[1]، علماً أن مضحي فرضت سلطتها على بعض مناطق شمال دثينة القديمة، القريبة منها، في القرن الثاني الميلادي[2].

وأما من جهة الغرب فيذكر أبو الحسن الهمداني، أن دثينة امتدت إلى الجبل الأسود (المعروف اليوم باسم جبل العرقوب، في شقرة)، وأشار إلى أن السهل من دثينة مما يلي يرامس[3]، (جنوب شرق زنجبار عاصمة محافظة أبين)، كما وصلت دثينة جنوباً إلى ساحل بحر العرب في مدينة أحور[4]، وهو ما جاء في النقش السبئي الشهير RES 3945، كما سيأتي أدناه[5].

٣ – نقوش دثينة القديمة:

جاء ذكر دثينة في النقوش بصيغة (د ت ن ت) منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد، وأنها من الأراضي التابعة لمملكة أوسان، تلك المملكة التي نشأت في وادي مرخة بمحافظة شبوة. ويُعرف أن مملكة أوسان كانت من أهم وأقوى الممالك في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ إذ اتخذ حكامها اللقب الملكي (مكرب) (السقاف CSAI 1 = III, 1)[6]، في القرن الثامن قبل الميلاد، مما يدل على توسع مملكة أوسان، وبسط سيطرتها على أغلب أراضي البلاد، وعلى أجزاء من أراضي مملكتي حضرموت وقتبان. وأصبحت مملكة مترامية الأطراف، امتدت جغرافياً إلى المناطق الواقعة بين واديي بيحان ونصاب شمالاً، وأودية حبان وميفعة وجردان، وعرمة القريب من وادي حضرموت، ورملة السبعتين شرقاً، إلى أرض المعافر (تعز)، وساحل البحر

(1) Robin 2005–2006: 40.
(2) خريطة رقم (1).
(3) الهمداني 1990: 179 – 189.
(4) Wissmann 1968: 91.
(5) خريطة رقم (2).
(6) السقاف 1994: 111–113.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الأحمر غربـًا، ومروراً بوادي تبن ووادي بنا، ودهسم (يافع)، وأحور، والعود (كور العواذل)، ودثينة جنوبـًا[1].

ساهم هذا التوسع في ازدهار مملكة أوسان، وأصبحت دولة تجارية كبيرة، واحتكرت التجارة البحرية، وأقامت تجارة واسعة مع الساحل الشرقي لأفريقيا، عبر ميناء عدن وباب المندب، وربما ميناء قنأ، وبذلك شكلت مملكة أوسان قوة كبرى، تنافس مملكة سبأ منافسة شديدة، ولم يبقَ أمام سبأ حينها، إلا أن تهتم بطرق القوافل البرية المتجهة شمالاً[2].

لقد شكل ازدهار مملكة أوسان التجاري، وتوسعها خطراً على مملكة سبأ، وأصبحت أوسان العدو الرئيس لسبأ، وكان سبب الحرب بينهما، كما جاء في النقش السبئي RES 3945، لصاحبه كرب إل وتر بن ذمار علي مكرب سبأ، المؤرخ حكمه بين 700–670 قبل الميلاد[3]، الذي دون فيه خوض ثمان حملات عسكرية، حارب فيها مناطق مختلفة من جنوب شبه الجزيرة العربية. ووثق تحالفه مع مملكتي حضرموت وقتبان، لمحاربة مملكة أوسان، وملكها (مرتعم) مرتع، في وادي مرخة، والمناطق التابعة لها، لاستعادة أراضيها التي استولت عليها أوسان.

وقد ورد أول ذكر لدثينة في النقش السبئي RES 3945/ 5,7,9، وفيه:

5 – وج ب ذ/ أذهـب هـم ي/ وج ب ذ/ ن س م/ ذهـب/ ر ش أي/ وج ر د ن/ و م خ ض هـ و/ ب د ت ن ت/ و و ف ط/ ك ل/ أهـج رهـ/ م خ ض/ ت ف ض/ و ث ب ر هـ/ و و ف ط هـ/ وج ب ذ/ أذهـب هـ و/ م خ ض هـ و/

(1) بيرن 1980: 77؛ Wissmann und Hofner 1953: 57–58; Doe 1971: 73; Pirenne 1980: 230–232;. انظر: خريطة رقم (3).

(2) بافقيه 1985: 21–22؛ Doe 1971: 73.

(3) Robin 2016: 55.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ع د/ م ظ أ/ ب ح رم/ و و ف ط/ ك ل/ أ هـ[ج ر] هـ و/ أ ل ت/ ع ل ي/ ب ح رم/ و م خ ض هـ و/ (ب) و س ر/ ع د/ هـ ك س ح/ أ و س ن/ و م ر ت [ع] م/ م ل ك هـ و/ و ع ت ب هـ و/ أ ر أ س/ م س و د/ أ و س ن/ ل س م هـ ت ((ل س م هـ ت)) و ع ت ب هـ و/ هـ ر ج

7 – هـ ج ر/ س رم/ و ص ي ر/ أ ذ هـ ب هـ و/ و هـ ب ك ل هـ و/ [س] ب أ/ و ي و م/ م خ ض/ د هـ س م/ و ت ب ن ي/ و هـ رج هـ م و/ ث ن ي/ أ ل ف م/ و س ب ي هـ م/ و خ م س ت/ أ ل ف م/ و و ف ط/ أ هـ ج رهـ م و/ [... ...] (د هـ) س م/ و [هـ] (ح ر) م (ع) رن [... ...]/ و هـ (ث ب)/ [د) [هـ] (س) م/ و ت ب ن ي/ و د ت ن ت/ ل أ ل م ق هـ/ و ل س ب أ/ و هـ ث ب/ ع و د م/ ل م ل ك/ د هـ س م/ و ع

9 – س ي ب ن/ و ب ض ع هـ و/ و أ هـ ج رهـ و/ أ ث خ/ و م [ي] ف ع/ و ر ث ح م/ و ك ل/ ب ض ع/ ع ب د ن/ و أ هـ ج رهـ و/ و س رهـ و/ و ع رهـ و/ و م رع ي ت هـ و/ و أ س د/ ع ب د ن/ ح رهـ و/ و ع ب د هـ و/ (ج و ل م) [... .../ د] ت ن (ت)/ أ ح ل ف و/ و م ي س رم/ و د ت ن ت/ ذ ت/ ث ب ر م/ و ح ر ث و/ [و ك ل]/ أ (هـ ج ر) هـ م ي/ و أ س ر ر هـ م

10 – ي/ و أ [ب] (ض) [ع] هـ م (ي)/ و أ ذ [هـ ب] هـ م ي/ و أ ع ر رهـ م ي/ و م رع ي ت هـ م ي/ ج و ل م/ و ك ل/ ق س ط/ أ د م/ ذ ث ب ر م/ و أ و ل د هـ م و/ و ق ن ي هـ م و/ ع د/ ب ح ر (م)...

المعنى:

5 – ونهب وديانهم ونهب نسمهم وادي رشأي وجردان وهزمه (أوسان) في دثينة وأحرق كل مدنها وهزم تفيض وخربها وأحرقها وخرب كل أوديته حتى بلغ البحر وأحرق جميع المدن التي كانت على البحر، وكسرها (أوسان) في وسر حتى أخضع

أوسان ومرتعم (مرتع) ملكها ونذر كل رؤساء مجلس أوسان لسمهة وقتلهم

7 – مدن سرم ونظم الري في أوديتها ووهبها أهل سبأ. ويوم (عندما) هزم دهسم وتبني وقتل (ألفين) منهم واسر (خمسة آلاف) منهم سجينًا وأحرق مدنهم [...] ودهسم ولم يقترب من الجبل [...] ووهب دهسم وتبني ودثينة (للإله) إلمقه وسبأ ووهب عود لملك دهسم

9 – وسيبان وأرضها ومدنها أتخ وميفع ورثحم وكل أرض عبدان ومدنه، ووديه وجبله، ومراعيه ورجال عبدان، الأحرار والعبيد، مع ممتلكاتهم، [... ...] دثينة أحلاف وميامر ودثينة ذات ثبير وحرثو وكل مدنهما وأوديتهم

10 – ومناطقهما وأراضيهما وجبالهما ومراعيهما ملكًا لهما وكل قسط رعية ثبير وأولادهم وممتلكاتهم حتى البحر...

يذكر النقش الحرب التي شنها كرب إل وتر على مملكة أوسان، وجميع مناطقها ومدنها، ويبين أنها تضم أراضي متباعدة من البلاد، من ضمنها منطقة دثينة التي ذكرها في النص، وأنها تشمل مساحة أوسع، غير المعروفة حاليًا.

جاء في السطر الخامس من النقش، أسماء العديد من المناطق الأوسانية، التي تمت محاربتها وتدميرها وحرقها مع مدنها وأوديتها، ومنها منطقة دثينة، (م خ ض هـ و/ ب د ت ن ت) هزمه في دثينة. إي هزيمة مملكة أوسان وملكها (مرتع) في دثينة[1].

يلاحظ أن كلمة (م خ ض)، التي ترد في النقوش بمعنى هزم، كسر، غلب[2]، تنتهي بـ (هـ و) ضمير الغائب المتصل للمفرد المذكر والمؤنث[3]، وهنا إشارة إلى

(1) Wissmann 1968: 90.
(2) بيستون وآخرون 1982: 84؛ Ricks 1989: 95.
(3) بيستون 1985: 83.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

أنه تمت هزيمة أوسان، وربما أيضاً الملك (مرتع) في دثينة. مما يبين أهمية دثينة القديمة ومكانتها، وأنها من المناطق الأوسانية الرئيسة، ولا يستبعد وجود جيش أوساني خاض فيها معركة، مع جيش الحلف الثلاثي للممالك (سبأ، حضرموت، قتبان)، بقيادة كرب إل وتر السبئي، وتمت هزيمة أوسان، والملك (مرتع)، وإحراق دثينة وكل مدنها.

ويواصل في السطر السابع من النقش، ذكر أسماء المناطق الأوسانية، التي تمت مهاجمتها وهزيمتها:

(... و هـ (ث ب)/ [د] [هـ] (س) م/ و ت ب ن ي/ و د ت ن ت/ ل أ ل م ق هـ/ و ل س ب أ/ ...)

... ووهب دهسم وتبن ودثينة إلى ملكية (الإله) إلمقه وسبأ...

إن ورود (دهسم، تبن، دثينة)، بهذا الترتيب يُعد طبيعياً؛ لأن النقوش تذكر الأماكن بحسب الموقع الجغرافي لها. فـ (د هـ س م) دهس، من أسماء الأماكن التي لم تعد معروفة في الوقت الحاضر، إلا أن أغلب الباحثين يرجح أنها تقع ضمن المنطقة المعروفة حالياً، باسم (يافع العليا)[1]. وأما (ت ب ن ي) تبن، ما زال يُعرف بالاسم نفسه حتى اليوم، وهو وادي تبن شمال عدن[2]، وربما المناطق الواقعة غرباً حتى مضيق باب المندب[3].

إن قيام المكرب السبئي كرب إل وتر، بوهب وتقديم (دهس وتبن ودثينة)، لإله مملكة سبأ الرئيس (الإله إلمقه) ولسبأ، يدل على أهمية هذه المناطق الأوسانية.

(1) Wissmann und Hofner 1953: 57–58; Doe 1971: 73; Al-Sheiba 1987: 28.
(2) بافقيه 1994: 28؛ مكياش 1993: 31؛ Doe 1971: 73; Al-Sheiba 1987: 19.
(3) Robin 2016: 26.

وترد دثينة في السطر التاسع من النقش: (د] ت ن (ت)/ أ ح ل ف و/ و م ي س ر م)، دثينة وأحلفو أي حلفائها، و (م ي س ر م) أي مياسر، وهو اسم قبيلة المياسر، وهي إحدى القبائل التي لا تزال تُعرف، في دثينة (مودية) بالاسم نفسه حتى يومنا هذا.

وجاء أيضاً في السطر ذاته (د ت ن ت/ ذ ت/ ث ب ر م)، (دثينة ذات ثبرم)، وهذه الصيغة غير المعروفة، لأنها لم ترد إلا في هذا النقش فقط. وعن موقع دثينة ذات ثبرم، يذكر هرمان فيسمان H. Wissmann، أن (ثبرم) هي منطقة وادي عثرب في دلتا أحور، وأن وادي عثرب يقع بين أبين وأحور والجبال البركانية السوداء في شقرة (العرقوب حالياً)، وبذلك تكون دثينة وصلت إلى ساحل أحور في بحر العرب[1]. إن وصول دثينة إلى أحور- يؤكده ما ذكره أبو الحسن الهمداني، من أن دثينة تصل إلى الجبل الأسود (جبل العرقوب)، ثم إلى منطقة يرامس[2].

يوضح النقش RES 3945، مناطق نفوذ مملكة أوسان في بداية القرن السابع قبل الميلاد، وأنها امتدت إلى أغلب أراضي البلاد. كما يبين أن منطقة دثينة كانت من المناطق الأوسانية، التي حظيت بمكانة مهمة، ويبدو أن موقعها المهم تتوسط مناطق جنوب البلاد، يجعل منها محطة تجارية، تقع على طريق القوافل التجارية القديم، المتجهة شمالاً، إلى مضحي وذمار وغيرها، وباتجاه الجنوب الغربي نحو ساحل أحور وعدن[3].

يشير النقش RES 3945، إلى أن الحلف الثلاثي (سبأ، حضرموت، قتبان)، بقيادة المكرب السبئي كرب إل وتر، تمكن من القضاء على مملكة أوسان، واستعادة أراضيهم، وتقاسم أراضي مملكة أوسان.

(1) Wissmann 1968: 90; Al-Sheiba 1987: 21.
(2) الهمداني 1990: 179-189.
(3) وانظر: (خريطة رقم 3).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

استطاعت مملكة قتبان السيطرة على وادي مرخة، واستولت على جميع أراضي مملكة أوسان، بما فيها منطقة دثينة[1]، وكانت قتبان منذ القرن السادس إلى القرن الثاني قبل الميلاد، هي القوة العسكرية والتجارية الرئيسة في جنوب شبه الجزيرة العربية، وتمثل فترة ازدهارها الحضاري والسياسي[2]، وأصبحت مملكة قوية ومترامية الأطراف، وتوسعت أراضيها من وادي بيحان الموطن الرئيس لمملكة قتبان، وبلغت حدود مملكة سبأ من الشمال الغربي، ووصولاً إلى حدود مدينة ذمار، وإلى الجنوب ضمت مناطق دثينة ودهس ووادي تبن، وساحل أحور، وعدن والمعافر، وصولاً إلى الشريط الساحلي الممتد من مضيق باب المندب حتى ما وراء عدن[3].

حرص حكام مملكة قتبان (ملوك – مكاربة)، على تأكيد توسع رقعة دولتهم، من خلال اتخاذهم اللقب الملكي الطويل، لأول مرة في تاريخ ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية، وذكروا فيه أسماء المناطق، التي فرضوا هيمنتهم عليها، كما جاء في نقوشهم، ومنها:

– النقش ’Aqaba Bura‘1، من عهد المكرب – الملك يدع أب ذبيان بن شهر، المؤرخ حكمه بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد[4]، وعثر عليه في موقع نقيل عقبة بُرَع (برع قديماً)، في وادي برع، من روافد وادي السيلة البيضاء، الواقع في أعلى عقبة (ثرة) (كور العواذل)، على بعد 20 كيلو متر غرب مدينة لودر، وهي من أراضي منطقة دثينة القديمة[5]، ويوثق النقش شق طريق عقبة أو جبل بُرَع،

(1) Doe 1971: 73.
(2) Robin 2016: 21.
(3) بافقيه 1985: 34؛ روبان: 2006: 7. وانظر: (خريطة رقم 4).
(4) Gajda et al., 2009: 165.
(5) الهمداني 1990: 189.

وهذا الطريق ظل يستخدم حتى السبعينيات من القرن الماضي، وفيه:

1 – ي د ع أ ب/ ذ ب ي ن/ ب ن/ ش هـ ر/ م ك ر ب/ ق ت ب ن/ و ك ل/ و ل د/ ع م/ و أ و س ن

2 – و ك ح د/ و د هـ س م/ و ت ب ن و/ و ك ل/ ي ر ف أ/ أ ش أ م س/ [و أ ي م] ن س/ ب ك ر/ أ

المعنى:

يدع أب ذبيان بن شهر مُكرَب قتبان وكل ولد عَمّ وأوسان

وكحد ودهس وتبن وكل يرفأ (والأراضي) التي من شماله ومن يمينه (جنوبه)

يذكر اللقب الملكي القتباني أسماء المناطق الأوسانية، التي ضموها إلى حكمهم، وهي (أوسان وكحد ودهس وتبن)، وورودها بهذا الترتيب كان على أساس الموقع الجغرافي لها، حيث تقع إلى الشرق، وإلى الجنوب من قتبان. وكما سبق الإشارة فإن أوسان يقصد بها وادي مرخة الموطن الرئيس لها، وأن دهس (د هـ س م)، تقع في يافع العليا. وتبن (ت ب ن و)، هي وادي تبن في محافظة لحج شمال محافظة عدن.

وأما الاسم (كحد)، فهو من أسماء الأماكن غير المعروفة في الوقت الحاضر، وقد جاء في النقوش اسماً لعدة مناطق مختلفة. فقد ورد في النقش RES 3945 / 11، (ك ح د/ ذ ح ض ن م)، كحد ذو حضنم، وعن موقع كحد ذو حضنم، يرى ناصر حبتور مفترضاً أنها المنطقة التي تُعرف اليوم، باسم (حاضنة باقطمي) المتصلة بالسوط (الصوط)[1]. وأما كريستيان روبانChr. Robin، فيرى أن حضنم المذكورة في النقش قبل مدينتي (شيأن والعبر)، يبدو أنها تقع بين ردمان ومسور في وادي مرخة.

(1) حبتور 2003: 19.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

ويضيف أن هناك وادي حضنان، الذي جاء عند الهمداني في صفة جزيرة العرب، وهو اسم واديين في ردمان[1]. وجاء أيضاً في النقش RES 3945 /13، (ك ح د/ ذ س و ط ن)، كحد ذو سوطن (السوط). وينطق اليوم بحسب اللهجة العامية (الصوط)، وهو اسم الهضبة المرتفعة الواقعة شرق وادي جردان ووادي عرمة[2].

وعن موقع (كحد) التي وردت في اللقب الملكي القتباني الطويل، يذكر كريستيان روبان أن (كحد)، التي جاءت بين (أوسان ودهسم)، تتوافق مع المنطقة الممتدة من ردمان إلى دثينة[3].

ولتحديد موقع (كحد)، يلاحظ أن أسماء المناطق (كحد ودهسم وتبنو)، في اللقب الملكي القتباني الطويل، قد وردت بالترتيب نفسه، عند ذكر المناطق الأوسانية، التي غزاها المكرب السبئي كرب إل وتر، في النقش RES 3945 /7، (دهسم، تبني، دتنت). وورود كحد في اللقب الملكي القتباني بدلاً عن دثينة، يبين أن كحد هي دثينة، وأنها جزءٍ من أراضيها، لاسيما أن ترتيب المناطق في النقوش، يكون بحسب موقعها الجغرافي.

كما يمكن التمييز بدقة أن (كحد) تقع في دثينة، من خلال النقش CSAI I, 197 =RES 3688 /2,6، الذي وجد في وادي لبخ، أحد روافد وادي بيحان، ويعود لعهد شهر غيلان بن أب شبم، أحد ملوك قتبان، الذين اتخذوا اللقب الملكي الطويل، وتؤرخ فترة حكمه بين القرنين الخامس والربع قبل الميلاد، وجاء فيه:

(... ش ع ب ن/ ك ح د/ ذ د ت ن ت...) القبيلة كحد في دثينة.

(... ك ب ر/ ك ح د/ ذ د ت ن ت...) كبير (شيخ –المسؤول) كحد في دثينة.

(1) Robin 2016: 26 note 37.

(2) عربش والسقاف 2001: 113؛ حبتور 2003: 19؛ Robin 2016: 26 note 39.

(3) Robin 2016: 26.

إن ورود (ش ع ب ن / ك ح د / ذ د ت ن ت)، القبيلة كحد في دثينة. يؤكد أن كحد اسما لقبيلة ومدينة تقع في أرض دثينة[1]، ويبدو أنها تضم المناطق الواقعة شمال دثينة، كما سيأتي لاحقًا.

يمثل النقش أعلاه نصًا قانونيًا أصدره الملك القتباني، يخص قبيلة كحد في دثينة، ينظم عملية تحصيل العُشر من المحاصيل الزراعية، التي تنتجها قبيلة كحد ودثينة، وكذا الضرائب الخاصة بالإله عم ذو لبخ، الذي كرس القتبانيون معبدان له، أحدهم في وادي لبخ، الذي تتم فيه تحصيل العُشر من المحاصيل، والآخر في مدينة ذات غيلم (هجر بن حميد حاليًا) عاصمة مملكة قتبان الثانية. ويقوم كبير (الشيخ – المسؤول) الذي يدير قبيلة كحد في دثينة – سوف نتناول الكبير لاحقًا عند الحديث عن المناصب –، بجمع عُشر المحاصيل وتسليمه لكهنة (أرباب) الإله عم ذو لبخ في معبده[2].

ومن الموقع نفسه جاء أيضًا نص قانوني آخر، يذكر دثينة، ويعود إلى الفترة ذاتها، من عهد الملك شهر يجل بن يدع أب، هو النقش CSAI I, 3689 /11= RES 198، وفيه:

11 – ك ن / ن ح ق ل / ذ ب ن / ص ح ف / د ت ن ت/ و ش و ب/ و ث م ر/ ع م / و ت ع ل م أ ي / ي د / ش هـ ر

11 –لاسيما ما هو محدد في اتفاقية دثينة بالنسبة للمحصول والثمار ووقع ذلك بيد شهر

يدون النقش اتفاقية قانونية تضمن حقوق معبد الإله عم ذو لبخ، من العُشر للمحاصيل الزراعية، على أن يكون تحصيلها بحسب اتفاقية كحد ذو دثينة، التي

(1) مكياش 1993: 105؛ Wissmann und Hofner 1953: 64–65; Doe 1971: 71; Al–Sheiba 1987 : 49.

(2) Beeston 1971: 9–20; Pirenne 1991: 153–166.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

في النقش RES 3688. إلا أنه لم يذكر (كحد)، واكتفى بكتابة دثينة، مما يدل أن (كحد) التي وردت في اللقب الملكي الطويل القتباني، هي منطقة في دثينة.

استمر حكام مملكة قتبان باتخاذ اللقب الملكي الطويل، الذي ورد في عدة نقوش[1]، حتى القرن الثاني قبل الميلاد اختفى اللقب الملكي الطويل، وأصبح اللقب القتباني (مكرب قتبان وكل ولد عَم)، أو (ملك قتبان). وغياب أسماء المناطق (أوسان وكحد ودهس وتبن)، من اللقب الملكي، يدل على أن قتبان فقدت السيطرة على تلك المناطق أو أجزاء منها[2].

اختفى ذكر دثينة أو كحد بعد ذلك من النقوش القتبانية، حتى سقوط مملكة قتبان، وكان ذلك تقريبا بين عامي 170 – 175 ميلادية[3]، عندما تمكنت مملكة حضرموت في عهد ملكها يدع أب غيلان، من السيطرة على مملكة قتبان، وجميع أراضيها في وادي بيحان، وأراضي ولد عم، في مقولة معاهر وذو خولان، ومقولة مضحي، وكذا على وادي مرخة الموطن الأصلي للأوسانيين، ووصلت حتى عدن، حيث يذكر النقش الحضرمي Ja 2888، الذي عثر عليه في مدينة ذات غيلم، قيام الملك الحضرمي يدع أب غيلان، إعادة بناء أسوار العاصمة مدينة ذات غيلم[4].

ويعود ذكر كحد بصيغة (أ ك ح د ن) في النقش العلمة1 Alma'-MQ ، الذي عثر عليه في وادي علمة أحد روافد وادي شرجان، وهي من مناطق شمال دثينة

(1) CIAS 47.11/b2/1 = CSAI I, 5; RES 3880/1-2 =CSAI I, 26; RES 4328/1-4 = CSAI I, 28; MuB 673/1-2 = CSAI I, 18; RES 3550/1-2= CSAI I, 21; Pi. Huwaydar 1/1-3= CSAI I, 19; Ja 405/1-2= CSAI I, 9; MQ-Hinu az-Zurayr 1/1-2= CSAI I, 14; TCA/1-3= CSAI I, 1093.

(2) عربش 2006: 69.

(3) روبان: 2006: 7؛ عربش 2006: 71.

(4) روبان: 2006: 7؛ عربش 2006: 71.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

القديمة، من عهد يدع أب غيلان، ويدع إل بيان ملكي حضرموت، ويؤرخ النقش بين أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي[1]، وجاء فيه:

1 – إ ل ن أ د/ أ س أ ر/ ب ن/ ك ب ر ن/ و ذ ج ر أ س م/ و ذ ج ن أ م/ و ذ ج م ل م/ س د/ أ س/ ن ب ت/ ب ن/ ب ي ت/ ذ ع

2 – ي ن ت/ أ ك ح د ن/ هـ ق ح/ و هـ ن ك ل/ ذ ج د م/ و و ي ن هـ و/ م ج د م/ م ش ش/ ب ع س م/ أ ح م ط م/ و أ

المعنى:

1 – إل ناد أسار بن كبران وذو جراس وذو جنام وذو جمال من فرع بيت ذو

2 – عينت الأكحديين (أي من منطقة كحد) نفذ وأكمل برج ذو جدم ومزارع كروم العنب مجدم وزراعة أشجار التين

يذكر النقش الاسم (أ ك ح د ن)، الذي لم يرد عدا في النقش أعلاه، وهي صيغة الجمع لـ (كحد)، تعني (الأكحديون). أي أن أصحاب النقش سموا أنفسهم الأكحديون، نسبة إلى قبيلة (كحد)، وبذلك تكون (كحد) تشمل دثينة الحالية، وكذا مرتفعات دمان، ووادي علمة، ووادي شرجان، ومناطق شمال دثينة[2].

يعود النقش أعلاه إلى فترة سيطرة مملكة حضرموت على مملكة قتبان، ومقولة مضحي، لذا يختتم النقش بذكر سيديهم ملكي حضرموت، وكذا سيديهم قيلي مضحي، وبقوة ورجالهم من قبيلتهم ذو دمان:

12– ر د أ/ م ر أ ي هـ م و/ ي د ع أ ب/ غ ي ل ن/ و ي د ع إ ل/ ب ي ن/ أ م ل ك/ ح ض ر م ت/ و م ر أ ي هـ م و/ ش ر ح إ ل/ أ ش و ع/ و م

(1) Robin 2016: 63,73; Gajda et Bron 2017: 204.

(2) Gajda et Bron 2017: 201.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

13- ر ث د م/ ي ز ل/ ب ن/ هـ ص ب ح/ أ ق و ل/ م ض ح ي م/ و ب خ ي ل/ و ش ع ت/ أ د م هـ م و/ و ش ع ب هـ م و/ ذ أ د م ن

المعنى:

12- بسلطة سيديهم يدع أب غيلان ويدع إل بيان ملكي حضرموت وسيديهم شرح إل أشوع و

13- مرثدم يزل أبناء الأصابح قيلي مضحيم وبقوة رجال وقبيلتهم ذو دمان

إن ورود سيديهم قيلي مضحي، في النقش الذي جاء من أراضي شمال دثينة القديمة، يشير إلى أن مقولة مضحي فرضت سلطتها على مواقع شمال دثينة القديمة. وقد عرفنا أن دثينة القديمة امتدت شمالاً إلى مديرية (لودر)، ومناطق غربها، وهي: عقبة ثرة، ومكيراس، ووادي شرجان، والعادية – أمعادية، وعريب، ووادي برع، ووادي السيلة البيضاء، وإلى الشرق من لودر منطقة دمان، ووادي علمة، ومراوح، وغيرها من الأودية والمواقع الأخرى، وتُعد هذه المناطق ضمن أرض (كحد). وتميزت هذه المناطق بخصوبة أراضيها الزراعية، ومحاصيلها الوفيرة. كما شكلت بعضها أهمية كبيرة، كونها تقع على طريق القوافل التجارية القديم، منها منطقة (مكيراس)، التي تقع على طريق القوافل القديم، الذي يربط سهل دثينة وكحد، والمرتفعات إلى أراضي مضحي.

كما كانت مدينة أمعادية (رحاب قديماً) حاضرة وادي شرجان، تقع جنوب طريق القوافل التجارية القديم، الذي يأتي من مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان، ومدينة مارب عاصمة مملكة سبأ[1].

شهد القرن الثاني الميلادي ضعف السلطة المركزية لمملكة قتبان، مما دفع مقولة مضحي، وهي من قبائل أولاد عم القتبانية، لفرض سلطتها على مناطق

(1) Doe 1971: 147-148.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

شمال دثينة، القريبة من أراضيها. ويرد أقدم ذكر لأبناء قبيلة (الأصابح) أقيال مضحي في وادي شرجان، أهم مناطق شمال دثينة القديمة، في نقشين عثر عليهما في وادي ضراوع أحد روافده، هما: النقش 3 ‘MQ-Darawi، ويؤرخ إلى عام 127 ميلادية، وأيضاً النقش 2 ‘ MQ-Darawi والمؤرخ إلى عام 128 ميلادية[1]. وورود أبناء الأصابح أقيال مضحي في نقوش مواقع وادي شرجان، يُعد دليلا على بسط سلطتهم على مواقع وادي شرجان، في القرن الثاني الميلادي.

وقد عثر في مواقع شمال دثينة القديمة على العديد من النقوش، جاء في بعضها ذكر دثينة، ومنها:

النقش برع الأعلى رقم (2) =3 ‘Bura، الذي عثر عليه في موقع نقيل عقبة بُرَع، ويؤرخ النقش بين 330 – 340 ميلادية[2]، وفيه:

1 – أ ب ي د ع/ ي و ش ع/ ذ ض ر ن/ و ج م ل ن

2 – و أ ح ر م/ ع ق ب/ د ت ن ت/ ت ق د م/ م

المعنى

1 – أب يدع يوشع ذو (من آل) ضرن وجملان

2 – وأحرم عقب (والي –مسؤول) دثينة تولى عمل

يذكر النقش الصيغة (ع ق ب/ د ت ن ت)، وهي ترد لأول مرة في النقوش الخاصة بدثينة، وكلمة (ع ق ب) عاقب، من المناصب الإدارية، تعني والي أو مسؤول. أي أن الحاكم، أو الملك، أو القيل يعين شخصاً نائباُ له، أي يمثله في منطقة خاضعة لنفوذه. كما تدل على مهام أخرى، وهو ما سنوضحه لاحقاً. كما أن صاحب النقش يذكر أقيال مضحي، مما يؤكد على سلطتهم على المنطقة.

(1) Robin 2005 – 2006 : 38,40, 98.

(2) الأغبري 2013: 176؛ Robin 2005–2006: 38,94.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

جاء ذكر دثينة في النقش عبدان الكبير/ 39، الذي كُتب على صخرة ضخمة، قرب سفح جبل في الضفة اليسرى من وادي عبدان، حوالي 4 أو 5 كيلو مترات، جنوب مدينة نصاب في محافظة شبوة[1]. والنقش مؤرخ إلى عام 470 بحسب التقويم الحميري، ويوافق 360 ميلادية[2]. وفيه:

39 – ح ن ش/ أ ع ر ر/ ق ر ب/ ع ب د ن/ و ط ر د و/ ع ل ي/ أ ف ر س هـ ن و/ ب ق ر/ ر ي ن (م)/ و (ح و ر ي)/ و أ ف ر أ/ أ س و ط ن/ و د ت ن ت/ (و) (أ) ح و ر/ و ض ل ن ن/ و هـ ر ج و/ ب (ق) ر م/ و ح و ر ي/ و أ ف ر

المعنى:

الجبال قرب عبدان واصطادوا على خيولهم البقر ريان والثيران والجمال في السوط ودثينة وأحور وضلل وقتلوا بقر وجمال

يذكر النقش قيام اليزنيين بالصيد في مناطق السوط ودثينة وأحور، مما يبين أن دثينة كانت من المناطق الغنية بالثروة الحيوانية، كونها من الأراضي الخصبة.

كما ورد اسم دثينة في النقش MQ-Shirjan 27 = Ja 1819 /6، الذي عثر عليه في وادي شرجان[3]، ويؤرخ بين منتصف القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي[4]، وفيه:

(1) Robin et Gajda 1994: 116.

(2) كانت بعض ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية (سبأ، معين، قتبان)، تستخدم نظام تأريخ معقد نوعاً ما، يقوم على أسماء الأشخاص في حساب الزمن والسنيين. ولم يُعرف حساب الزمن بشكل متسلسل، إلا مع ظهور مملكة سبأ وذو ريدان، التي كانت تؤرخ نقوشها بشكل متسلسل، عُرِفَ كتقويم باسم (م ب ح ض/ ب ن/ أ ب ح ض) مبحض بن أبحض، وبدأ التأريخ به تقريباً من عام 110 قبل الميلاد. ينظر (روبان 1999: 60-63؛ الحسني 2012: 265-272)

(3) Jamme 1971: 84-85.

(4) Kitchen 2000: 317; Robin 2005-2006: 38,47.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

6 – أ ش ع ب ن/ م ض ح ي م/ و د ت ن ت/ و س ف ر م/ ب ر أ و/ و هـ ق ح/ م أ ج ل ي هـ م و

6 – قبائل مضحي ودثينة وسفرم بنوا وجصص خزانين

يذكر أصحاب النقش أنهم أقيال وحكام قبائل مضحي ودثينة وسفرم[1]، قاموا بأعمال بناء خزانات مياه، وآبار للزراعة كروم العنب في وادي شرجان.

ومن وادي شرجان أيضاً جاء آخر ذكر لدثينة في النقوش المعروفة حتى الآن، في النقش Ja 2355 = MQ-Shirjan 6، ويؤرخ بين القرنين الخامس والسادس الميلادي[2]، ونصه:

1- أ ع ز ز ن/ ن 2- ح ل/ م أ ن ن 3- أ م ض ح ن/ و 4- أ د ت ن ن/ و

5- إ ل و د هـ 6- م ر ث د م/ و أ 7- س د م/ و م ر ث 8- د أ ل ن/ م ق ت ت ن

المعنى:

أعززن قائد المئات من المضحيين والدثنيين وأولاده مرثدم وأسدم ومرثد ألن ومساعديه

يذكر النقش مضحي ودثينة بصيغة مختلفة، لم ترد عدا في هذا النقش فقط، هي **(أ د ت ن ن)** وهي صيغة الجمع، أي الدثنيون، و **(أ م ض ح ن)**، المضحيون، فصاحب النقش يذكر أنه قائد المئات من المضحيين والدثنيين[3].

(1) منطقة أو مقولة سفرم، يرد ذكرها في نقوش مضحي، ويافع، وهي من أسماء المواقع الجغرافية غير المعروفة حالياً. ومن المحتمل أن يكون موقعها هو وادي سفر الذي يقع على بعد 20–25 كم جنوب مدينة حصي حاضرة مقولة مضحي. ينظر: (Wissmann 1968: 86; Robin 2005–2006: 42).

(2) Kitchen 2000: 324.

(3) Robin 2005–2006: 49.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

2 - المناصب أو الوظائف الإدارية في دثينة القديمة:

من خلال المعلومات المستقاة من النقوش التي استعرضناها في أعلاه، فقد ذكرت النقوش أسماء العديد من المناصب والوظائف الإدارية والعسكرية، التي تعمل في إدارة المناطق والأقاليم التابعة لممالك جنوب شبه الجزيرة العربية. ووضحت أن الذي يتولى قيادة أو إدارة كثير من تلك المناطق، يتخذ لقب (ق ي ل) القيل، أي الأمير، الذي عُرف منذ منتصف الألف الأول قبل الميلاد.

بالرغم من قلة النقوش الخاصة بمنطقة دثينة القديمة، وشحة المعلومات التي فيها، إلا أنها تعطي بشكل غير مباشر بعض الإشارات، عن طريقة إدارة المنطقة؛ حيث كان أصحاب النقوش بعد تسجيل أسمائهم، أحياناً يذكرون أسماء المناصب أو الوظائف التي يشغلونها.

يلاحظ أن نقوش منطقة دثينة، لم تشر إلى أن (القيل) يتولى إدارتها، إلا أنها سجلت أسماء بعض المناصب الأخرى، التي تساهم في إدارة مناطقها. علماً أن أغلب أسماء تلك المناصب جاءت في النقوش، التي وجدت في مناطق شمال دثينة القديمة، ومنها وادي شرجان ووادي برع.

وسوف نحاول توضيح أسماء تلك المناصب ومهامها، بحسب ما توفره النقوش من معلومات، وهي:

أ- كبير (ك ب ر):

يرد الاسم (ك ب ر) الكبير في النقوش، ليشير إلى سلطة على (ش ع ب) قبيلة، أو (هـ ج ر) مدينة، وقد جاء الكبير في نقش واحد يخص قبيلة كحد في دثينة، هو النقش القتباني CSAI I, 197 =RES 3688 /2,6، الذي يؤرخ بين القرنين الخامس والربع قبل الميلاد، وفيه:

1 – ش هـ ر غ ي ل ن / ب ن / أ ب ش ب م / م ل ك / ق ت ب ن / وهـ ب / و س ق ن ي / ل ع م / ذ ل ب خ / و أ ر ب ي س / ص ح ف / ت ح

2 – ر ج / ش ع ب ن / ك ح د / ذ د ت ن ت / ب ع م / ك ب ر م / ب ي ك ب ر/ و ح ر ج / ش ع ب ن / ك ح د / و ل / ي ص ح ف / و ح ر ج / ذ ن

3 – ص ح ف ن/ ع ص م م/ ب ي ع ص م / ع م / ذ ل ب خ / ط د / أ ن س م / خ ر ف م ي و/ ب ن ك م / ب ي ن ف ث / ع د ك م / ب ي س ف د/ خ ر ف

4 – م ي و/ و ث و ب/ أ خ س/ ل ذ ن / ت ح ر ج ن / ل ذ م / ب ي ف ث س / و ل / ي ق ن ي / و ث ع د / ذ م / ب ي ح ر ج / ذ ن / ص ح ف

5 – ن / ب ع م / ك ب ر م / ب ي ح ر ج / ك ح د / ع ش ر / ك ل / هـ ن أ م / و م و ب ل م/ و ت ق ن ت م/ و ت ر ث م / و ك ل / ج ف ي م / ب ي

6 – ج ف ي / ك ب ر/ ك ح د / ذ د ت ن ت / و ل / ي ص ح ف / و ح ر ج/ع ص م ن/ ب ن / ش هـ ر / و ر خ ن / ذ ت م ن ع / خ ر ف / م و هـ ب م / ذ ذ

المعنى:

1 – شهر غيلان بن أب شبم ملك قتبان وهب ومنح (خصص) لـ عم ذو لبخ وأربابه (كهنته) هذه (الصحيفة) الوثيقة إدارة

2 – الشعب (القبيلة) كحد في دثينة من قبل كبير (شيخ – المسؤول) يدير ويحكم قبيلة كحد وهذه الوثيقة المكتوبة وتنفيذها

3 – الوثيقة بعهد (معصوم) لصالح عم ذو لبخ شخصاً (لمدة) سنتين من وقت تعيينه وحتى يكمل فترته السنتين

4 – بحيث ينجح في هذه الإدارة، ويخلفه شخص آخر في الإدارة يحق له الامتلاك ويدير هذه الاتفاقية

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

5- من قبل كبير (شيخ - المسؤول) يتولى إدارة كحد، تحصيل العُشر من كل المحاصيل في الأرض المسقية بواسطة الري أو بالمطر، وكل الضرائب على الأرباح التي

6- يفرضها كبير (شيخ - المسؤول) كحد من دثينة، ويتم تنفيذ هذه الوثيقة بسلطة وعهد من شهر (الملك) في شهر ذو تمنع سنة موهبم ذو

يعود النقش إلى فترة سيطرة مملكة قتبان على منطقة دثينة، وعرفنا أنه يمثل وثيقة قانونية أصدرها الملك القتباني، تخص قبيلة كحد في دثينة، تنظم عملية دفع الضرائب والعشور، من المحاصيل الزراعية للإله عم ذو لبخ.

يوضح النص أن (كحد) اسماً لقبيلة ومدينة تقع في منطقة دثينة القديمة، وتمتاز بالأراضي الزراعية الخصبة، ذات المحاصيل الوفيرة. وأن عليها تعيين شخص منها، في منصب (ك ب ر) الكبير، يدير ويحكم قبيلة كحد من دثينة[1]. ويلتزم الكبير بتنفيذ هذه الوثيقة لصالح الإله عم ذو لبخ. ويكون هو المسؤول الذي يقوم بجمع الضرائب من الأرباح، والعُشر من جميع المحاصيل، وتسليمها إلى (أرباب) كهنة الإله عم ذو لبخ، في معبده الواقع في وادي لبخ.

يحدد النص أن مدة تعيين الكبير تكون عامين فقط. وبعد تأدية مهامه بنجاح، وانتهاء مدته العامين، يتم تعيين شخص آخر من القبيلة نفسها، ليقوم بالمهمة نفسها. ولا يحق لأي شخص آخر غير كبير قبيلة كحد في دثينة، أن يؤدي هذه المهام لضمان وحماية حقوق الإله عم ذو لبخ. ولا يستبعد أن كحد في دثينة كانت هي المسؤولة، التي تتولى الإشراف على إدارة المعبد لبخ، وهي من تحدد الضرائب والعُشر من المحاصيل للمعبد[2].

(1) Beeston 1971: 13; Pirenne 1990: 165.

(2) Wissmann und Hofner 1953: 65; Pirenne 1991: 155.

وقد جاء ذكر (ك ب ر) في نقوش الممالك الأخرى، ومنها:

النقش القتباني CSAI I, 202 =6,8/ 3854 RES، (ك ب ر/ ت م ن ع)، كبير (مدينة) تمنع. عاصمة مملكة قتبان (هجر كحلان حالياً).

– النقش CSAI I, 72 =1/ 9 VL، الذي عثر عليه في مدينة تمنع، (ك ب ر/ م ع ن/ ب ت م ن ع)، كبير معين في تمنع. أي أنه كبير الجالية التي جاءت من مملكة معين، لتستقر وتعمل بالتجارة في مدينة تمنع.

– النقش السبئي 2–1/ 3951 RES، (ك ب ر/ ص ر و ح)، كبير (مدينة) صرواح. عاصمة مملكة سبأ القديمة، وهناك النقش المعيني RES =161 M 2939، (ك ب ر/ ي ث ل)، كبير (مدينة) يثل (براقش حالياً).

– النقش الحضرمي 3/ 3869 RES، (ك ب ر/ ي ك ب ر/ م ي ف ع ت) كبير يدير (مدينة) ميفعة.

يرد المنصب (ك ب ر) كبير في النقوش السبئية، بمعنى كبير صاحب المنصب الإداري الأعلى في شعب (قبيلة)، تولى، راقب، أشرف[1]. وزعيم القبيلة، رئيس عشيرة[2]، وفي المعجم القتباني يعني الإشراف، يحكم، يدير[3].

وبذلك يتبين أن (ك ب ر) الكبير، يمثل وظيفة أو منصب إداري، يشير إلى المسؤول أو الشيخ، الذي يحكم ويدير قبيلة من قبائل المنطقة، أو مدينة تكون جزءاً من إقليم أو منطقة.

ب- محرج (م ح ر ج):

يُعد الاسم (محرج) من المناصب النادر ورودها في النقوش، وجاء في نقش

(1) بيستون وآخرون 1982: 84.
(2) Biella 1982: 240.
(3) Ricks 1989: 76.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

واحد فقط يخص دثينة، هو النقش MQ-Shirjan 27 = Ja 1819/ 6، من وادي شرجان، وفيه:

1 – إل ت ب ع/ أج ش ر/ و أخ ي هـ و/ أ ب ك ر ب/ ي ك ف/ و إ ل ش ر ح/ أ س أ ر

2 – ب ن و/ م ر ث د إ ل ن/ أ ش و ع/ ب ن و/ هـ ص ب ح/ و ي ع ج ف/ ذ ع م ش ب م/ و ح

3 – ط ن/ و خ ر ف/ و ذ ب د ت م/ و ر ح ب ت م/ و ذ (ف) ر ع ش ب م/ ي ق أ م و ت/ ذ س ف

4 – ر م/ و ذ ب ر/ و ذ ع ق ر ب م/ و م ح ي د ن/ و أ ش ر ق/ ذ ص ح ت/ و د ط ت/ ذ ب أ ر

5 – (ق م)/ (و د) ي ن/ أ ب ع ل/ أ ب ي ت ن/ ك و ك ب ن/ و ي س ر ن/ و ب ت ع/ أ ق و ل/ و م ح ر ج

6 – أ ش ع ب ن/ م ض ح ي م/ و د ت ن ت/ و س ف ر م/ ب ر أ و/ و هـ ق ح/ م أ ج ل ي هـ م و

المعنى:

1 – إل تبع أجشر وأخويه أب كرب يكف وإل شرح أسأر

2 – بنو مرثد ألن أشوع بنو هصبح ويعجف ذو عم شبم و

3 – الحاط وخرف وذو بدتم ورحبة وذو فرع شبم يقأموت ذو سفرم

4 – وذو بر وذو عقربم ومحيدن وأشرق ذو صحت ودطت ذو بأر

5 – ودين سادة البيوت (القصور) كوكبان ويسران وبتع أقيال وحكام

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

6 – قبائل مضحي ودثينة وسفرم بنوا وجصص خزانين

يعود النقش إلى فترة سيطرة أقيال مضحي من أبناء قبيلة الاصابح، على مناطق شمال دثينة القديمة، وكذا على مقولة سفرم. ويذكر النقش زعماء المناطق الثلاث، وهم: إل تبع أجشر وأشترك معه أخويه أب كريف وإل شرح أسأر بنو مرثد ألن أشوع أبناء الأصابح من مقولة مضحي. والثاني من دثينة يعجف ذو عم شبم، والثالث ذو فرع شبم يقأموت ذو سفرم. أي أن يعجف ذو عم شبم هو زعيم دثينة.

يبين النقش أن زعماء تلك المناطق يتولون مناصب (أقوال أي أقيال ومحرج). وورود (محرج) يثير التساؤل، لأنه جاء بعد (أقيال). ويخص أي منطقة من المناطق الثلاث؟.

توضح نقوش مقولة مضحي أن زعماءها، اتخذوا لقب (القيل) الأمير، منذ منتصف الألف الأول قبل الميلاد، في النقش 'Aqaba Bura 2'، الذي يُعد أقدم ذكر للقب القيل في النقوش[1]. كما تشير نقوش قبيلة سفرم، إلى أن زعماءها اتخذوا لقب (القيل)[2]، وقد جاء ذكر مضحي وسفرم، مع لقب (القيل) فقط، بدون الاسم (محرج)، في النقش MAFRAY–Hasi 1 / 1–2، وفيه:

إ ل ي ف ع/ أ ر س ل/ ب ن/ هـ ص ب ح/ و ي ع ج ف/ و ي ق أ م و ت/ ذ س ف ر/ و أ ش ر ق/ ذ ص ح ت/ ق ي ل/ ش ع ب ي ن ي هـ ي ن/ م ض ح ي م/ و س ف ر م

إل يفع أسال بن الأصابح ويعجف ويقأموت ذو سفرم وأشرق ذو صحت الشعبين (القبيلتين) مضحي وسفرم

يؤكد النص أن زعماء مضحي وسفرم، اتخذوا لقب (القيل). وأما دثينة فيلاحظ

(1) Gajda et al., 2009: 168–172.

(2) النقش بافقيه – باطايع 6/ 2 = 3 ,CSAI II؛ بافقيه – باطايع 8/ 2؛ 2/ 61 Lahj no.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

إن النقوش الخاصة بها، لم تذكر اللقب (القيل)، ولذا يرجح أن اسم المنصب (محرج) يخص منطقة دثينة[1]. أي أن يعجف ذو عم شبم، هو (محرج) أي حاكم دثينة في وادي شرجان.

وقد جاء الاسم (محرج) مع (القيل)، وكذا مع الكبير (كبور)، في بعض النقوش السبئية، ومنها:

- النقش CIH 648 /2:

... (أ) ق و ل / و م ح ر ج/ ش ع ب ن/ ر د م ن/ ذ س ل ف ن

... أقيال وحكام القبيلة ردمان ذو سلفن

- النقش DhM 287 /1:

... ق ي ل/ و م ح ر ج/ ش ع ب هـ م و/ ذ ...

... قيل وحاكم قبائلهم ...

- النقش RES 2633 =6/ CIH 621:

... ك ب و ر/ و م ح ر ج/ س ي ب (ن) ...

... رؤساء (شيوخ) وحكام أو قادة سيبان ...

- النقش MAFRAY-al-Mi'sal 2 /1-2:

... ق ي ل/ ش ع ب ن/ ر د م ن/ و خ و ل ن/ و م ح ر ج/ ش ع ب/ ذ ب ح ن ...

... قيل القبيلة ردمان وخولان وحاكم أو قائد قبيلة ذبحان ...

يرد الاسم (محرج) في النقوش بمعنى تولى، صاحب سلطة، صاحب ولاية[2]،

(1) Robin 2005-2006: 54.

(2) بيستون وآخرون 1982: 70.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وأيضاً قيادة، زعيم قبيلة[1]، وكذا مشرف، مدير، سلطة[2]. ويعني أيضاً الحاكم[3]. ويرى كريستيان روبان أن الاسم (محرج) الذي ظهر في النقوش منذ القرن الثالث الميلادي، يعني القائد، الحاكم أو الزعيم، وأن مكانة (محرج) تكون أدنى من (القيل) الأمير، وأنها تستخدم في المناطق، أو المدن ذات الأهمية الثانوية[4].

ومما تقدم يتضح أن (محرج) اسم منصب اتخذ في وادي شرجان، حاضرة مناطق شمال دثينة، ليشير إلى أنه الحاكم أو المسؤول، عن هذا الجزء من منطقة دثينة.

ج- عقب (ع ق ب) العاقب:

جاء ذكر الاسم (ع ق ب) العاقب، في النقش برع الأعلى (2)، الذي وجد في وادي برع، من أراضي شمال دثينة القديمة، ويؤرخ بين 330 - 340 ميلادية[5]، وفيه:

1 - أ ب ي د ع/ ي و ش ع/ ذ ض ر ن/ و ج م ل ن

2 - و أ ح ر م/ ع ق ب/ د ت ن ت/ ت ق د م/ م

المعنى

1 - أب يدع يوشع ذو (من آل) ضرن وجملان

2 - وأحرم (والي -مسؤول) دثينة تولى عمل

يسجل صاحب النقش أب يدع يوشع أنه (عقب) عاقب، أي أنه مسؤول أو والٍ أو ممثل حاكم دثينة، قام بإعداد الألواح الحجرية لتكسو أحواض المياه، تنفيذا لأوامر سيدهم قيل مضحي.

(1) Biella 1982: 187-188.

(2) Ricks 1989: 66.

(3) Wissmann 1968: 80; Nebes 2005: 360-361.

(4) Robin 2005-2006: 54-55, 60.

(5) الأغبري 2013: 176؛ Robin 2005-2006: 38,94.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

يرد (عقب) العاقب في النقوش، ليدل على وظيفة متنوعة أو متعددة المهام، فقد يكون العاقب نائب يمثل، أو يحل محل الملك، كما في النقش الحضرمي KR 6 =1/ 2878 Ja، الذي عثر غليه في خور روري (سمهرم قديماً)، في سلطنة عُمان، وفيه:

1 – ث ع إ ل/ ب ن/ أ س ر ك/ ذ د و س م/ ع ق ب/ م ل ك ن/ ب أ ر ض/ س أ ك ل ن

1 – ثعد إل بن أسرك ذو دوسم عقب (نائب، والي) الملك في أرض السأكل

والنقش السبئي FB–al–Bayda 1 /2 – 3، من مدينة البيضاء (نشق قديماً) في وادي الجوف، وفيه:

... ب ن و/ ع ز ز إ ل/ أ ش ق ن/ ع ق ب/ م ل ك ن/ ب هـ ج ر ن/ ن ش ق م

أبناء عزيز إل أشقن عقب (نائب) الملك في مدينة نشق

يُفسر الاسم (ع ق ب) العاقب في النقوش السبئية، بمعنى عمل والياً، عين (أحداً) عاقباً، ونائب وممثل، عمل قائداً (للجند)[1]، وفي النقوش القتبانية بمعنى نائب، ممثل[2]. في حين يرى كريستيان روبان أن (عقب) الذي يعني ممثل، مسؤول، مدير، من الممكن أن يكون نائباً أو ممثلاً للقيل، في منطقة خاضعة له، أو أن يكون مسؤولاً صغيراً عن القصر[3].

وقد جاء الاسم (عقب) يشغل وظيفة أخرى، في نقشين من أراضي شمال دثينة القديمة، وهما:

– النقش الأول: MQ–al–Jifjif 1 /2 – 3، الذي عثر عليه في موقع الجفجف في

(1) بيستون وآخرون 1982: 17 – 18؛ Biella 1982: 379.

(2) Ricks 1989: 123.

(3) Robin 2005–2006: 57; Robin 2010: 54.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وادي شرجان، الذي يسجل أعمال إصلاح السد، ومؤرخ بتقويم مقولة مضحي[1] إلى عام 275، الموافق 240 ميلادية[2]، وفيه:

1 – ي ر ف أ/ أ ص ح ح/ ب ن/ أ ش ي ب/ و ذ ع م ر ت/ و ب ن/ ش ب ث ن/ و ذ أ ل أ م ن

2 – و ذ ك ب ر ن/ و أ ل ت/ ع ق ب/ ش ع ب ن/ م ض ح ي م/ و هـ و ف ع م/ و ع ب د م/ و

3 – أ ب ع ل/ ب ن و/ ي ع ج ف/ و ج ز ر ت ن/ ع ق ب ت/ ب ي ت ن/ ي س ر ن/ و م س

المعنى:

1 – يرفأ أصحح بن أشيب وذو عمرت وبن شبثن وذو ألأمن

2 – وذو كبرن وألت عقب (نائب، ممثل) القبيلة مضحي وهوف عم وعبدم

3 – وأسياد بنو (قبيلة) يعجف والجزرة عقبت (المسؤولين) عن الفصر يسران

يبين النص أن صاحبه (يرفأ أصحح بن أشيب)، يتولى منصب (عقب) عاقب القبيلة مضحي. أي أن أقيال مضحي عينوه عاقبًا، مسؤولاً أو ممثلاً لهم، في أحد مواقع وادي شرجان، الخاضعة لهم.

ويرد في السطر الثالث من النقش نفسه أن (هوف عم وعبدم سادة بني يعجف والجزرة) (ع ق ب ت/ ب ي ت ن/ ي س ر ن)، أي المسؤولون عن القصر

(1) استخدمت مقولة مضحي تقويمًا خاصًا بها أطلقوا عليه في النقوش (**ن ب ط م/ ذ خ ر ف**) **نبطم ذو خرف**، وبدأ التأريخ به تقريبًا بين عامي 25 – 35 قبل الميلاد. ينظر (روبان 1999: 60؛ Robin 2005–2006: 62,92).

(2) Robin 1998: 140–143.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

يسران، الخاص بأعيان أو حكام شمال دثينة، الذي يبدو أنه يقع في أمعادية – العادية حاضرة مناطق شمال دثينة.

– النقش الثاني: 3– 2/ 2356 Ja = 12 MQ–Shirjān، من وادي شرجان، المؤرخ إلى عام 345 بحسب تقويم مضحي، والموافق 310 ميلادية، وفيه:

1 – م ر ث د م/ ع ق ر ب/ و أ خ هـ و/ م ر ث د أ ل ن/ أ

2 – ش و ع/ ذ ي/ ق هـ ل م/ و ص د ق إ ل/ ع ق ب/ ك و

3 – ك ب ن/ و ي س ر ن/ ت ق د م و/ و هـ ق ش ب ن/ ل م

المعنى:

1 – مرثدم عقرب وأخيه مرثد ألن

2 – أشوع (من عائلة) قهلم وصدق إل عقب (مسؤول)

3 – كوكبان ويسران عملوا وجددوا

يسجل أصحاب النقش أنهم (عقب) المسؤولين، عن القصرين كوكبان ويسران. ويرجح أن قصر كوكبان كان مقر إقامة أقيال مقولة مضحي، وربما أنه كان يقع في مدينة حصي، حاضرة مقولة مضحي[1].

ومن خلال استعراض النقوش أعلاه، يتضح أن (ع ق ب) العاقب، من المناصب ذوات المهام المتعددة، قد يكون وكيلاً أو ممثلاً أو نائبـًا للملك أو القيل، وممكن أيضـًا أن يعينه الحاكم مديراً أو مسؤولاً عن إدارة مدينة، أو جزء من منطقة تخضع لسلطته، أو يكون مسؤولاً عن قصر.

(1) Robin 2005–2006: 36,54.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

د- الوازع (وزع):

ورد المنصب (وزع) الوازع في نقشين عثر عليهما في أراضي شمال دثينة القديمة، هما:

- النقش برع الأعلى رقم (1) = Bura‘ 2، الذي عثر عليه في موقع برع، والمؤرخ إلى سنة 388 بحسب تقويم مضحي، الموافق بين عامي343 - 353 ميلادية، وفيه:

1 - م ع د ك ر ب/ أ و ش ع/ ذ ض ر ن

2 - و ج م ل ن/ و ز ع/ م ض

3 - ح ي م/ ب ن/ أ ب ي د ع/ ت ق د م/ م ق

المعنى:

1 - معد كرب أوشع ذو (من آل) ضرن

2 - وجملان قائد مضحي

3 - بن أبي يدع قطع صفائح

يشغل صاحب النقش معد كرب أوشع ذو ضرن، المنصب (وزع) قائد مضحي، أي أنه قائد جماعته في منطقة برع. ويذكر أنه (ب ن/ أ ب ي د ع)، أي أبن أب يدع يشوع ذو ضرن (عقب) والي أو مسؤول دثينة، صاحب النقش برع الأعلى رقم (2).

- النقش السيلة البيضاء 1/ 3-4، الذي وجد في موقع السيلة البيضاء من أراضي دثينة القديمة، ويقع على بعد 15 كيلو متر إلى الغرب من مدينة لودر، ويؤرخ إلى عام 400 ميلادية[1]، وفيه:

(1) Robin 2005-2006: 41,95.

أ ل هـ ت/ ش ن ص م/ أ و ز ع/ ش ع ب ن/ ر د م ن

ألهت شنصم قائد الشعب (القبيلة) ردمان

يذكر النص (وزع) أي قائد للقبيلة ردمان (المعسال حالياً)، في رداع محافظة البيضاء.

وقد ورد الاسم (وزع) وازع في النقوش السبئية[1]، والمعينية[2] فقط. ويرى ألبرت جام A. Jamme، أنه يعني زعيم (قبيلة)، قائد على عسكر[3]. وأما والتر موللر W. Muller، فيذكر أن الوازع الذي في النقش Kortler 2/ 7، (... و ز ع/ ن ج ر ن ...) قائد نجران. يدل على وظيفة عسكرية، هي (القائد)[4]، ويفسره المعجم السبئي بأنه لقب قائد قبلي أو عسكري[5]، في حين يرى كريستيان روبان أن مهمة الوازع، لا تقتصر على وظيفة عسكرية بشكل أساسي، فإلى جانب أنه المسؤول عن الجيش، قد يأتي بمعنى المسؤول عن الإدارة، كما في النقش السيلة البيضاء 1، وأما في النقش برع الأعلى رقم (1)، فأنه يعني المسؤول عن تشغيل المحاجر الحجرية. ويضيف أنه من غير الواضح استخدام لقب (ع ق ب) عاقب في النقش برع الأعلى رقم (2)، وكذا اللقب (و ز ع) وازع في النقش برع الأعلى رقم (1)، ووضعهما على رأس أعلى سلطة في إقليم واحد؛ لأن (الوازع) أعلى مكانة من (العاقب)، وأنه يعني الحاكم أو المسؤول عن إدارة إقليم أو منطقة[6].

عرفنا أن معد كرب أوشع، كان أبن أب يدع يشوع ذو ضرن (عقب) ممثل أو مسؤول دثينة. وقيام معد كرب بقطع أحجار الرخام للقصر الملكي المسمى

(1) Ja 655 /2; Ja 660 /14.

(2) as-Sawdaʾ 33/4; as-Sawdaʾ 34/2.

(3) Jamme 1962: 160.

(4) Muller 1978: 142.

(5) بيستون وآخرون 1982: 167؛ Biella 1982: 125.

(6) Robin 2005 – 2006: 57 – 58; Robin 2010: 54 note 58.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

(هرجب)، لا يعني أن وظيفته المسؤول عن المحاجر الحجرية، أنما بسبب أهمية المهمة، التي تتعلق بالقصر الملكي، قام بالإشراف على العمل بنفسه.

ومما تقدم يتبين أن المنصب (وزع) الوازع، يعني القائد، أي قائد عن جماعة معينة ضمن إقليم.

هـ - مقتوي (م ق ت و ي):

ذكرت بعض النقوش التي وجدت في وادي شرجان[1]، اللقب (مقتوي)، وهي:

النقش Doe-Shirjan 9 = MQ-Shirjan 17:

1 - ز ب د/ م 2- ق ت و ي/ م ر ي د 3- م/ ذ ع ك ل م

النقش Doe-Shirjan 11 = MQ-Shirjan 14:

1 - م ت أ ث/ م ق ت و 2- ي ن/ ذ ج ن ن

النقش برع رقم (4):

1 - ك و ك ب/ أ س د 2 - ت ب ع/ س ع د/ م ق ت و ي 3 - ت/ ذ ض ر ن

النقش Ja 2355 = 8/ 6 MQ-Shirjan:

8 - د أ ل ن/ م ق ت ت ن

تذكر النقوش أعلاه الاسم (مقتوي) أي مساعد أو معاون، بأكثر من صيغة (م ق ت و ي)، (م ق ت و ي ن)، (م ق ت ت ن). ويلاحظ أن النقشين الأول والثاني لم يوضحا مهمة المقتوي، بينما يذكر صاحب النقش الثالث أنه مقتوي العائلة (ذو ضرن)، وهي العائلة التي ينتمي إليها (عقب) مسؤول أو ممثل دثينة، و (وزع) قائد مضحي، أي أنه مساعد للعائلة المسؤولة عن برع من أرض دثينة. وأما النقش الرابع فصاحبه ذكر أنه قائد مئات المضحيين والدثنيين، وأن أولاده كانوا هم مساعديه.

(1) Doe 1964: 21.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يرد الاسم (مقتوي) في النقوش السبئية، بمعنى خازن، خادم (لقب خادم أو نائب أو مدبر عند ملك أو قيل أو قبيلة). أمير جند[1]. إلا أن النقوش التي تذكره تدل على أن المقتوي وظيفة إدارية، لا يمكن حصرها في مهمة معينة؛ لأنها ذات مهام متنوعة أو متعددة، قد تكون عسكرية أو مدنية، والذي يقوم بتعيين المقتوي هو الملك، أو القيل، ليكون مساعداً، أو معاونـًا له في عدة مهام[2].

و- نحل (ن ح ل):

جاء ذكر الاسم (نحل) في أربعة نقوش من وادي شرجان، وهي:

- النقش Ja 1817 = 3-1/ 25 MQ-Shirjān، ويؤرخه كريستيان روبان إلى القرن الخامس الميلادي، إلا أنه يضع عليه علامة استفهام؟[3]، وفيه:

1 - و هـ ب إ ل ن/ أ ح ش ر/ ذ ح

2 - ر م ن/ ن ح ل/ أ ف ر س ن/ و ش

3 - ر ح إ ل/ أ ص د ق/ ذ أ ح ر م

المعنى:

1 - وهب ألن أحشر ذو (ينتمي لعائلة)

2 - حرمان قائد الفرسان (الخيالة) و

3 - شرح إل أصدق ذو (ينتمي لعائلة) أحرم

- النقش 13 Doe-Shirjān = 20 MQ-Shirjān:

إ ل ي ف ع/ أ ي هـ ر/ ذ ح ر م ن/ ن ح ل/ ذ ق ر[.]/ ن/ ...

(1) بيستون وآخرون 1982: 109.

(2) يوسف 2010: 179-192؛ Robin 2005-2006: 58.

(3) Robin 2005-2006: 95.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إل يفع أيهر ذو (ينتمي لعائلة) حرمان قائد ذق ر .

– النقش MQ–Shirjān 5 = Ja 2354 /1:

هـ و ف ع م/ أ و ل ط/ ن ح ل/ و ب ن هـ و/ هـ

1 – هوف عم أولط قائد وولده

– النقش MQ–Shirjān 6 = Ja 2355:

1 – أ ع ز ز ن/ ن 2 – ح ل/ م أ ن ن 3 – أ م ض ح ن/ و 4 – أ د ت ن ن/ و

يلاحظ أن النقوش الأربعة تذكر مقولة مضحي؛ لأنها تعود لفترة سيطرتها على وادي شرجان، ومناطق شمال دثينة القديمة.

عُرفت الوظيفة أو المنصب (نحل) في النقوش السبئية[1]، والحضرمية[2]، والمعينية[3]، منذ الفترة القديمة. وجاءت في المعجم السبئي بمعنى قائد مرتزقة، رئيس مرتزقة، جند مرتزقة[4]. وأما في المعجم القتباني فترد بمعنى قائد، ضابط، قائد فرسان[5]. وهي عند هرمان فيسمان وكريستيان روبان، تعني (القائد)[6].

إن ورود (ن ح ل/ أ ف ر س ن) قائد الفرسان (الخيالة) في النقش الأول. وفي النقش الرابع (ن ح ل/ م أ ن ن/ أ م ض ح ن/ و أ د ت ن ن)، قائد مئات المضحيين والدثنيين. يؤكدا أن (ن ح ل) تعني قائد وحدات عسكرية. كما أن من تولى وظيفة (نحل) في النقش الأول، ينتمي إلى عائلة (ذو أحرم)، وينتمي صاحب النقش الثاني إلى عائلة (ذو حرمن)، وهما من العائلات التي ذكرتهما بعض النقوش، مما يدل

(1) DAI Sirwah 2005–50 /7; Haram 15 / 26; CIH 605 bis /4; Ja 665 /33, 35, 37.

(2) Ja 956 /1; Ja 960 /2.

(3) Haram 2 / 12; al–Jawf 04.28 /2.

(4) بيستون وآخرون 1982: 95.

(5) Ricks 1989: 104.

(6) Wissmann 1968: 82; Robin 2005–2006: 59.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

على أنها من أعيان وادي شرجان. وهذا يرجح أن الاسم (ن ح ل) يعني قائداً.

5 - ديانة دثينة القديمة:

عرفت جميع ممالك ومناطق جنوب شبه الجزيرة العربية، عبادة الآلهة الوثنية المتعددة، منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد. وكان لكل مملكة منها مجمع الآلهة الرسمي الخاص بها، واتخذت من الإله القمر إلهاً رئيساً لها، أجمعت عليه القبائل التي كونت اتحاد المملكة. هذا إلى جانب آلهة الحماية الخاصة، أي الآلهة المحلية، حيث كان لكل منطقة أو قبيلة آلهتها الخاصة[1]. وقد بينت النقوش أهمية ومكانة تلك الآلهة في حياة مجتمعاتهم، من خلال التقرب إليها في أعمالهم جميعها، وكذا حرصهم على تسجيل أسماء الآلهة التي عبدوها، في صيغ الدعاء والتوسل الرسمية، التي غالباً ما تختتم بها نقوشهم. واستمرت عبادة الآلهة الوثنية في جنوب شبه الجزيرة العربية، حتى القرن الثالث –الرابع الميلادي، عندما ظهرت ديانة التوحيد.

توضح النقوش أن منطقة دثينة القديمة في فترة قبل الإسلام، مرت بعبادة الديانتين: الوثنية (عبادة الآلهة الوثنية)، والتوحيد.

أ– عبادة الآلهة الوثنية:

بينت النقوش أن منطقة دثينة القديمة، كغيرها من مناطق ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية، عبدت الآلهة الوثنية المتعددة، وبسبب قلة النقوش التي جاءت من أراضي دثينة، يصعب معرفة طبيعة الحياة الدينية فيها، أو أسماء الآلهة المحلية الخاصة بها، إلا أنه يمكن التعرف على أسماء الآلهة الرئيسة التي عبدتها، التابعة لمملكتي أوسان وقتبان، الخاضعة لسيطرتهما. وهذه الآلهة:

(1) ريكمانز 1987: 37؛ الحسني 2012: 16.

آلهة مملكة أوسان:

أشرنا إلى أن دثينة القديمة كانت من أراضي مملكة أوسان المهمة، منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد، ويرجح أنها عبدت الآلهة الأوسانية، وأهمها الإله بلو الإله الرئيس لأوسان[1]، الذي أجمعت على عبادته مناطق المملكة جميعها. ولا يستبعد أن تكون منطقة دثينة أقامت له المعابد في أراضيها، ولكن بسبب الحرب على مملكة أوسان، كما جاء في النقش RES 3945، وتدمير وحرق مناطقها، ومنها دثينة، لم تصلنا نقوش تذكر آلهتها من تلك الفترة.

آلهة مملكة قتبان:

كانت مملكة قتبان هي الوريث الوحيد لمملكة أوسان، وبسطت هيمنتها على أراضيها، ومنها منطقة دثينة، منذ النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد حتى سقوطها.

اتخذ القتبانيون من الإله عم إلهًا رئيسًا لهم، ولقبائل ولدعم (ردمان وخولان، مضحي)، وأطلقوا على الإله عم الصفات أو الألقاب المختلفة، حيث كانت كل منطقة تعبده، تطلق عليه لقبه أو صفته الخاصة به. فمثلاً كان الإله عم ذو دونم الصفة الرئيسة له، وعُرفت في العاصمة تمنع. و (عم ذو مبرقم) كانت الصفة الرئيسة التي عُبد بها الإله عم في مقولة بني معاهر وذو خولان في ردمان (المعسال). وأما مقولة مضحي فعبدت الإله (عم ذو عذبتم) كصفة رئيسة لها[2]، وتوضح النقوش أن دثينة القديمة عبدت الإله عم ببعض صفاته، وهي:

-الإله عم ذو لبخ (ع م/ ذ ل ب خ):

يرد الإله عم ذو لبخ مع منطقة دثينة في نقشين من النصوص القانونية القتبانية،

(1) Calvet et Robin 1997: 58.

(2) الحسني 2012: 137-139؛ Robin 2005-2006: 68-69.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

سبق ذكرهما:

RES 3889 ;RES 3866، يؤرخا بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، يوضحا أن دثينة وقبيلة كحد في دثينة، كانت تعبد الإله عم ذو لبخ. وبحسب الوثيقة القانونية تلتزم دثينة بدفع عُشر المحاصيل الزراعية، والضرائب من الأرباح إلى الإله عم ذو لبخ في معبديه في وادي لبخ، وفي مدينة ذات غليم، وأن كبير (الشيخ –المسؤول) كحد في دثينة، هو من يقوم بتحديد العشر والضرائب، وتسليمها لكهنة (أرباب) الإله عم ذو لبخ، ولا يستبعد أن عملية أو مراسيم تسليم العُشر، ترافقها طقوس دينية تقام سنوياً، لم تشر إليها النقوش.

– الإله عم ذو ظرم (ع م/ ذ ظ ر م):

عثر في مواقع وادي شرجان ومواقع شمال دثينة القديمة، على عدد من النقوش تتقرب وتتوسل إلى الإله عم ذو ظرم، وتعود إلى فترات مختلفة، منها:

النقش CSAI II, 12 =2/ 2n.02 / 95.11 CIAS، الذي عثر عليه في وادي ضراوع، ويعود إلى نهاية القرن الأول الميلادي، وفيه:

2 – س ق ن ي/ إ ل س/ و م ر أ س/ ع م/ ذ ظ ر م/ ب ع ل/ ش ي [ح م]

2 – أهدى إلهه وسيده عَمّ ذو ظرم صاحب (المعبد) شيحم

يذكر النقش اسم معبد (شيحم)، الذي تمارس فيه عبادة الإله عم ذو ظرم، في وادي ضراوع، إلا أن موقع المعبد غير معروف فيه. كما جاء ذكر الإله عم ذو ظرم مع المعبد شيحم في النقشين MQ-Darawi‘ 2/6; MQ-Darawi‘ 3/6، وقد عثر عليهما في وادي ضراوع، ووردت فيهما صيغة واحدة، هي:

(ع م/ ذ ظ ر م/ ب ش ب ع ن/ ذ ش ي ح م)

عم ذو ظرم بمعبده شبعان صاحب (معبد) في شيحم

ويرد الإله عم ذو ظرم في نقوش أخرى[1]، عثر عليها في مواقع وادي شرجان. ويذكر كريستيان روبان أن الإله عم ذو ظرم، كان الإله الخاص بمواقع وادي شرجان[2].

تشير بعض النقوش التي وجدت في مواقع مختلفة من وادي شرجان، إلى عبادة الإله عم بصفات أخرى، إلا أن تلك النقوش جاءت مختصرة، لم تقدم معلومات عن طبيعة الديانة فيها، وهي:

– الإله عم ذو صرم (ع م/ ص ر م)، ورد في عدد من النقوش، جاءت من مواقع مختلفة: مراوح[3]، دمان[4]، ومكيراس[5].

– الإله عم ذو بهل (ع م/ ب هـ ل)، جاء في نقش من مكيراس[6].

– عثر في موقع مراوح على نقوش تذكر الإله عم ذو عثل (ع م/ ع ث ل)[7]. والإله عم ذو عسل (ع م/ ع سَ ل)[8].

كما عثر في مواقع مختلفة من شمال دثينة القديمة، على نقوش صغيرة تذكر بعض الإلهة المعروفة في قتبان وسبأ، منها: الآلهة (عثتر، ود، ذات حميم، شمس)[9].

ومما سبق يتبين أن مناطق شمال دثينة القديمة، وأهمها مواقع وادي شرجان، عبدت الإله عم بصفته ذو ظرم، وببعض الصفات الأخرى، هذا إلى جانب بعض

(1) Ja 2439 /1= CSAI I, 160; MQ-al-Hat 1 /7.
(2) Robin 2005-2006: 68.
(3) Ja 1478.
(4) RES 5014; RES 3521; RES 5014; RES 3521; RES 3526; RES 3527; RES 3528.
(5) Ja 1301.
(6) Ja 1484.
(7) Ja 2463; Ja 2464; Ja 2490 h.
(8) Ja 2490 h.
(9) Robin 2005-2006: 70-72.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الآلهة القتبانية. وهذا يعد طبيعياً نظراً لهيمنة مملكة قتبان على منطقة دثينة القديمة، وأيضاً لتداخل أراضي شمال دثينة مع أراضي مقولة مضحي، فضلاً أن مضحي فرضت سيطرتها عليها في القرن الثاني قبل الميلاد

ب- ديانة التوحيد:

استمرت عبادة الآلهة الوثنية المتعددة، في ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية منذ ظهورها، حتى أواخر القرن الثالث الميلادي، عندما تمكنت حمير (مملكة سبأ وذو ريدان)، من السيطرة على أغلب أراضي البلاد، ظهر تغيير أو تحول في الفكر الديني. فصيغة الدعاء والتوسل للآلهة الوثنية المتعددة التي تختتم بها النقوش، اختفت باستثناء نقوش معبد أوام في مدينة مارب عاصمة مملكة سبأ، الخاص بالإله إلمقه الإله الرئيس لمملكة سبأ، حيث كانت تذكره في نهاية النقوش[1]. وفي القرن الرابع الميلادي حدث التحول، من عبادة الآلهة الوثنية المتعددة، إلى ديانة التوحيد، أي عبادة الإله الواحد (رب السماء)[2].

عثر في أراضي شمال دثينة القديمة، على نقشين يوضحان أن دثينة عرفت ديانة التوحيد، ويعدا أقدم وأهم النقوش المعروفة حتى الآن على عبادة التوحيد، في جنوب شبه الجزيرة العربية، ووجد النقشان في وادي برع، جاء النقش الأول غير مؤرخ، في حين جاء الثاني مؤرخاً، وهما:

- النقش الأول: برع الأعلى رقم (2)، ونصه:

1 - أ ب ي د ع/ ي و ش ع/ ذ ض ر ن/ و ج م ل ن

2 - و أ ح ر م/ ع ق ب/ د ت ن ت/ ت ق د م/ م

3 - ق ص ع ت ن/ ذ ت/ ع ص ب ي ن/ ل ص هـ ر م

(1) Beeston 1984: 149; Robin 2001: 201.

(2) Beeston 1984: 149.

4 – م ق ل د ت ن/ ل م ق ح/ م ر أ هـ م/ (س ع) د م

5 – ي هـ س ك ر/ و ب ن ي هـ و/ أ ل هـ ت/ هـ ص

6 – ب ح/ و إ ل ن/ ب ع ل/ س م ي ن/ ل ي ر د أ ن هـ م و

المعنى

1 – أب يدع يوشع ذو (من عائلة) ضرن وجملان

2 – وأحرم والي (مسؤول) دثينة تولى عمل

3 – الألواح الحجرية المنحوتة لتكسيه

4 – الأحواض لإنجاز أسيادهم سعدم

5 – يهسكر وبنية (الذين ينتمون لقبيلة) الأصابح

6 – والإله بعل سمين (رب –سيد السماء) ليساعدهم

يختتم صاحب النقش أب يدع أشوع (عقب) ممثل أو مسؤول دثينة، أعماله بالدعاء والتقرب إلى الإله (بعل سمين). وهذه الصيغة لم تكن معروفة من سابق. وهي صيغة توحيدية تدعو الإله رب السماء، إي الإله الواحد.

يلاحظ أن النقش لم يؤرخ، ولتحديد تاريخ كتابته، نجد أنه يذكر سيده (سعد يهسكر) من قبيلة الأصابح، وهو أحد زعماء (أقيال) مقولة مضحي، الذي يرد في نقوش أخرى مؤرخة، منها النقش Ja 2356a /4، عثر عليه في وادي شرجان[1]، وهو مؤرخ إلى سنة 345 بحسب تقويم مضحي، ويوافق عام 310 ميلادية[2]. وله أيضاً النقش MAFRAY–Hasi 5 /1، الذي وجد في مدينة حصي حاضرة مقولة

(1) Jamme 1971: 89–91.

(2) Robin 2005–2006: 73–74,99.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

مضحي، وأُرخ إلى سنة 365 بتقويم مضحي، ويوافق عام 330 ميلادية[1]. وبذلك أُرخ النقش برع الأعلى رقم (2)، إلى عام 330 ميلادية[2].

إن تأريخ النقش أعلاه إلى عام 330 ميلادية، يجعل منه أقدم نقش توحيدي معروف حتى الآن، يذكر (بعل سمين) رب السماء، أي الإله الواحد، في جنوب شبه الجزيرة العربية.

- النقش الثاني: برع الأعلى رقم (1)، الذي عثر عليه مكتوب على الصخرة نفسها، التي كُتب عليها نقش برع الأعلى رقم (2)، ونصه:

1 - م ع د ك ر ب/ أ و ش ع/ ذ ض ر ن

2 - و ج م ل ن/ و ز ع/ م ض

3 - ح ي م/ ب ن/ أ ب ي د ع/ ت ق د م/ م ق

4 - ص ع ت/ م و ج ل ن/ ل ب ي ت/ م ل ك ن/ هـ

5 - ر ج ب/ ب ر د أ/ أ ل ن/ ب ع ل/ س م ي ن/ ب و

6 - ر خ ن/ ص ي د/ ذ ل ث م ن ت/ و ث م ن هـ ي/ و

7 - ث ل ث/ م أ ت م/ خ ر ي ف ت م

المعنى:

1 - معد كرب أوشع ذو (من آل) ضرن

2 - وجملان قائد مضحي

3 - بن أبي يدع قطع الواح

(1) Robin 2001: 192-194; Robin 2005-2006: 99.

(2) الأغبري 2013: 176؛ Robin 2005-2006: 73-94.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

4 – الأحجار (الرخام) لبيت (قصر) الملك (المسمى)

5 – هرجب بعون الإله بعل سمين (سيد السماء) في

6 – شهر صيد 388

يختتم صاحب النقش معد كرب أشوع (وزع) قائد مضحي، بالدعاء للإله (بعل سمين) رب السماء. ويوثق تاريخ كتابة النص، في شهر صيد سنة 388 بحسب التقويم الخاص بمقولة مضحي، الذي يوافق تقريباً بين عامي 343–353 ميلادية[1].

إن الدعاء في النقشين أعلاه باسم (بعل سمين) الإله سيد أو رب السماء، الذي لم يكن معروفاً من سابق، يمثل تحولاً في الفكر الديني، والاتجاه إلى عبادة الإله الواحد. وبالرغم من أن صيغة النقشين لم تحمل إي إشارة إلى الدين المسيحي أو اليهودي، إلا أنه لا يمكن عدّها غامضة، بل أنها متأثرة بديانة سماوية. لا سيما أن الديانات السماوية قد دخلت البلاد، منذ القرن الأول الميلادي[2].

يرد أقدم دليل على الديانة اليهودية في جنوب شبه الجزيرة العربية، في النقش (بيت الأشول 1)، وهو غير مؤرخ، إلا أنه يعود إلى عهد ذرأ أمر أيمن ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت، تقريباً بين نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس الميلادي[3].

وأما أقدم النقوش المؤرخة، التي تشير إلى عبادة التوحيد، الإله (بعل سمين)، نجد النقش YM 1950، من عهد ثأران يهنعم ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت، ومؤرخ إلى سنة 483 بحسب التقويم الحميري، والموافق عام 373

(1) Robin 2005–2006: 95.

(2) الأغبري 2013: 172.

(3) Beeston 1984: 150.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ميلادية[1]. ومؤخراً نشر النقش المحفوظ في المتحف العسكري بصنعاء برقم B 8457/ 5، الذي أُرخ إلى سنة 464 بالتقويم الحميري، الموافق 354 ميلادية[2]، ويعود إلى عهد الملك ذرأ أمر أيمن، الذي يذكره بدون لقبه الملكي، في حين يرد في نقوش أخرى مع لقبه ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت.

وبذلك يتضح أن النقش برع الأعلى رقم (1)، المؤرخ بين عامي 343 – 353 ميلادية، الذي يذكر الإله (بعل سمين) رب السماء، أي الإله الواحد، يُعد أقدم نقش توحيدي مؤرخ معروف حتى اليوم، في البلاد.

ومما تقدم يتضح أن منطقة دثينة القديمة عرفت ديانة التوحيد، أي عبادة الإله الواحد، وجاء من أراضيها أقدم النقوش، التي تدل على عبادة الإله (بعل سمين) رب السماء الإله الواحد في جنوب شبه الجزيرة العربية. فالنقش برع الأعلى رقم (1)، المؤرخ بين عامي 343–353 ميلادية، يمثل أقدم نقش مؤرخ حتى الآن، عن ديانة التوحيد في البلاد. في حين النقش برع الأعلى رقم (2)، الذي يعود تأريخه إلى عام 330 ميلادية، يُعد أقدم النقوش المعروفة حتى يومنا هذا على عبادة التوحيد، أي الإله الواحد، (بعل سمين) رب السماء في جنوب شبه الجزيرة العربية.

الخلاصة:

خلصت الدراسة إلى أن منطقة دثينة (د ت ن ت)، التي تقع في مديرية (مودية) في محافظة أبين، وما زال الناس إلى اليوم، يطلقون عليها الاسمين معـًا (دثينة ومودية)، وأن مساحتها اليوم أقل وأضيق، مما كانت عليه في الألف الأول قبل الميلاد، وحتى في العصر الإسلامي، إذ كانت تمتد من مودية حاليـًا، إلى جهة الشمال كور العواذل، في مديرية لودر ومناطقها: عقبة ثرة، ومكيراس، ووادي شرجان، والعادية – أمعادية،

(1) Robin 2001: 102; Gaida 2005: 21–29.
(2) Prioletta 2012: 315 – 332.

وعريب، ووادي برع، ووادي السيلة البيضاء، وإلى الشرق من لودر منطقة دمان، ووادي علمة، ومراوح، وغيرها. وتتداخل أراضي شمال دثينة القديمة مع أراضي مقولة مضحي، من قبائل أولاد عم القتبانية، الواقعة في محافظة البيضاء، وكانت الحدود بين دثينة القديمة ومقولة مضحي مماثلة للحدود السابقة، التي كانت بين اليمن الجنوبي واليمن الشمالي قبل عام 1990م، وامتدت دثينة غربـًا إلى جبل العرقوب وشقرة إلى يرامس بالقرب من مدينة زنجبار، وجنوبـًا إلى أحور على بحر العرب.

تبين أن منطقة دثينة القديمة كانت إحدى المناطق المهمة، التي ارتبطت بأحداث تاريخية مهمة في ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية، ويؤرخ أول ذكر لها في النقوش، إلى بداية القرن السابع قبل الميلاد. ويعود آخر ذكر لها تقريبـًا بين القرنين الخامس والسادس الميلادي. وذكرتها النقوش بصيغة (د ت ن ت)، عدا آخر نقش ذكرها بصيغة الجمع (أ د ت ن ن)، أي الدثنيون.

أتضح أن منطقة دثينة كانت من مناطق مملكة أوسان، التي حظيت بمكانة مهمة، وكانت من المناطق الأوسانية التي تعرضت للتدمير، خلال الحرب التي شنها حلف ممالك (سبأ، قتبان، حضرموت)، ضد مملكة أوسان، ودارت في أراضي دثينة معركة بين الجيشين، وتمت هزيمة أوسان، وتدمير دثينة وأحراق مدنها وأوديتها.

تتميز منطقة دثينة بأراضي زراعية خصبة، ذات محاصيل وفيرة، كما أن موقعها المهم تتوسط مناطق جنوب البلاد، جعل منها محطة تجارية، حيث كانت تقع بعض مناطقها على طريق القوافل التجارية القديم، منها التي تتجه شمالاً، إلى مضحي وذمار وغيرها، وكذا باتجاه الجنوب الغربي نحو ساحل أحور وعدن. وبعضها على طريق القوافل الذي يأتي من تمنع ومأرب.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

تبين أن مملكة قتبان كانت الوريث الرئيس لمملكة أوسان، بعد القضاء عليها في القرن السابع قبل الميلاد، واستولت على أراضيها جميعها، بما فيها منطقة دثينة القديمة.

وضحت الدراسة أن الاسم (ك ح د) كحد كان اسماً لعدة مناطق مختلفة، وأن (كحد) الذي ورد في اللقب الملكي القتباني الطويل، كان يقصد به منطقة دثينة القديمة، بدليل وروده في أحد النصوص القانونية الملكية (شعب كحد ذات دثينة)، قبيلة كحد في دثينة. وتبين أن (كحد) تشمل دثينة الحالية، وكذا مرتفعات دمان، ووادي علمة، ووادي شرجان، ومناطق شمال دثينة، كما جاء ذكر (كحد) في نقش واحد فقط، بصيغة الجمع (أ ك ح د ن) أي الأكحديون، نسبة إلى (كحد). وتمكنت مقولة مضحي في القرن الثاني الميلادي، من فرض هيمنتها على مناطق شمال دثينة.

أشارت نقوش دثينة إلى أسماء بعض المناصب الإدارية، التي تساهم في إدارة مناطقها، جاءت أغلبها من مواقع شمال دثينة القديمة، وهي:

الكبير (ك ب ر)، ويعني الشيخ أو المسؤول عن قبيلة أو مدينة تكون جزءاً من منطقة. ومحرج (م ح ر ج)، ويدل على الحاكم في وادي شرجان، أهم مناطق شمال دثينة القديمة، أي أنه الحاكم أو المسؤول، عن هذا الجزء من منطقة دثينة. وعاقب (ع ق ب)، من الوظائف متعددة المهام، قد يكون ممثلاً أو نائباً للملك أو القيل، وممكن أيضاً أن يعينه الحاكم مسؤولاً عن إدارة مدينة، أو جزء من منطقة تخضع لسلطته، أو يكون مسؤولاً عن قصر. والوازع (و ز ع)، أي القائد أو المسؤول عن جماعة معينة ضمن إقليم. ومقتوي (م ق ت و ي)، وظيفة متعددة المهام، قد تكون عسكرية أو مدنية، ويتم تعيين المقتوي من قبل الملك، أو القيل، ليكون مساعد، أو معاون له في عدة مهام. ونحل (ن ح ل)، تعني قائداً عسكرياً.

بينت الدراسة أن منطقة دثينة القديمة، كغيرها من مناطق ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية، في فترة قبل الإسلام، مرت بعبادة الديانتين: (الوثنية)، و

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(التوحيد). فقد عرفت منذ بداية الإلف الأول قبل الميلاد، الديانة الوثنية متعددة الإلهة، وبسبب قلة نقوش دثينة، لم تصلنا أسماء آلهتها المحلية الخاصة بها، إلا أنها كانت تعبد الآلهة الرئيسة لمملكتي أوسان وقتبان.

استمرت منطقة دثينة في عبادة الآلهة الوثنية، حتى الثلث الأول من القرن الرابع الميلادي، عندما عرفت ديانة التوحيد، عبادة الإله (بعل سمين) رب السماء، أي الإله الواحد. وجاءت من أراضيها أقدم النقوش المعروفة حتى اليوم، التي تدل على ديانة التوحيد، عبادة الإله الواحد، في جنوب شبه الجزيرة العربية.

الاختصارات:

[] يشير إلى أن الحرف أو الحروف، بين هذين الرمزين كانت على النقش، ولكنها اختفت نتيجة كسر أو طمس وغيرها.

() تكملة لبعض الحروف الناقصة في النقش التي تظهر منها أجزاء بسيطة.

... جزء محذوف.

al-Jawf	Inscriptions of al-Jawf, published by Mounir Arbach, M .et Schiettecatte, J, 2006.
Bura'	Inscriptions edited by Chr. Robin, 2005-2006.
CIAS	Corpus des Inscriptions et Antiquités Sud-arabes, 1-1977, 2-1986, Louvain.
CIH	Corpus Inscriptionum Semiticarum.
CSAI	Corpus of South Arabian Inscriptions, in Avanzini 2004.
DAI	Deutsches Archaologisches Institut
DhM	متحف ذمار Dhmar Museum

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

Doe–Shirjān	Inscriptions edited by B. Doe.
FB-al-Bayda	Inscriptions edited by F. Bron.
Ghul–YU	M. al- Ggul مجموعة نقوش نشرت بواسطة محمود الغول
Haram	Inscriptions from Haram, published by Chr. Robin Inventaire des Inscriptions Sud Arabiques, 1992.
Ja	Inscriptions edited by A. Jamme.
Müller-Kortler	Inscriptions edited by W. W. Müller 1978.
KR	Khor Rori. البعثة الإيطالية في خورروري - ظفار
Lahj no 61	Inscriptions edited by Chr. Robin, 2012.
MAFRAY	Mission Archéologique Française au République Arabe du Yemen.
MQ	Mission de Qatabān.
MuB	Bayahn Museum. متحف بيحان
Pi.	Inscriptions edited by J. Pirenne.
RES	Repertoire d'épigraphie sémitique.
Ry	Inscriptions edited by G. Ryckmans.
TC	Inscriptions of the Timna' Cemetery.
VL	Inscriptions of the Van Lessen Collection.

YM	Yemeni Museum, Ṣan‘ā’.

المراجع العربية:

الأغبري، فهمي، "نقوش سبئية جديدة تحتوي على أقدم نقش توحيدي مؤرخ"، **ريدان**، العدد 8، صنعاء، 2013م.

بافقيه، محمد عبدالقادر، **تاريخ اليمن القديم**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985.

بافقيه، محمد عبدالقادر، "نقش قتباني يذكر ملك عم وأنـ (بي)"، **ريدان**، العدد 6، مطابع معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي – المركز الفرنسي للبحوث العلمية – جامعات اكس مرسيليا، صنعاء، 1994م.

بيرن، جاكلين، "استطلاع تاريخي في منطقة مملكة أوسان"، **ريدان**، العدد 3، مطابع منشورات بيترز، لوفان، 1980م.

بيستون، أ. ف، ل، "لغات النقوش اليمنية القديمة نحوها وتصريفها"، في **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**، تونس، 1985م.

بيستون، أ. ف. ل، وآخرون، **المعجم السبئي**، دار نشريات بيترز–مكتبة لبنان، بيروت، 1982.

حبتور، ناصر صالح، "توحيد اليمن قديماً بين (ذكر إل) و (كرب إل)"، **سبأ**، العدد 12، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2003م.

الحسني، جمال محمد، **الإله عم وآلهة قتبان** (700 ق.م –170م)، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، طنطا، 2012م.

الحموي، ياقوت، **البلدان اليمانية**، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، الطبعة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت-مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1988.

روبان، كريستيان، "التسلسل التاريخي ومشكلاته"، **اليمن في بلاد ملكة سبأ**، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي- باريس ودار الأهالي، دمشق، 1999.

روبان، كريستيان، "مملكة قتبان ومدينة تمنع"، **تمنع العاصمة القديمة لقتبان**، بقلم: الساندرو دي مغريه وكريستيان روبان، ترجمة مالك الواسطي، مراجعة عيسى علي بن علي وعبد الباسط نعمان، البعثة الايطالية للآثار في جمهورية اليمن، 3، صنعاء، 2006م.

ريكمانز، جاك، "حضارة اليمن قبل الإسلام"، ترجمة علي محمد زيد، **دراسات يمنية**، العدد 28، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1987م.

السقاف، حمود محمد جعفر، "أول نقش يذكر مكرب أوسان"، **ريدان**، العدد 6، مطابع معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي – المركز الفرنسي للبحوث العلمية – جامعات اكس مرسيليا، صنعاء، 1994م.

عربش، منير، "رؤى جديدة لكتابة تاريخ مملكة قتبان من خلال الآثار والنقوش"، **حوليات يمنية**، العدد 3، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2006م.

عربش، منير والسقاف، عبدالرحمن حسن، "نقش جديد من عهد يدع أب ذبيان يهنعم ملك قتبان ويدع أب غيلان ملك حضرموت"، **ريدان**، العدد 7، مطابع معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي – المركز الفرنسي للبحوث العلمية – جامعات اكس، مرسيليا، الأفاق للطباعة والنشر، صنعاء، 2001م.

فرحان، عباس علوي، قبائل دثينة في عصر الدولة الرسولية (626-852هـ)،

الآداب، العدد 10، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2012م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم (ت 711هـ/ 1311م)، **لسان العرب**، الجزء 13، بيروت، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، 1999م.

الهمداني، الحسن بن أحمد، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990م.

يوسف، هالة، "دراسة تحليلية للقب (مقتوي) في النقوش السبئية"، **مجلة جامعة الملك سعود**، المجلد 2، السياحة والآثار (2)، الرياض، 2010م.

المراجع غير العربية:

Arbach, M, et Schiettecatte, J, **Catalogue des Pièces Archéologiques et Epigraphiques du Jawf au Musée National de San'a'** , Sana'a, 2006.

Avanzini, A, **Corpus South Arabian Inscriptions** I–III, Qatabanic, Marginal Qatabanic, Awsanite inscriptions, (Arabia Antica Series 2), Pisa, 2004.

Beeston, A.F. L, «Labakh Texts», **Qahtan**, Studies in Old Arabian Epigraphy, Fascicule. 2, London, 1971.

Beeston, A. F. L, «Himyarite Monotheism», dans **Studies in the History of Arabia**, II, PreIslamic Arabia, King Saud University Press, 1984, p. 149–154.

Biella, J. C, **Dictionary of Old south Arabic**, **Sabaean Dialect**, Harvard Semitic Studies. 25, Chico: Scholars Press,

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

1982.

Calvet, Y, et Robin, Chr, Arabie Heureuse Arabie Déserte, **Les Antiquités Arabiques du Musée du Louvre**, Notes et Documents des Musées 31, Paris, 1997.

CIAS, **Corpus Des Inscriptions EtAntiquités Saudi Arabes**, Tome.1-2, in J. Pirenne (ed), Académie Des Inscriptions Et Belles Lettres, Editions Peeters, Louvain,1977, 1986.

CIH, **Coroups Inscriptionm Semiticarum**, Pars quarta, Inscriptiones Himyarticas et Sabaeas Continens, (Tabulae, tomes. I, II et III) Parisiis, 1889 - 1932, (inscriptions nos 1-985).

Doe, B, Antiquities Report for the Years 1961-1963 and **Bulletin**, nº 4, Aden, 1964.

Doe, B. **Southern Arabia**, Thames and Hudson, London, 1971.

Gaida, I, «The Earliest Monotheistic South Arabian Inscription, **Archäologische Berichte aus dem Yemen**, Band 10, Sanaa, 2005, p. 21-29.

Gajda, I, et al., «Two Inscriptions Commemorating the Construction of A Mountain Pass, By Yyada' Ab Dhubyan Son of Shahr Mukarrib of Qatabān, and By the Qayls of the Madhi Tribe», **Egitto Vicino Oriente** 32, 2009, p. 165-181.

Gajda, I, et Bron, F, «Les inscriptions sudarabiques découvertes dans le wādī 'Alma», **Semitica et Classica**. 17, 2017,

p, 195-213.

Jamme, A, **Sabaean Inscriptions From Maharm Bilq-is (Marib)**, (Publications of the American Foundation for the Study of Man, 3), Baltimore, 1962.

Jamme, A, **Miscellanées d'ancient Arabe** 2, Washington, 1971.

Kitchen, K. A, **Documentation for Ancient Arabia**, Part II, Bibliographical Catalogue of Texts, World of Ancient Arabia Series, Liverpool University Press, Liverpool, 2000.

Muller, W, «Sabaische Felsinschriften von der jemenitishen Grenze zur Rubʿ al-Ḫālī», **Neue Ephemeris für semitische Epigraphik**, 3, 1978, p. 113-136.

Nebes, N, «Sabaische Texte», in F. Breyer and M. Lichtenstein (eds.), **Staatsverträge**, **Herrscherinschriften und andere Dokumente zur politischen Geschichte**. Texte aus der Umwelt des Alten Testaments. Neue Folge. 2. Gütersloh: Gütersloher Verlagshaus, 2005, p. 331-367.

Pirenne, J, "Deux prospections historiques au Sud- Yémen", **Raydan**, 4, 1981, p. 205-248.

Pirenne, J, «Les Arbay du Dieu 'Amm de Labakh et Leur Sanctuaire Rupestre», in **Etudes Sud-Arabes**, **Recueil offert**

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

a Jacques Ryckmans, **publications de L'institut Orientaliste**, De Louvain 39, Louvain, 1991, p. 153-166.

Prioletta, A. «A New Monotheistic Inscription from the Military Museum of Ṣanʿā», in A. V. Sedov (ed.), **New Research in Archaeology and Epigraphy of South Arabia and its Neighbors**, Proceedings of the «Rencontres Sabéennes 15» held in Moscow, May 25th -27th, 2011. The State Museum of Oriental Art- Russian Academy of Sciences Institute of Oriental Studies, Moscow, 2012, p. 315-332.

RES, **Répertion d' E'pigraphie Sémitique**, publié par La Comission du Corpus Inscrptionum Semiticarum (Académie des Inscriptions et Belles-Lettres): Tome.V,1929; Tome. VI, 1935 ; Tome. VII, 1950, (rédiges par : G. Ry), Paris.

Ricks, S, D, **Lexicon of Inscriptional Qatabanian**, **Editrice Pontificio Instituto Biblico**, Rome, 1989.

Robin, Chr, **Inventaire des Inscriptions Sudarabiques**, Tom 1 , Inabba, Haram, AL- Kaffir , Kamna et AL-Harashif , Deffusion de Boccard , Paris. 1992.

Robin, Chr, «Décompte du temps et souveraineté politique en Arabie méridionale», in F. Briquel-Chatonnet and H. Lozachmeur (eds.), **Proche-Orient ancien. Temps vécu, temps pensé**, Actes de la table ronde du 15 novembre 1997

organisée par l'URA 1062, Etudes Sémitiques, (Antiquités sémitiques, 3).1998, Paris. p. 121-151.

Robin, Chr, «Les Inscriptions dr Hasi, (avec une contribution de Serge Frantsouzoff)», **Raydan**. 7, 2001, p. 179-199.

Robin, Chr, Le judaisme de Himyar, **Arabia**. 1, 2003, p. 97-172.

Robin, Chr, «Les Banū Hasbah, princes de la commune de Madhâm», **Arabia**, 3, 2005-2006, p. 31-110.

Robin, Chr, «Nagrān vers l'époque du massacre», notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du christianisme (avec un réexamen du Martyre d'Azqīr). in **Le massacre de Najrân**. **Religion et politique en Arabie du Sud au VIe siècle**, Association des amis du Centre d'histoire et civilisation de Byzance, Paris, 2010, p. 39-106.

Robin, Chr, «'ṯtr au féminin en Arabie méridionale», in A. V. Sedov (ed.), **New Research in Archaeology and Epigraphy of South Arabia and its Neighbors**, Proceedings of the «Rencontres Sabéennes 15» held in Moscow, May 25th -27th, 2011. The State Museum of Oriental Art- Russian Academy of Sciences Institute of Oriental Studies, Moscow, 2012, p. 333-366.

Robin, Chr, «Tamnaʿ et Qatabān, L'état des lieux», dans **Les fouilles italo-françaises**, **rapport final**, édd. Alessandro de Maigret et Christian Julien Robin (Orient et Méditerranée, 20),

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

Paris–de Boccard, 2016, p.17–80.

Robin, Chr, et Gajda, I, «L'inscription du Wadi 'Abadan», Raydan. 6, 1994. p. 113–137.

Al–Sheiba, A. H, Die Ortsnamen in den Altsudarabischen Inschriften, **Archäologische Berichte aus dem Yemen**, Band 4, Sana'a, 1987.

Wissmann, H, **Zur Archaologe Und Antiken Geographie Von Sudarabien**, **Hadramaut**, **Qataban Und Das 'Aden–Gebiet in Der Antike**, Istanbul, 1968.

Wissmann, H, und Hofner, M, **Beitrage zur histrischen Geographie des vorislamischen Sudarabien**, (Akademie der Wissenschaften und der Literatur Abhandlung der Geites–und Sozialwissenschaftlichen Klasse, Jahrgang 1952. Nr. 4), Wi–esbaden, 1953.

الخرائط:

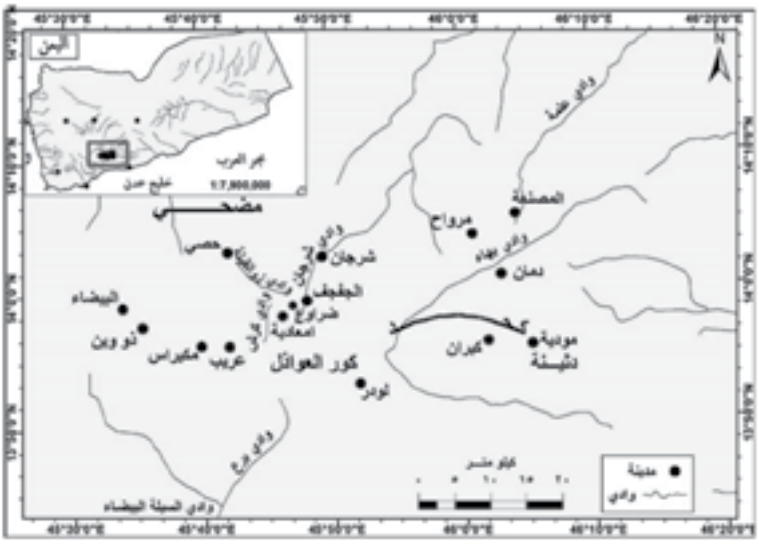

خريطة رقم 1: مواقع منطقة دثينة الشمالية وحدودها مع مضحي. Robin 2005- 2006: 324. ، بالتصرف

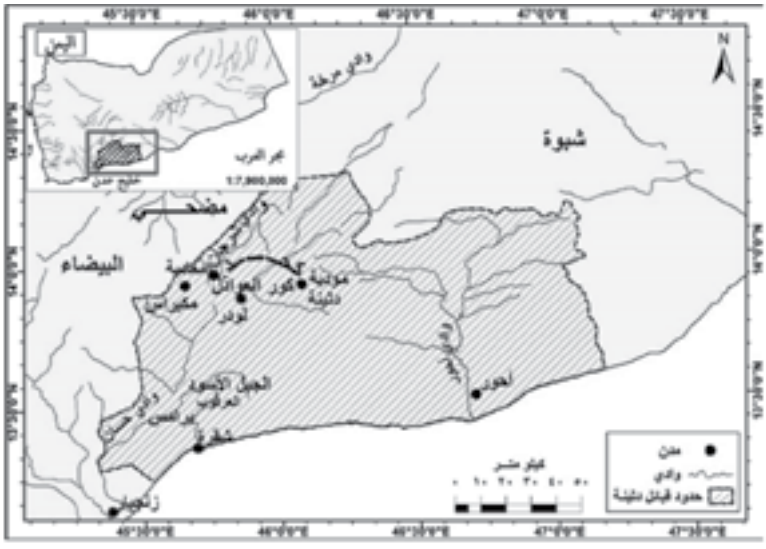

خريطة رقم 2: دثينة في الألف الأول قبل الميلاد حتى بعد الإسلام. فرحان 2000: 221. بالتصرف

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

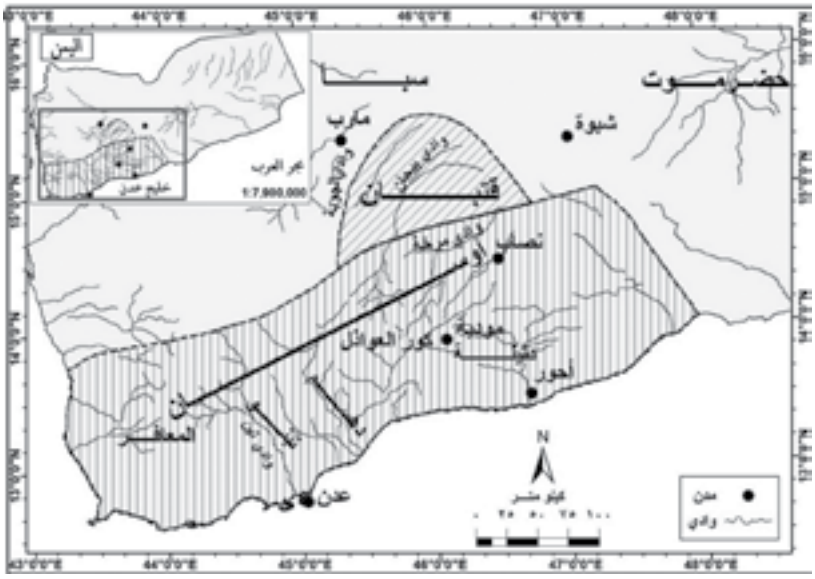

خريطة رقم 3: مملكة أوسان نهاية القرن الثامن - بداية القرن السابع قبل الميلاد. Pirenne 1980: 230. بالتصرف

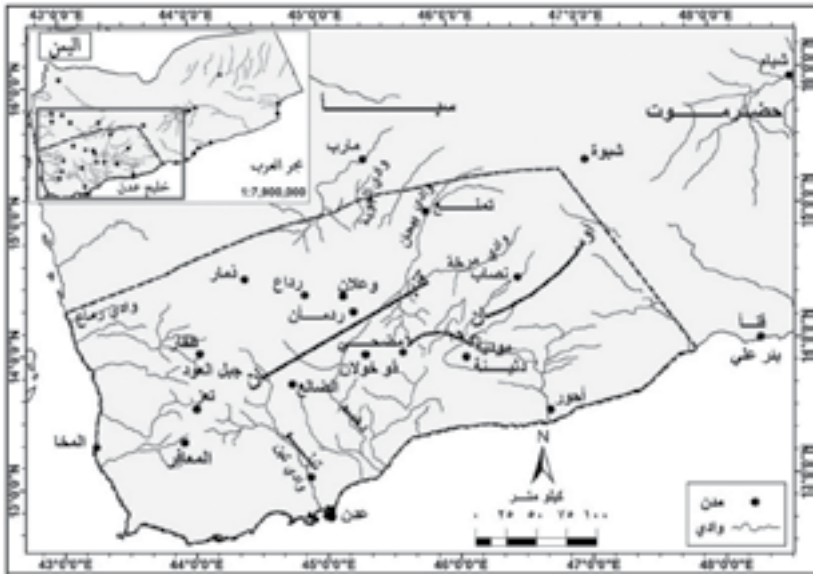

خريطة رقم 4: مملكة قتبان خلال القرن السادس-القرن الثاني قبل الميلاد. روبان 2006: الغلاف. بالتصرف

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

نقش ضراء 10
البعسي 1
نقش جديد من وادي ضراء

د. فيصل حسين ناصر البعسي[1]

الملخص

يقدم هذا البحث دراسة تحليلية لغوية لنقش جديد عثر عليه الباحث في وادي ضراء، الذي تتضح أهميته الأثرية والتاريخية من خلال كم النقوش التي عثر عليها فيه، والمعروفة لدى الباحثين باسم نقوش ضراء وتعد من أهم آثار الوادي وأكثرها اهتماما من قبل الباحثين، وعددها (10 نقوش) بما فيها نقشنا هذا، ويعود اغلبها إلى ما قبل منتصف القرن الرابع الميلادي، ويغلب على مواضيعها الطابع الزراعي، فهي تتحدث إجمالا عن بعض الأعمال المتعلقة بالري واستصلاح الأراضي الزراعية والتي قام بها حكام محليين في وادي ضراء وأودية أخرى، ونقشنا لشخص يدعى غالب يلهب بن دوسم من بني قسمم، وهو نفسه صاحب نقش المرجلة أو نقش ضراء 8 والموسوم "RES 3856"، وعليه يمكن تاريخ النقشين مبدئيا من القرن السابع ق.م إلى ما قبل الرابع الميلادي، حيث خطهما صاحبهما في وقت كان فيه بنو قسمم هؤلاء أمراء لقبيلتي ذو

(1) أستاذ التاريخ والآثار القديمة المساعد في كلية التربية شبوة – جامعة عدن.

محرضو ومشرقيتن في وادي ضراء، ويبدو إنهم كانوا يدينون بالولاء لمكرب قتبان، ولمعبود قتبان الرئيسي عم. يتحدث غالب بن دوسم في هذا النقش عن إصلاحات قام بها في بستان النخيل الخاص به والمسمى لهجن أو لهجان.

Abstract

It is clear that the valley of Dhora becomes a very important historical and archeological site because the many inscriptions which were discovered in it. These inscriptions are called "inscriptions of the valley of Dhora". They are the most important relics in the valley. They are given more attention by researchers for their importance. The number of these inscriptions are ten. One of them is this inscription. Most of these inscriptions date back to the first half of the fourth century A.D. They are about agriculture field so that they explain irrigation and the reform of agricultural lands which were ruled by local rulers in the valley of Dhora and other valleys. This inscription is about a person called Qalib Yalhib bin Dosim. He is from Bani Qasmim. This person is the same person in "the inscription of the cauldron" or the inscription of Dhora 8 which is named "RES3856". Depending on this, this inscription dates back to the period between the seventh century B.C. and the time before the fourth century A.D. when the person in the inscriptions inscribed them in the valley of Dhora. It seems that the local rulers were loyal to "Makreb" the ruler of Qataban. They worshiped "Am" the main idol of Qataban. In this inscription, Qalib bin Dosim explained about the reforms which he made in the farm of palms that belongs to him. This farm was called "Lihgin or Lihgan".

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

تمهيد:

عنوان البحث هو "نقش ضراء 10 البعسي 1 نقش جديد من وادي ضراء"، وموضوعه عبارة عن دراسة تحليلية لغوية لهذا النقش الذي عثرنا عليه في وادي ضراء وفضلنا وسمه بـ (نقش ضراء 10) وذلك إلحاقا بالنقوش السابقة التي عثر عليها في هذا الوادي، ثم ميزناه بـ (البعسي 1) نسبه للباحث الذي كشف عنه لأول مرة في رسالة الماجستير في العام 2009 م[1]، وقد اكتفيت حينها بنشر صورة له مع تعليق بسيط اعتقادا مني أنه لا يمثل إلا بداية فاشلة لنقش ام مرجلة (نقش ضراء 8) والذي يقع إلى الأسفل من هذا النقش بحوالي 17كم. وخاصة إن النقشين يبدآن باسم صاحبهما غالب يلهب بن دوسم، ويتحدث فيهما عن بعض الأعمال الزراعية التي نفذها في وادي ضراء.

وقبل الخوض في تفاصيل النقش يجدر بنا في البداية التعريف بنقوش وادي ضراء السابقة، وهي تسعة نقوش، وتعد من أهم آثار الوادي وأكثرها اهتماما لدى الباحثين وهي:

نقشي ضراء1 وضراء2:

ويرجعان إلى عهد مكرب قتبان يدع أب ذبيان يهنعم بن شهر ملك قتبان وولد عم وأوسان ودهسم وتبنو.[2] حوالي القرن الرابع ق.م.[3] ويتحدثان عن بناء سور

(1) البعسي، فيصل حسين ناصر، مستوطنات أودية كور العوالق محافظة شبوة اليمن دراسة تاريخية وأثرية، مذكرة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى المجلس العلمي لمعهد الآثار جامعة الجزائر ، الجزائر 2009م، ص 276.

(2) نقش ضراء1، سطر 3, 2, 1.

Pirenne.J: Deux Prospections Historiques Au Sud Yémen Raydan, vol 4 و .Pp 227,228.

(3) بريتون، جان فرانسوا، وبافقية، محمد عبدالقادر، وآخرون: كنوز وادي ضراء، حفرية إنقاذ مشتركة في موقع هجر ام ذيبية، من الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف، فرع

مدينة عبر، والتي يرجح أنها هجر حويدر حيث عثر على النقشين، ولا زال النقش الأول محفوظا في الموقع نفسه، حيث يشكل جزء من جدار أحد المباني الحديثة التي أقيمت على أنقاض الموقع، عبارة عن حجر من الرخام الأبيض رباعية الشكل حوالي 60 × 60 سم، وفيه ثغرات كثيرة، وهو لأحد أتباع المكرب المذكور، والنقش الثاني كامل وهو للمكرب نفسه، وفيه يتحدث عن بناء سور ومحفد المدينة "عبر"[1] أو "عبير"،[2] بعد إن دمرتها حضرموت،[3] ويشير أن جملة هذه الانجازات قد تمت بعون وقوة شعبه ضراء. "ش ع ب س / ذ ض ر ا".[4]

نقش ضراء3:

وهو نقش ام مغيرة آو قرن الملاح، ويوسم بـ "RES 4069"، وهو منقوش على واجهة صخرية أسفل جبل ام مغيرة على الضفة اليسرى لوادي ضراء، حوالي 30 كم غرب مدينة نصاب. ويعود تاريخه إلى 598 ح حوالي 483 م، ودونه مجموعة من بني لحيعة يرخم[5] اليزنيين ويتحدثون فيه عن قيامهم ببعض الأعمال الزراعية بضراء[6].

نقوش ضراء من 4 - 7:

وهي مجموعة نقوش ام قضاض، ففي نقش ضراء4 يتحدث أصحابه وهم أذواء حب، عن إقامة أعمال تتعلق بالري في وادي ضراء وسرع، أما النقش ضراء5 فهو لشخص اسمه شيم أل بن أبي كرب عاقب "والي" ذي حب بضراء وعبدان

عدن، المركز اليمني سابقا والبعثة الأثرية الفرنسية في اليمن، المكتبة الشرقية بول غوثنر، باريس، 1993م، ص 9.

(1) نقش ضراء1، سطر 5.

(2) بريتون وآخرون، كنوز وادي ضراء، ص 9.

(3) نقش ضراء2، سطر 6.

(4) نقش ضراء1، سطر 6.

(5) نقش ضراء 3، سطر 8.

(6) حبتور، ناصر صالح يسلم، اليزنيون ـ موطنهم..ودورهم في تاريخ اليمن القديم، ط1، جامعة عدن و دار الثقافة العربية، الشارقة، 2002، ص 23 ومواضع أخرى.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وغرت، ونقش ضراء6 صاحبه يسمى عاديه هجان، ويذكر فيه انه عاقب "والي" غرت وحدها، ونقش ضراء7 عبارة عن رسم صخري جميل يقع إلى اليسار قليلا من نقش ضراء4 ويصور كلبي صيد يهاجمان وعل، وكتب فوق احدهم "سمع = سميع" وفوق الأخر "صهب = صهيب" إشارة إلى اسميهما أو اسمي صاحبيهما.

ضراء8: (صورة2)

وهو نقش ام مرجلة الموسوم "RES 3856"، والمدون على واجهة صخرية في منطقة ام مرجلة على الضفة اليسرى للوادي، غرب مدينة نصاب بحوالي 15 كم، ويتحدث فيه صاحبه غالب بن يلهب بن دوسم عن جملة من الإصلاحات والأعمال التي نفذها في أراضيه الزراعية، وآباره وقنواته[1]، ومقدار ما زرعه من أشجار في مختلف أراضيه[2]. ويذكر من تلك الأراضي "ش ب ع ن" "شبعان" و"ل ج أ م"[3]، وهذه الأخيرة يحتمل أن تكون هي الأرض نفسها المذكورة في نقش النصر،[4] والتي يرجح أن تكون موقع لجية الأثري في أعلى وادي مرخة، كما يذكر أرض أخرى سماها "س ر ع" ونرجح انه يقصد بها الأرض الزراعية المعروفة بهذا الاسم إلى اليوم في وادي سرع في منطقة المصينعة.

ضراء9:

وهو نقش سبئي عثر عليه في موقع هجر ام ذيبية في وادي ضراء، ويتكون من ثلاثة اسطر ناقصة من جانبين، إلا انه يصعب ربط ذلك النقش بالسيطرة السبئية المفترض قيامها في المنطقة في القرن السابع ق.م.[5] ويرجح انه يرجع إلى الفترة اليزنية.

(1) RES 3856 / 1.2.
(2) RES 356 / 3.
(3) RES 3856 / 2.
(4) RES 3945 / 4.
(5) بريتون وآخرون، كنوز وادي ضراء، ص 8.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

نقش ضراء10

البعسي 1

الموقع:

يعرف الموقع الذي يتواجد فيه النقش باسم (جول السادة)، ويقع في منطقة (عرياب) أعلى وادي ضراء، إلى الأسفل من منطقة الحنوة على الضفة اليسرى للوادي، غرب مدينة نصاب بحوالي 32 كم. ويغلب على تكوين جبال الموقع الحجر الجيري وهو حجر جيد للرسم والنقش، مع وجود بعض التداخلات القليلة لحجر الشيست التي تزيد كلما اتجهنا للأعلى من هذا الموقع.

تاريخ اكتشاف النقش:

تم العثور على النقش في شهر مايو من العام 2007 م، وذلك أثناء قيامي بالمسح الميداني لرسالة الماجستير، وفي العام 2009 م تم الكشف عنه لأول مرة وذلك في رسالة الماجستير [1]، حيث اكتفيت حينها بنشر صورة له مع تعليق بسيط، اعتقادا مني أنه لا يمثل إلا بداية فاشلة لنقش (ضراء 8) والذي يقع إلى الأسفل من هذا النقش بحوالي 17كم. وخاصة إن النقشين يبدآن باسم صاحبهما غالب يلهب بن دوسم.

وصف النقش: (صورة1)

دون النقش على واجهة صخرية كبيرة من الحجر الجيري ترتفع عن قاع الوادي بحوالي 2,5 م، وتقدر مساحتها الكلية بحوالي 2,5 م ارتفاعا في 2 م عرضا، ويشغل النقش تقريبا الربع الأعلى الأيسر من تلك الواجهة، ويتكون من أربعة أسطر، تحوي 14 كلمة وخمسين حرف، وجميعها في حالة جيدة من الحفظ، وهي من النوع الغائر بعمق تقريبا 3 مم، ومتوسط أبعاد للحرف الواحد من 3 – 3,5 سم عرضا و 8 سم ارتفاعا.

(1) البعسي، مستوطنات أودية كور العوالق، ص 276.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

النقش بحروفه الأصلية

النقش بحروف عربية

س 1: غ ل ب م / ي ل هـ ب / ب ن / د و س

س 2 : م / ب ن / ق س م م / ب ن ي / و س

س 3: ع ش ق / ك ل / م ب ر أ / و ع ش ق

س 4: / ف ن و ت / ن خ ل س / ل هـ ج ن

محتوى النقش

1. غالب يلهب بن دوسم
2. من بني قسمم بنى
3. بالأحجار كل أساسات ومباني (مضالع) وشق
4. قناة بستان نخيله المسمى لهجان.

التعليقات

سطر 1 : غلبم يلهب : غالب يلهب: اسم علم مذكر مركب.

بن: ابن[1].

دوسم: علم مذكر.

سطر 2 : بن قسمم: من بني[2] قسمم.

(1) Ricks, Stephen, Lexicon Of Inscriptional Qatabanian, Roma, 1989 Pp29..

(2) Ricks, Lexicon , Pp 29..

وصاحب النقش غالب يلهب بن دوسم من بني قسمم هو نفسه صاحب نقش المرجلة أو نقش ضراء 8 والموسوم "RES 3856"[1]، والمدون على واجهة صخرية في منطقة ام مرجلة على الضفة اليسرى للوادي، إلى الغرب من مدينة نصاب بحوالي 15 كم، إلى الأسفل من نقشنا هذا بحوالي 17 كم. ويلاحظ هنا وضوح اسم صاحب النقشين وهو (غالب يلهب)[2] وليس (غالب يلحب)، كما هو شائع في قراءة نقش المرجلة[3]، ويبدو أن نقل الاسم في نقش المرجلة كان خاطئ نتيجة التلف الذي أصاب الحرف هـ. وعليه يمكن تاريخ النقشين مبدئيا من القرن السابع ق.م إلى ما قبل الرابع الميلادي، حيث خطهما صاحبهما غالب يلهب بن دوسم بن قسمم، في وقت كان فيه بنو قسمم هؤلاء أمراء لقبيلتي ذو محرضو ومشرقيتن[4] في وقت كان فيه وادي ضراء خاضعا لقتبان،[5] وكانوا بنو قسمم يدينون بالولاء لمكرب قتبان، ولمعبود قتبان الرئيسي عم[6]. وبعد ذلك امتد نفوذهم إلى وادي عبدان[7].

(1) RES 3856 /1

(2) نقش ضراء 10، سطر 1.

(3) الأرياني مطهر علي، في تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات، ط 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990، ص 286 – 305.

(4) RES 3856 / 5.

(5) RES 3856 /1 – . وانظر: بافقية، محمد عبدالقادر، توحيد اليمن القديم، الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت، من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء، 2007، ص 152.– وبريتون وآخرون، كنوز وادي ضراء، ص 5.

(6) بريتون، وآخرون، كنوز وادي ضراء، ص9 .

(7) نقش عبدان الكبير، سطر2. وبافقية، محمد عبدالقادر، عودة إلى نقش عبدان الكبير"2"، حولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد السابع، عدن، 2001، ص 34.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

بني: فعل ورد في عدة نقوش[1] بمعنى بنى أو شيد[2]، وهو بنفس المعنى في معاجم اللغة[3].

س3: وسعشق: عشق: فعل ورد في عدد من النقوش[4] بمعنى: حفر، شق، أقام، أنجز (بناء) بنى[5]. ونعتقد أن المقصود هنا بنى بالأحجار.

مبرأ: اسم ورد في عدد من النقوش[6] بمعنى: بناء، مبنى. ويرد بنفس المعنى في المعجم السبئي[7]، وفي المعجم القتباني[8].

وعشق: عشق سبق شرحه، والسياق المناسب للمعنى هو شق.

سطر 4: فنوت: اسم ورد في عدد من النقوش[9] بمعنى ساقية فرعية، كما ورد في المعجم السبئي[10] بنفس المعنى.

---

(1) RES 2976 / 4 و RES 4635 /2

(2) Biella, Joan, Dictionary of Old South Arabic (Sabaean Dialect), Harvard Semitic Studies,25,1982, Pp 47,48 وانظر أيضا: الأغبري، فهمي علي, معجم الألفاظ المعمارية في نقوش المسند، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء 785 / 2010، صنعاء 2010، ص 31 و32.

(3) أبن منظور, لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، 1990, ص 272.

(4) بافقية, محمد عبدالقادر – باطايع, أحمد، نقشان جديدان من الحد (من خولان ولد عم سفر), حولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد الخامس، عدن 1988، ص 41. و RES 4194 /2,3

(5) Ricks, Lexicon , Pp 125.. وانظر: الأغبري، معجم الألفاظ، ص143.

(6) RES 4069 /10 و CIH 54 /24,25 .

(7) بيستون. أ. ف. ل. وآخرون، المعجم السبئي، بالانجليزية والفرنسية والعربية، دار نشريات بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص 30.

(8) Ricks, Lexicon , Pp 33..

(9) CIH 657 / 3

(10) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، ص45. والأغبري، معجم الألفاظ، ص157.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

نخلس: نخله, والمقصود هنا بستان نخله.

لهجن: اسم البستان لهجن أو لهجان.

1. يتحدث غالب بن دوسم في هذا النقش عن أعمال قام بها في بستان النخيل الخاص به والمسمى لهجن أو لهجان[1].
2. يؤكد النقش إلى جانب نقش ضراء 8 على المكانة والثراء الذي كان يتمتع بهما هذا الحاكم المحلي ونفوذه ومدى اهتمامه بالشأن الزراعي في إمارته خلال فترة حكمه.
3. على الرغم من ندرة أشجار النخيل في وادي ضراء اليوم فان النقش يؤكد أن زراعة النخيل كانت تشغل حيز كبير من المساحات الزراعية في الوادي.
4. تتضح أهمية المنطقة التي يتواجد فيها النقش (منطقة عرياب أو الحنوة) من خلال الكم الكبير لبقايا المنشآت المتعلقة بالري والزراعة فيها (لوحة 4)، ونرجح أن الأعمال التي يتحدث عنها النقش تتمثل في تلك البقايا التي عثرنا عليها هناك، وخاصة نقب عرياب الكبير وملحقاته، والذي يعد من أهم واكبر بقايا منشآت الري ليس على مستوى وادي ضراء بل على مستوى المنطقة، وهو نقب (شق في لسان جبلي) استطاع المهندس من خلاله أن يحول مجرى الوادي جزئيا، ومن ثم استغلال المساحة الناتجة عن هذا التحويل واستصلاحها كأرض زراعية، تعرف باسم (الحنوة) وتقدر مساحتها بحوالي 6 فدان، ويزيد حجم الإرساب فيها عن 20 متر[2] (لوحة 3).

(1) البعسي، فيصل حسين ناصر، منشآت الري في منطقة أودية كور العوالق في اليمن محافظة شبوة دراسة أثرية وتاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى المجلس العلمي لمعهد الآثار جامعة الجزائر2، الجزائر 2014، ص 154.

(2) للمزيد من التفاصيل عن هذا النقب وملحقاته انظر: البعسي، منشآت الري، ص 156 – 165.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الخاتمة

يشكل نقشنا هذا إضافة جديدة لمجموعة النقوش التي تم العثور عليها في وادي ضراء، والمعروفة لدى الباحثين باسم نقوش وادي ضراء، أو نقوش ضراء، وتعد من أهم آثار الوادي وأكثرها اهتماما من قبل الباحثين، وهي إجمالا تؤكد الأهمية الأثرية والتاريخية لوادي ضراء، الذي كان أحد أودية مملكة أوسان، وفي القرن السابع ق.م أصبح جزءا من دولة قتبان، ثم من الأودية اليزنية في القرن الرابع الميلادي. ومن خلال هذه النقوش أيضا يتضح الدور الحيوي الذي كان يضطلع به هذا الوادي، وما كان يشكله من أهمية إستراتيجية في سياسة الممالك العربية الجنوبية التي حكمت المنطقة وخاصة في مجال الزراعة، ويضاف نقشنا هذا إلى مجموعة نقوش ضراء ذات الطابع الزراعي، وهي من ضراء 3 إلى ضراء 8، والتي تتحدث في الإجمال عن بعض الأعمال المتعلقة بالري واستصلاح الأراضي الزراعية والتي قام بها حكام محليين في وادي ضراء وأودية أخرى، كما يستفاد منها انه قد تعاقب على حكم وادي ضراء عدد من الإمارات والأسر الحاكمة المحلية الذين اهتموا بالزراعة والري وذلك قبل أن ينضوي الوادي تحت حكم الإمارة اليزنية في القرن الرابع الميلادي، ومن أشهر هذه الأسر (أذواء حب، وغرت، وبني قسمم). ونقشنا لشخص يدعى غالب يلهب بن دوسم من بني قسمم، وهو نفسه صاحب نقش المرجلة أو نقش ضراء 8 والموسوم "RES 3856"، وعليه يمكن تاريخ النقشين مبدئيا من القرن السابع ق.م إلى ما قبل الرابع الميلادي، حيث خطهما صاحبهما في وقت كان فيه بنو قسمم هؤلاء أمراء لقبيلتي ذو محرضو ومشرقيتن في وادي ضراء، ويبدو إنهم كانوا يدينون بالولاء لمكرب قتبان، ولمعبود قتبان الرئيسي عم. ويتحدث غالب بن دوسم في هذا النقش عن إصلاحات قام بها في بستان النخيل الخاص به والمسمى لهجن أو لهجان.

الملاحق

لوحة (1) صورة للنقش (ضراء 10).

تصوير الباحث

لوحة (2) صورة لنقش المرجلة (ضراء 8)

تصوير الباحث

لوحة (3) الأرض الزراعية التي نرجح أن النقش ضراء 10 يتحدث عنها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تصوير الباحث

لوحة (4) لوحة ترقيمية لبقايا منشآت الري في الحنوة منطقة تواجد النقش ضراء 10.

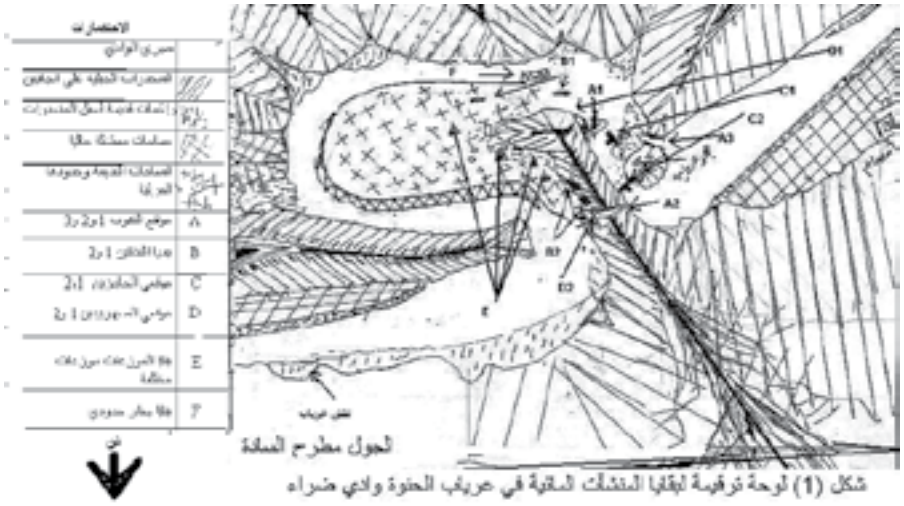

شكل (1) لوحة ترقيمية لبقايا المنشآت المائية في خريب الحنوة وادي ضراء

رسم الباحث

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المراجع:

1. أبن منظور, لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، 1990.
2. الأرياني، مطهر علي، في تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات، ط 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990.
3. الأغبري، فهمي علي, معجم الألفاظ المعمارية في نقوش المسند، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء 785 / 2010، صنعاء 2010.
4. بافقية, محمد عبدالقادر – باطايع, أحمد، نقشان جديدان من الحد (من خولان ولد عم سفر), حولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد الخامس، عدن 1988.
5. بافقية، محمد عبدالقادر، توحيد اليمن القديم، الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت، من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء، 2007.
6. بافقية، محمد عبدالقادر، عودة إلى نقش عبدان الكبير"2"، حولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد السابع، عدن، 2001 م.
7. بافقية، محمد عبد القادر، هوامش على نقش عبدان الكبير، حولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد الرابع، عدن 1981م.
8. بريتون، جان فرانسوا وبافقية، محمد عبدالقادر، وآخرون: كنوز وادي ضراء، حفرية إنقاذ مشتركة في موقع هجر ام ذيبية، من الهيئة العامة

للآثار والمخطوطات والمتاحف، فرع عدن، المركز اليمني سابقا والبعثة الأثرية الفرنسية في اليمن، المكتبة الشرقية بول غوثنر، باريس، 1993م.

9. البعسي، فيصل حسين ناصر، مستوطنات أودية كور العوالق محافظة شبوة اليمن دراسة تاريخية وأثرية، مذكرة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى المجلس العلمي لمعهد الآثار جامعة الجزائر، الجزائر، 2009 م.

10. البعسي، فيصل حسين ناصر، منشآت الري في منطقة أودية كور العوالق في اليمن محافظة شبوة دراسة أثرية وتاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى المجلس العلمي لمعهد الآثار جامعة الجزائر2، الجزائر 2014.

11. بيستون. أ. ف. ل. وآخرون، المعجم السبئي، بالانجليزية والفرنسية والعربية، دار نشريات بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م.

12. حبتور، ناصر صالح يسلم، اليزنيون ـ موطنهم..ودورهم في تاريخ اليمن القديم، ط1، جامعة عدن و دار الثقافة العربية، الشارقة، 2002.

13. نقش ضراء 1.

14. نقش ضراء 2.

15. نقش ضراء 3.

16. نقش ضراء 8.

17. نقش عبدان الكبير.

18. CIH 54

19. CIH 657

20. RES 356

21. RES 2976

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

22. RES 3856
23. RES 3945.
24. RES 4069
25. RES 4194
26. RES 4635
27. Biella, Joan, Dictionary of Old South Arabic (Sabaean Dialect), Harvard Semitic Studies, 25, 1982,
28. Pirenne.J: Deux Prospections Historiques Au Sud Yémen Raydan, vol 4…
29. Ricks, Stephen, Lexicon Of Inscriptional Qatabanian, Roma, 1989

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قراءة تاريخية في الأحوال المالية لنماذج من أهل العلم من أواخر القرن الثالث إلى منتصف القرن الرابع الهجريين/ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن العاشر الميلاديين

أ/ محمد عبده علي محمد صالح[1]

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الجوانب المالية في الحياة العلمية، وذلك من خلال مصادر الدخل وأوجه الانفاق لها، لنماذج من طلبة العلم والمعلمين في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين/ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن العاشر الميلاديين، وأثرها في مسيرتهم التعليمية تحصيلاً وتدريسًا.

Abstract

This study presents the financial sides of scientific life from through the revenue sources of for models from students and teachers in the late third century to the middle of the hijri fourth century/ the late ninth century to the middle of tenth century A.D and her impact on their Education journey for procuring and teaching.

(1) عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة الحديدة.

المقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة البقرة، آية:254) والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد المصطفى العدنان وعلى آله وصحابته الكرام.

يُعدُّ الإنفاق على التعليم من أوجه التقرب إلى الله عز وجل الذي فضَّل العلماء على غيرهم للمسؤولية الأخلاقية والدينية والتعليمية التي تقع على عاتقهم، وسيحاسبون في حال تقصيرهم كما أنهم سيجازون أحسن الجزاء حين يتقنون واجبهم ويخلصون في أداء عملهم المناطين به؛ ولذلك نجد أن الخلفاء والأمراء أكرموا العلماء وشجعوهم على بذل المزيد من العطاء ودعموهم ماديًا ومعنويًا؛ ولأن بعض العلماء كان يتحرَّج من قبول الدعم من الدولة أو الأفراد – لأنه كان يبتغي الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى– اضطر البعض منهم للاشتغال في الأعمال المهنية والصناعية؛ لكي ينفقوا على أنفسهم وعلى تلامذتهم أحيانًا.

كما يعد الجانب المادي من العوامل المساعدة في نواحي الحياة المختلفة ولا سيما في التحصيل والنشر العلمي. ولا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها مطلقـًا؛ لتوفير أدوات التعليم من محبرة وأقلام ودفاتر وأوراق وألواح وغيرها، إضافة إلى ما يحتاجونه من طعام وملبس وغيرها من متطلبات الحياة.

أسباب اختيار موضوع البحث:

تعود أهمية موضوع البحث إلى أسباب عدة، أهمها، تسليط الضوء على النواحي المالية للمتعلمين والمعلمين في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وإبراز أثر الجوانب المالية في العملية التعليمية مدة الدراسة. والاسهام برفد المكتبة اليمنية والعربية بدراسة علمية في الجانب الاقتصادي بما يكون عونًا للباحثين في هذا المجال.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مشكلة البحث: سيحاول البحث الإجابة عن السؤال الآتي:

ما هي مصادر الدخل لأهل العلم وأوجه الإنفاق لها؟

أهداف البحث:

1- استقصاء وتحليل مصادر الدخل التي اعتمد عليها المتعلمون لاستكمال دراستهم.

2- توضيح أوجه الدعم الفردي والجماعي في التعليم آنذاك.

منهجية البحث:

اتبع البحث المنهج التاريخي باستقصاء المعلومات من مصادرها الأصلية ومقارنة الروايات التاريخية وتحليلها وفق طبيعة عصر الدراسة وتوظيفها بما يخدم الدراسة.

نطاق البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومحورين رئيسين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. تناولت المقدمة، أسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، ونطاقه. وتناول المحور الأول مصادر الدخل المالي للطلاب وأوجه الإنفاق لها. وتطرق المحور الثاني لفئات الأساتذة وهم: معلمو الصبيان في الكتاتيب، المؤدبون، العلماء. ومصادر دخلهم وطرق إنفاقها. وأنتهى البحث بخاتمة بينت النتائج التي توصل إليها البحث، وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث.

المبحث الأول

مصادر الدخل المالي للطلاب وأوجه الإنفاق لها:

لم تكن الناحية المالية عائقاً في استمرار الطالب بالتحصيل العلمي آنذاك؛ لطبيعة الحياة البسيطة في ذلك العصر مقارنة بما هو عليه الحال اليوم، وكان المجتمع يعين

المحتاج لا سيما حين يعلمون بأنه يطلب العلم، ناهيك عن سهولة السفر والانتقال من بلد إلى آخر ....[1].

ويمكن تقسيم المتعلمين من الناحية المالية إلى الفئات الآتية:

الفئة الأولى- الأغنياء:

في الغالب يكون هؤلاء من أبناء الأسر العلمية التي تمتلك الأراضي الزراعية التي تعود عليها بمردود مالي جيد، أو أن تلك الأسر ممن يعملون في التجارة أو في دواوين الدولة، فكان هَمُّ هؤلاءِ منكبًا على التحصيل العلمي؛ لكون أسرهم ميسورة الحال وتعمل على دعمهم وتشجيعهم لمواصلة مسيرتهم العلمية، ومن هؤلاء أبو الحسن الأشعري[2] فقد ذكر خادمه واسمه بُندار بن الحسين بأن أبا الحسن كان يأكل من غلة ضَيعة وقفها جده بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري على عَقِبه، وكانت نفقته في كل سنة سبعة عشر درهمًا[3]، أي كل شهر ما

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م). **المقدمة (مقدمة ابن خلدون)**، جـ3، تحقيق وتعليق: عبدالسلام الشدادي، ط1، المركز الوطني للبحث العلمي والتقني، الدار البيضاء- المغرب، 1426هـ- 2005م، ص226؛ الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد. **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة**، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ-2004 م، ص102.

(2) علي بن إسماعيل بن أبي بِشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري (260-324هـ/ 873-935م)، مؤسس مذهب الأشاعرة (الأشعرية) وعلم الكلام السني، من أشهر مؤلفاته: (اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)، و (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين). ينظر: ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت380هـ/ 990م). **كتاب الفهرست**،، مجـ2، جـ5، تحقيق: أيمن فؤاد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،1430هـ- 2009م، ص648-649؛ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/ 1071م). **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطَّانِها العلماءِ من غير أهلها ووارديها (تاريخ بغداد)**، مجـ13، تحقيق: بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ-2001م، ص260-261.

(3) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ13، ص260،261؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يقارب درهمـًا ونصف[1]. ويعتقد الباحث أن هذا المبلغ زهيد ولعله حُرِّف النص الأصلي في المصادر أو حصل توهم لدى الرواة، وعليه فإن نفقته كانت في اليوم سبعة عشر درهمـًا، أي في الشهر خمسمائة وعشر دراهم، وتكون نفقته في السنة ستة آلاف ومائة وعشرون درهمـًا. وهذا المبلغ يتطابق مع الواقع التاريخي والظروف المعيشية حينذاك.

كذلك كان باب التعلم مفتوحـًا لكل من شاء، متى استطاع أهله أن ينفقوا عليه أو استطاع أن يجد ما يقتات به؛ ولهذا نبغ كثير من الأدباء والعلماء[2]، كابن شنبوذ[3] الذي نبغ في علوم كثيرة لاسيما في علمي القراءات والتفسير بل اعتبر أحد المتخصصين المشهورين في هذين العلمين، وابن كامل[4] الذي اشتهر بعلمي

(ت681هـ/ 1282م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،جـ3، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1390هـ-1970م، ص286.

(1) السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت771هـ/ 1370م). **طبقات الشافعية الكبرى**، جـ3، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، ط1، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1383هـ-1964م، ص351.

(2) السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ/ 1166م). **الأنساب**، جـ2، تحقيق: عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني وآخرون، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،1400هـ-1980م، ص255؛ أمين، أحمد (ت1373هـ/ 1954م). **ضحى الإسلام**، جـ2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،1418هـ- 1998م، ص68.

(3) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذي البغدادي (300-388هـ/ 912-997م)، مقرئ ومفسر، عُرف بغلام ابن شنبوذ، من مؤلفاته: (كتاب الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن)، وكتاب (التفسير). ينظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت626هـ/ 1229م). **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، جـ5، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1413هـ- 1993م، ص2326-2327.

(4) هو أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة (260-350هـ/ 873-961م)، مقرئ ومفسر ومؤرخ بغدادي، كان تلميذا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وهو من كتب عن سيرة الطبري، من مؤلفاته: كتاب (التنزيل). ينظر: ابن النديم، **الفهرست**، مجـ1، جـ1، ص84.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

القراءات والتفسير وبعلم التاريخ[1].

كان هنالك من الأسر العلمية التي نشأ وترعرع فيها عدد من العلماء من النسب الواحد من بينها أسرة أبي القاسم البغوي[2] فقد درس علم الحديث وغيره من العلوم على يدي جده أحمد بن منيع[3] وخاصة علم الحديث، كما أخذ عن عمه علي[4]

(1) ابن النديم، **الفهرست**، مجـ1، جـ1، ص84.

(2) هو عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه ابن بنت أحمد بن منيع (214-317هـ/ 829-929م)، محدث وفقيه، من فقهاء بغداد على المذهب الحنبلي، وكان محدث العراق في عصره، صنف كتبًا في الفقه الحنبلي ككتاب (مسائل أحمد بن حنبل)، وكتاب آخر في المذاهب الفقهية سماه (السنن في الفقه على مذاهب الفقهاء)، ومن كتبه في الحديث: (المسند). ينظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ11، ص325؛ السمعاني، **الأنساب**، جـ2، ص255؛ البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، مجـ1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، عن النسخة التي طبعتها وكالة المعارف، استانبول،1375هـ- 1955م، ص444؛ سزكين، فؤاد. **تاريخ التراث العربي (التدوين التاريخي)**، مجـ1، جـ1، ترجمة : محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ،1411هـ-1991م، ص346.

(3) هو أبو جعفر أحمد بن منيع بن عبدالرحمن البغوي البغدادي (160-244هـ/ 776-858 م)، محدث ومؤرخ، روى عنه الحديث أصحاب كتب الصحاح الستة، ومن مؤلفاته: (المسند). ينظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ11، ص326-327؛ ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي (ت526هـ/ 1132م). **طبقات الحنابلة**، جـ1، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض،1419هـ- 1999م، ص183-185.

(4) هو أبو الحسن علي بن عبدالعزيز بن المرزبان بن سابور البغوي، مقرئ ومحدث، جمع وصنف (المسند) الكبير وهو من المحدثين الثقات، توفي سنة286هـ/ 899 م. ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ / 1347م). **سير أعلام النبلاء**، جـ13، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ-1984م، ص348-349.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

الذي كان من أبرز علماء عصره[1]. وكانت تلك الأسر تهتم بتعليم أبنائها منذ صغرهم حتى تصبح لهم مكانة علمية مرموقة وقدر بين الناس[2]. ومنها من كانت إذا اشتد عود الصبي وبلغ مرحلة الشباب، دفعته للاعتماد على نفسه كما فعلت أسرة أبي القاسم البغوي[3].

الفئة الثانية- الاعتماد الذاتي:

وهؤلاء يطلق على الواحد منهم رجل عصامي، كانوا يقومون بتدبير حاجاتهم المادية بالاشتغال في مهن وأعمال أجادوها وخبروها إلى جانب تحصيلهم العلمي، فيجمعون ما بين العمل والعلم، وأمثال هؤلاء كُثر - في مدة موضوع البحث- فأبو إسحاق الزجَّاج[4] كان يعمل في شبابه في تخريط

(1) ينظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ11، ص325-326؛ ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/ 1200م). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، جـ13، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ-1992م، ص286؛ الصالحي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي (ت744هـ/ 1343م). **طبقات علماء الحديث**، جـ2، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ- 1996م، ص453.

(2) الكندي، أبي عمر محمد بن يوسف (ت350هـ/ 961م). **الولاة وكتاب القضاة**، تهذيب وتصحيح: رفن كَست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1326هـ- 1908م، ص535.

(3) السمعاني، **الأنساب**، جـ2، ص255.

(4) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، مفسر ونحوي، اشتهى دراسة علم النحو فلزم المبرد حتى يتعلم النحو على يديه وجعل له كل يوم درهمًا أجرة على تعليمه، فداوم على إعطائه ذلك حتى فرق بينهما الموت، من أهم مصنفاته: (معاني القرآن)، و (مختصر نحو)، توفي سنة316هـ/ 928م. السيرافي، الحسن بن عبدالله (ت368هـ/ 979م). **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،1374هـ/ 1955م، ص80؛ ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالواحد بن محمد (577هـ/ 1181م). **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ- 1998م، ص216؛ بروكلمان، كارل (ت1376هـ/ 1956م). **تاريخ الأدب العربي**، جـ2، ترجمة: عبدالحليم النجار، ط5، دار المعارف، القاهرة ،1403هـ/ 1983م، ص171.

الزجَّاج[1] حتى يتمكن من الإنفاق على نفسه، ويساعده ذلك على طلب العلم. بينما عمل أبو القاسم البغوي في مرحلة شبابه ورَّاقًا، فقد كان ناسخًا مليح الخط، نسخ الكثير لنفسه ولجده وعمه[2]. وأشارت المصادر التاريخية[3] إلى أن البغوي ذكر بأنه ورَّق لألف شيخ. وهذا يدل على تشجيع العلماء لطلبتهم بتوفير عمل لهم تمثَّل في نسخ كتبهم مقابل مبلغ بسيط من المال يكفيهم لسد حاجاتهم الضرورية ويجعلهم يواصلون تعليمهم، وهم في الوقت ذاته يكتسبون من خلال عملهم علومًا كثيرة تعزز من قدراتهم العلمية وتفتح مداركهم لاستيعاب المزيد من العلوم والمعارف. وفي هذا الصدد ذكرت إحدى الروايات التاريخية بأن أبا القاسم البغوي طلب من جده أحمد بن منيع أن يمضي معه إلى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي يسأله أن يعطيه الجزء الأول من كتاب (المغازي) الذي رواه عن أبيه عن محمد بن إسحاق حتى يورِّقه عليه، فجاء معه وسأله فأعطاه الجزء الأول فأخذه وطاف به، فأول ما بدأ بأبي عبدالله بن مغلس فأراه الكتاب وأعلمه أنه يريد أن يقرأ (المغازي) على سعيد الأموي، فدفع له عشرين ديناراً وقال له: اكتب لي منه نسخة . ثم طاف بعده بقية يومه فلم يزل يأخذ من عشرين ديناراً وإلى عشرة دنانير وأكثر وأقل إلى أن حصَّل معه في ذلك اليوم مئتا دينار، فكتب نُسخًا لأصحابها بشيء يسير من ذلك وقرأها لهم وبقي الباقي مما نسخه

(1) السيرافي ، **أخبار النحويين البصريين**، ص80؛ ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص216؛ بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، جـ2، ص171.

(2) السمعاني، **الأنساب**، جـ2، ص255؛ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م). **العبر في خبر من غبر**، جـ1، تحقيق وضبط: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص476.

(3) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م). **كتاب تذكرة الحفاظ**، جـ2، تصحيح: عبدالرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت،1374هـ-1955م،ص739؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،جـ14، ص455.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

عنده[1]. وهذا يدل على حرص البغوي على مجالسة العلماء واستعارة الكتب منهم ونسخها لنفسه مع نسخها للعلماء وغيرهم وأخذ الأجرة على ذلك، وهذا العمل يكسب صاحبه الوقوف على أمهات المصادر، ومعرفة أنواع الخطوط وسعة المعلومات. وكذلك الحال مع الخَزَّاز[2] الذي عمل ورَّاقًا حتى يتمكن من مواصلة تعليمه[3]. كما كان الحافظ أبي بكر محمد بن جعفر البغدادي المعروف بـ(غُنْدَر) (ت370هـ/ 980م) يعمل ورَّاقًا حتى يستطيع أن ينفق على نفسه ويطلب العلم[4]. كذلك عمل أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إبراهيم البغوي (ت: 338هـ/ 949م) وراقًا لأستاذه أبي بكر بن دريد[5] حتى يتمكن من مواصلة تعليمه[6].

واشتغل بعضهم بالتجارة مع حرصه على طلب العلم، مثلما كان يفعل غلام الزجاج، فقد رحل من بغداد إلى مصر مع أستاذه الزجَّاج سنة 316هـ/ 928م،

(1) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ11، ص328-329؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص450.

(2) هو أبو الحسين عبدالله بن محمد بن سفيان، مقرئ ومؤرخ وأديب ونحوي ولغوي، ثقة، من مؤلفاته: كتاب (المختصر في علم العربية)، توفي سنة 325هـ/ 937م. ابن النديم، **الفهرست**، مجـ1، جـ2، ص252-253؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ11، ص343 -344.

(3) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ11، ص344.

(4) الذهبي، **العبر**، جـ2، ص 135؛ ابن العماد، أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت1089هـ/ 1678م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، جـ4، تحقيق وتعليق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1410هـ- 1989م، ص380.

(5) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حَنْتَم بن حسن، من أزد عُمَان، نحوي ولغوي أديب وشاعر، من كتبه: (الاشتقاق)، توفي سنة321هـ/ 932م. ينظر: المسعودي، علي بن الحسين (ت346هـ/ 957م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، جـ4، عناية ومراجعة: كمال حسن مرعي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1425هـ- 2005م، ص255؛ ابن النديم، **الفهرست**، مجـ1، جـ2، ص179-180.

(6) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت356هـ/ 967م). **كتاب الأمالي**، جـ1، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ص220.

وأقاما بها مدة، ثم رحلا إلى تِنِّيس وقد اشترى غلام الزجاج بضاعة من تِنِّيس[1] وباعها بمصر[2]. وكذلك اشتهر عبدالرحمن الجوهري[3] بتجارة الصوف، فقد كان يرسل بضاعته من المنسوجات الصوفية من مصر ليبيعها في مكة[4]. واشتغل أبو بكر عبدالله بن محمد بن محمد بن فورك بن عطاء الأصبهاني المقرئ (275-370هـ/ 889-981م) قَبَّابًا[5].

الفئة الثالثة- المرابطون حول العلماء:

سلك بعض طلاب العلم الملازمة والمرابطة حول أحد العلماء، وعادة ما يتولى هؤلاء العلماء الإنفاق عليهم[6]، إما من ماله الخاص، مثل أبي جعفر

(1) هي جزيرة في بحيرة المنزلة القريبة بين الفَرَما ودمياط، تقع شمال شرق مصر. الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/ 1229م). **معجم البلدان**، مجـ2، دار صادر، بيروت، 1397هـ- 1977م، ص51 .

(2) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م). **كتاب المقفى الكبير**، جـ1، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ- 1991م، ص156.

(3) هو عبدالرحمن بن إسحاق الجوهري الحنفي (251-320هـ/ 865-932م)، ولد بسامراء ودرس بالعراق عن مشايخها وحدّث بمصر عنهم، كان ثقة، تولى قضاء مصر في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله سنتين (313-314هـ/ 925-926م). ينظر: الكندي، **الولاة**، ص536-537.

(4) الكندي، **الولاة** ، ص536.

(5) الذهبي، **العبر**، جـ2، ص 135؛ ابن العماد، **شذرات الذهب**، جـ4، ص 379 . والقَبَّاب: هو الذي يصنع المحابر. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ/ 1791م). **تاج العروس من جواهر القاموس**، جـ3، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج وإبراهيم الترزي، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1413هـ- 1993م، ص506.

(6) كان ذلك سلوك العلماء منذ عصر صدر الإسلام. ينظر: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/ 1071م). **كتاب الفقيه والمتفقه**، جـ2، تحقيق: عادل بن يوسف العَزَازي، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية- الدمام، 1417هـ- 1996م، ص241-243.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الطبري[1] الذي كانت له ضيعة صغيرة خلَّفها له أبوه بطبرستان[2]. أو بدعم من الخليفة، مثل أبي إسحاق الزجاج الذي كان يعمل في شبابه في تخريط الزجاج[3] ثم صار له أجر نظير تعليم الصبيان في المكاتب[4]، وصار بعد ذلك له راتب شهري من قبل الدولة في نفقات الندماء، إذ أنه أصبح من المقربين للخليفة المقتدر بالله[5] وخصص له- أيضًا- راتب في الرواتب المخصصة للفقهاء وراتب ثالث في قائمة رواتب العلماء، بلغ إجمالي هذه الرواتب ثلاثمائة دينار[6] كان ينفق منها على نفسه وتلاميذه. وكان يُنفق على العلماء وطلاب العلم بمصر من أموال الأحباس[7] فقد كانت تسلم أموال الأوقاف للعلماء لينفقوا منها على أنفسهم وعلى طلابهم المرابطين حولهم.

(1) هو محمد بن جرير بن يزيد (ت310هـ/ 923م)، مقرئ، مفسر، محدث، فقيه، نحوي، ومؤرخ من أشهر أئمة العلم في عصره، من أبرز مؤلفاته: (تاريخ الرسل والملوك)، (جامع البيان على تأويل آي القرآن). ينظر: ابن النديم، **الفهرست**، مجـ2، جـ6، ص119؛ الحموي، **معجم الأدباء**، جـ6، ص2441-2459.

(2) بلاد واسعة تقع في بلاد فارس بين الري وقومس. الحموي، **معجم البلدان**، مجـ4، ص13.

(3) السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، ص80؛ ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص216.

(4) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ6، ص614؛ ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص216؛ القفطي، أبي الحسن علي بن يوسف (ت624هـ/ 1227م). **انباه الرواة على أنباه النحاة**، جـ1، تحقيق : محمد أبو الفضل، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1406هـ-1986م، ص195.

(5) هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله، الخليفة الثامن عشر في قائمة الخلفاء العباسيين، تولى الخلافة سنة 295هـ/ 908م واستمر في الحكم خمسة وعشرين عامًا إلى سنة 320هـ/ 932م. ينظر: السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر محمد (ت911هـ/ 1505م). **تاريخ الخلفاء**، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ- 2003م، ص300-306.

(6) ابن النديم، **الفهرست**، مجـ1، جـ2، ص 177؛ القفطي، **إنباه الرواة**، جـ1، ص199.

(7) الكندي، الولاة، ص536. والأحباس: هي الأوقاف، كل شيء أوقفه صاحبه وقفًا محرمًا لا يورث ولا يباع من أرض ونخل وكرم وغير ذلك. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ/ 1311م). **لسان العرب**، مجـ6، ط1، دار صادر، بيروت، 1300هـ- 1883م، ص44-45.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ويحكى عن الوزير ابن الفرات[1] أنه كان يطلق للشعراء في كل سنة عشرين ألف درهم، رسمـًا لهم في نفقات الدولة التي يُقِرَّها الوزير، عدا ما يصلهم به متفرقـًا خارج هذه النفقات المدونة في سجلات الدولة الرسمية، وعند مديحهم إياه فلما كان في وزارته الأخيرة سنة311هـ/ 924م، تذكّر طلاب الحديث، وقال: لعل الواحد منهم يبخل على نفسه بدانق[2] ودونه ويصرف ذلك في ثمن ورقٍ وحبرٍ، وأنا أحق بمراعاتهم ومعاونتهم على أمرهم، وأطلق لهم من خزانته الخاصة عشرين ألف درهم[3].

ويتضح مما سبق، أن الوزير ابن الفرات أنفق على طلاب الحديث في سنة311هـ/ 924م عشرين ألف درهم، وأنشأ مطبخـًا لإطعام أهل العلم والفقراء والمحتاجين[4]. وأنه كان ينفق على خمسة آلاف شخص شهريـًا من بينهم أهل العلم، كانت نفقة أقل واحد منهم في الشهر خمسة دراهم، ويُقدِّم لهم مساعدات غذائية من دقيق وزيت، ونفقة أعلى شخص منهم تصل إلى مائة دينار وحصة

(1) هو أبو الحسن علي بن أبي جعفر محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات العاقولي الكاتب (الوزير الكبير)، تولى إدارة الدواوين في خلافة المكتفي بالله (289-295هـ/ 902-908م) فلما ولي المقتدر بالله الخلافة عينه سنة296هـ/ 908م وزيرًا، واستمر في الوزارة إلى شهر ذي الحجة سنة299هـ/ يوليو- أغسطس912م ثم عُزل، ثم أُعيد إليها سنة 304هـ/ 917م ثم عُزل، ثم وليها للمرة الثالثة سنة311هـ/ 923م، وعزل سنة312هـ/ 924م، وأُعدم هو وابنه المحسن. ينظر: الصابئ، أبي الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم الكاتب (ت448هـ/ 1056م). **كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ،1321هـ- 1904م، ص8-260؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ14، ص474-479.

(2) الدانق: عملة نقدية معدنية سدس الدينار والدرهم. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مجـ10، ص105.

(3) الصابئ، **تحفة الأمراء**، ص201-202.

(4) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص475.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

تموينية شهرياً[1]. وهذا الفرق الكبير في مقدار هذه المساعدات يعود إلى المكانة العلمية التي حظي بها بعض العلماء دون غيرهم، كذلك لعل هؤلاء العلماء كانوا ينفقون منها على طلبتهم. وكان سخياً مع الأدباء والشعراء، فمن ذلك أن أبا بكر الصولي[2] مدحه بأبيات شعرية فمنحه مكافأة مالية مقدارها ستمائة دينار[3]. وكان بعض الأصدقاء ينفقون على أصدقائهم من العلماء، مثال ذلك، أن محمد بن جامع الصيدلاني، كان يُنفق على أبي بكر بن داود[4] طول حياته[5].

المبحث الثاني

فئات الأساتذة

يمكن أن يتمايز المعلمون من حيث المراحل أو الأماكن التي يقومون بالتدريس فيها، بين ثلاثة فئات من الأساتذة، هم:

الفئة الأولى- معلمو الصبيان في الكتاتيب:

ذكر الجاحظ بعض الأمثال والمقولات التي انتقصت من قدر معلم الصبيان، فقد قيل عنهم في أمثال العامة: " أحمقُ من معلم كُتّاب"[6]، وقال بعضهم: "لا

(1) الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت429هـ/ 1037م). **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1405هـ- 1985م، ص212.

(2) هو محمد بن يحيى الصولي، من كتبه: (الأخبار المنثورة)، و (أخبار الوزراء)، توفي سنة 336هـ/ 948م . السمعاني، **الأنساب**، جـ8، ص111؛ الحموي، **معجم الأدباء**، جـ6، ص2678.

(3) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص477.

(4) محمد بن داود بن علي الظاهري، فقيه ومحدث وأديب ومتكلم، وهو إمام الفقه على المذهب الظاهري، توفي سنة 297هـ/ 910م. ابن النديم، **الفهرست**، مجـ2، جـ6، ص63.

(5) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ3، ص164؛ الحموي، **معجم الأدباء**، جـ6، ص2528.

(6) أبي عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/ 868 م). **البيان والتبيين**، جـ1، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ - 1998م، ص248.

تستشيروا معلمًا..."[1]، وقالوا فيهم - أيضًا-: " الحُمق في المعلمين..."[2].

وتبيَّن للجاحظ وللثعالبي وللشجاع - وهو ما تذهب إليه الدراسة أيضًا - ظلم قائلي تلك الأمثال والمقولات لهؤلاء المعلمين، فهي وإن طابقت بعضًا منهم لا يصح إطلاقها على العموم، ولعلهم أطلقوا ذلك عليهم من قبيل الحسد؛ لأن معلمي الصبيان كانوا يتحلون بالصبر والحلم ويتكيفون مع ضجيج الصبيان ومتاعبهم وهذا الأمر يفتقده غيرهم من الناس[3]. وقد تربى العلماء والأدباء والخلفاء في كنف معلمي الصبيان، وأخذوا العلم على أيديهم، وتعلموا الأخلاق والسلوك من حياتهم؛ لذا وجب إنصافهم وتعظيم قدرهم[4]. وأطلق على المعلم في الكُتَّاب إلى جانب صفة " المُكْتِب" تسمية " المؤدب" منذ القرن الثالث الهجري، بينما اقتصرت في القرنين الأول والثاني الهجريين على " معلمي أبناء الخاصة"، لكن مدلولها اتسع في القرن الثالث، لتشمل إلى جانب التسمية السابقة معلمي الكُتّاب[5].

---

(1) الجاحظ، **البيان والتبيين**، جـ1، ص248.

(2) الجاحظ، **البيان والتبيين**، جـ1، ص249. وأصل النص: " الحمق في الحاكة والمعلمين والغزّالين".

(3) ينظر: **البيان والتبيين**، جـ1، ص248-251؛ **ثمار القلوب**، ص242-243؛ **الحياة العلمية**، ص104-105. ذهب متز للقول بأن ما لحق بمعلمي الصبيان من ضروب الاستهزاء إنما يقع إثمه على الروايات اليونانية؛ لأن المعلم فيها كان من الشخصيات المضحكة، وهنا حاول أن يطبق على رأيه منهج الأثر والتأثرالذي يسلكه المستشرقون في تناولهم للتاريخ الإسلامي. متز، آدم (ت1335هـ/ 1917م). **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، جـ1، ترجمة: محمد عبدالهادي، ط5، دار الكتاب العربي ، بيروت، (د. ت) ص344-345.

(4) ينظر: الشجاع، **الحياة العلمية**، ص105.

(5) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ2، ص387، مجـ12، ص420؛ سعيد، زهير عبدالله. **الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ بداية العصر العباسي حتى الغزو الصليبي (132-491هـ/ 750-1097م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت إلى قسم التاريخ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وقد كان معلمو الصبيان في عصر الدولة العباسية يتقاضون أجراً من أسرة الصبي بحسب ما اتفق عليه أو تعارف عليه أهل تلك القرية أو المدينة في الكتاتيب الخاصة، أما الكتاتيب العامة فكانت أجور المعلمين تدفع لهم من قبل الدولة[1]. وقد يدفع الطالب أجراً للشيخ على تدريسه له، كالذي حصل مع أبي إسحاق الزجاج، فقد خصص له راتب شهري من أولياء أمور الطلبة، الذين يقوم بتدريسهم في المكاتب[2]. وكانت أجرة التعليم للقرآن الكريم عشرين ديناراً[3].

وقد كان أولياء الأمور يقصدون الزجاج لتعليم أبنائهم؛ ولذلك فقد كان يعلم الصبيان في أكثر من مكتب. كما أن الزجاج نفسه حينما كانت له رغبة ذاتية لتعلم النحو فإنه لزم أبا العباس المبرد[4]، وكان لا يُعلِّم مجاناً، ولا يعلِّم إلا بحسب

– كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 1427هـ– 2006م، ص122. ويلاحظ قلة اهتمام مؤلفي كتب التراجم والطبقات بهذه الفئة المهمة من فئات المعلمين، فلم يترجم لهم إلا ما ندر.

(1) ينظر: القابِسي، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني (ت403هـ/ 1012م). **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، جـ3، تحقيق: أحمد خالد، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1406هـ– 1986م، ص139.

(2) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ6، ص614؛ ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص216.

(3) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م). **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، مجـ2، تحقيق: طيَّار آلتي قولاج، (د. ن)، استانبول، 1416هـ– 1995م، ص535.

(4) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عُمير الأزدي الثمالي (ت282هـ/ 895 م)، نحوي وشاعر، من أبرز مؤلفاته: كتاب (المدخل إلى سيبويه)، و (الكامل)، و (كتاب قواعد الشعر)، و (كتاب شرح شواهد كتاب سيبويه). ينظر: الزجاجي، أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (ت340هـ/ 951م). **مجالس العلماء**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط2، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام (9)، مطبعة حكومة الكويت، 1404هـ– 1984م، ص107–110؛ أبي الطيب اللغوي، عبدالواحد بن علي (ت351هـ/ 962م). **مراتب النحويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1375هـ– 1955م، ص83.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ما يتناسب مع دخل طالب العلم، فقد سأل الزجاج عن مهنته، فأخبره بأنه يخرط الزجاج وأن دخله اليومي هو درهم ونصف، وأنه يرغب بأن يخصص له وقتاً أكثر لتعليمه، وشرط الزجاج على نفسه بأن يدفع له كل يوم درهماً طيلة حياته، استغنى عن التعليم أو احتاج إليه، فلزمه، وكان يقوم بخدمته في أموره ومع ذلك يعطيه الدرهم، فتعلم منه الكثير[1].

وكان الصَّيْمري[2] إذا ضاق به الحال فإنه يلجأ إلى تعليم الصبيان في مكاتب البصرة، ولعل أولياء أمور الصبيان كانوا يرسلون طلبتهم إليه لمكانته العلمية وعلو قدره في هذه المدينة؛ ولذلك رزق واكتسب من تعليمه للصبيان ما يزيد عن حاجته وكفايته[3]. كذلك كان أبو زيد البلخي[4] معلماً للصبيان[5].

(1) ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص216.

(2) هو أبو عبدالله محمد بن عمر، والصيمري نسبة إلى نهر من أنهار البصرة يقال له الصيمر عليه عدة قرى، وهو شيخ المعتزلة في البصرة، انتهت إليه رياستهم بعد أبي علي الجبائي، وكان مذهبه في الدار كمذهب الهادوية – نسبة إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت298هـ/ 911م)– في أن الدار إذا غلب عليها الجبر والتشبيه فهي دار كفر، ولعله رمى بذلك مذاهب أهل السنة الأربعة عدا الحنفية، من كتبه: كتاب (نقض كتاب ابن الرّوندي في الطبائع)، كتاب (المسائل والجوابات)، توفي سنة315هـ/ 927م. ينظر: ابن النديم، **الفهرست**، مجـ2، جـ5، ص615–617؛ القاضي عبدالجبار، أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار (ت415هـ/ 1024م). **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومُباينتهم لسائر المخالفين**، اكتشاف وتحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، (د. ت)، ص308–309؛ ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت630هـ/ 1232م). **اللباب في تهذيب الأنساب**، جـ2، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت)، ص255؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص480؛ الزركلي، خيرالدين. **الأعلام**، جـ6، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 1423هـ– 2002م، ص311. نُسب عند الزركلي بالضَّمْري.

(3) القاضي عبدالجبار، **فضل الاعتزال**، ص309.

(4) هو أحمد بن سهل، طبيب وأديب وشاعر ومؤرخ وجغرافي وفلكي، من كتبه: (صناعة الشعر)، توفي سنة 322هـ/ 934م . ينظر: ابن النديم، **الفهرست**، مجـ1، جـ3، ص429.

(5) الحموي، **معجم الأدباء**، جـ1، ص274.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

الفئة الثانية- المؤدبون لأولاد الخواص:

أبانت المصادر التاريخية إلى كون هؤلاء، كانوا من معلمي الصبيان في بداية أمرهم، ثم انتقلوا إلى معلمين للخاصة[1]. ويبدو أنهم أثبتوا كفاءتهم التدريسية وحسن تعاملهم مع صبيان العامة في الكتاتيب؛ لذا حرص الخاصة على أن يكون هؤلاء المعلمون الأكفاء هم من يعلمون أبنائهم، وبذلوا في سبيل ذلك وسائل المودة والدعم والتشجيع المادي والمعنوي لجذب هؤلاء المعلمين لتعليم أبنائهم.

ومما لا شك فيه أن المؤدبين كانوا يأخذون الأجر على عملهم هذا، بل إن هذه المكانة وقربهم من أصحاب الشأن في الدولة جعلهم ندماء لأولئك الذين علموهم، فيما بعد حينما يصبحون خلفاء أو وزراء خلفًا لآبائهم مثل مؤدب الخليفة الراضي بالله[2] أبي بكر الصولي الذي أصبح نديمه[3].

أهتم الأعيان بتأديب وتعليم أبنائهم؛ لذلك يلجؤون للبحث عن مؤدبين لهم، فقد جاء إلى أبي العباس المبرِّد، بعض الأعيان والأكابر من الصَّرَاة[4] يلتمسون

(1) الجاحظ، **البيان والتبيين**، جـ1، ص250.

(2) هو أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل (297-329هـ/ 909-940م)، ولد بدير حَنيناء، كان كريمًا، أديبًا، شاعراً، فصيحًا، محبًا للعلماء، وله شعر مدون، تولى الخلافة سنة322هـ/ 933م بعد خلع القاهر، وكان آخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة خطب يوم الجمعة، وآخر خليفة سافر بزي القدماء. ينظر: القرطبي، عريب بن سعد (ت بعد سنة331هـ/ 942م). **كتاب الصلة** (صلة تاريخ الطبري)، جـ11، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عن النسخة التي حققها المستشرق: دي خويه، دار سويدان، بيروت-لبنان ، (د.ت)، ص36؛ المسعودي، **مروج الذهب**، جـ4، ص257-265، 267-269؛ السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص309-311.

(3) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، جـ4، ص356.

(4) هي بلدة تقع على نهر يتشعَّب من الفرات ويجري إلى بغداد، ويقال الصَّرَا بلا هاء أيضًا، سمي بذلك لأنه صُرِيَ من الفُرات، أي قُطِع. البكري، أبي عُبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت487هـ/ 1094م). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، جـ3، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت،1364هـ-1945م، ص829.

معلمًا نحويًا لأولادهم، فطلب الزجاج من أستاذه أن يختاره لأداء هذه المهمة، فسمَّاهُ لهم، فخرج معهم وصار يعلمهم ويرسل في كل شهر ثلاثين درهمـًا ويتفقد أستاذه بما يقدر عليه[1]. وكان بعض العلماء، لاسيما من تولى منصب القضاء منهم، ينشغل عن تأديب وتعليم أبنائه؛ ولذلك يلجؤون للبحث عن مؤدبين لأبنائهم، وهذا ما أشار إليه الخطيب البغدادي بأن أبا الحسين عمر بن أبي عمر[2]، درس علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والتاريخ والأنساب والحساب، وهذا يدل على نجابته منذ صغره، حتى بلغ درجة متقدمة من العلم، أهلته ليكون نائبـًا عن والده في القضاء، ولشك أن ذلك ما كان له أن يكون لولا جهود مربيه ومؤدبه أبو بكر الصولي الذي قال عنه: "كان هذا القاضي عمر بن محمد قد بلغ من العلوم مبلغـًا عظيمـًا، وقرأ علي من كتب اللغة والأخبار ما يقارب عشرة آلاف ورقة"[3].

واهتم الوزراء بتعليم أبنائهم وتنشئتهم نشأة علمية، فقد ظل الزجاج على الحال السابق ذكره مدة من الزمن، يتفقد أستاذه أبا العباس المبرِّد، فطلب عبيد الله بن سليمان[4]

(1) ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص216-217.

(2) هو عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي (291-328هـ/ 903-940م)، وَلي القضاء بمدينة السلام في حياة أبيه نيابة عنه وهو ابن عشرين سنة وذلك في سنة 310هـ/ 922م، ثم توفي أبوه فأُقر على القضاء إلى آخر عمره، كان فقيهـًا على مذهب الإمام مالك من مؤلفاته: (المسند)، وكتاب (غريب الحديث)، وكتاب (الفرج بعد الشدة). ينظر: ابن الجوزي ، **المنتظم**، جـ13، ص389- 392؛ ابن فرحون المالكي، إبراهيم بن نور الدين (ت799هـ/ 1396م). **الديباج المُذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنّان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1417هـ- 1996م، ص284-285.

(3) ابن الجوزي، **المنتظم**، جـ13، ص 391-392.

(4) هو عبيد الله بن سليمان بن وهب، كان من كبار الوزراء، ومشايخ الكتّاب، وكان بارعـًا في صناعته ماهراً، كان وزيراً للخليفة المعتمد على الله ومن بعده وزيراً للمعتضد بالله واستمر في وزارته إلى أن توفي سنة 288هـ/ 901م، وكان حظيـًا عنده، فقد تألم لفقده ثم عقد

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

مؤدبًا لابنه قاسم[1]، فقال له: لا أعرف لك إلا رجلًا زجَّاجًا عند قوم بالصراة، فكتب إليهم عبيد الله حتى يستنزلوا عن الزجاج وأحضر الزجاج وسُلِّم إليه القاسم، فكان ذلك سببًا في غِناه وصار يعطي أبا العباس المبرد بعد ذلك في كل يوم إلى أن مات[2]. ومن ذلك – أيضًا – أن الوزير أبي الفتح بن الفرات[3] اهتم بتعليم ابنه أبو الفضل جعفر[4] فأحضر له المعلمون لتعليمه منذ صغره، تعليمًا خاصًا في منزله

الوزارة لولده القاسم جبراً لمصابه فيه . ينظر: ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/ 1309م). **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ص254-255.

(1) هو القاسم بن عبيد الله من دهاة العلم وأفاضل الوزراء، وصفته المصادر بأنه كان شهماً فاضلاً كريماً مهيباً، وكان وزيراً لثلاثة من الخلفاء هم: المعتضد بالله ثم المكتفي بالله وآخرهم المقتدر بالله، وتوفي سنة311هـ/ 924م. ابن الطقطقي، **الفخري في الآداب**، ص257-258.

(2) ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص217.

(3) هو الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن حسن بن الفرات البغدادي، ويُعرف بابن حنزابة، كان كاتباً بارعاً، وزر للخليفة المقتدر بالله في شهر ربيع الأول سنة320هـ/ مارس932م، ووزر عمه الوزير الكبير أبو الحسن علي بن محمد للمقتدر أكثر من مرّة، وبعد مقتل المقتدر بالله استخلف القاهر بالله فولاّه الدواوين، فلما صارت الخلافة للراضي بالله ولاه الشام، ثم قلده الراضي الوزارة سنة325هـ/ 937م، توفي في جمادى الأولى سنة327هـ/ فبراير939م. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مجـ3، ص424- 425؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص 479- 480 ، جـ16، ص484.

(4) أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن حسن بن الفرات البغدادي (308-391هـ/ 920-1000م) اشتهر بابن حِنْزابة الوزير، وحنزابة هي أم أبيه، كان وزير بني الإخشيد بمصر إمارة كافور، ثم استقل كافور بملك مصر واستمر على وزارته، ولما توفي كافور استقل بالوزارة وتدبير شؤون الدولة الإخشيدية بمصر والشام في عهد أحمد بن علي بن الإخشيد، وكان عالماً محباً للعلماء، قُتل سنة332هـ/ 943م. ينظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ8، ص156-157؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مجـ1، ص346-350؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ16، ص484-488.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

حتى تمكن من القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وتعلم شيء من الحساب والنحو، وقد ذكر الخطيب البغدادي أن جعفر سمع الحديث من أبي القاسم البغوي في سنة 317هـ/ 929م، وهي السنة التي توفي فيها البغوي، وقد اقتصر سماع جعفر من البغوي على مجلس سماع واحد، وكان عمر جعفر (ابن حنزابة) آنذاك حوالي عشر سنين ومع ذلك فإنه لم يكتب ما سمعه من البغوي في ذلك المجلس[1]؛ ولعل سبب ذلك أن كتابة الحديث كانت في الغالب عند سن الحادية عشر، وهذا ما يفسر عدم كتابة ابن حنزابة لما سمعه من البغوي؛ وهذا ما دفع ابن حنزابة الوزير أن يقدم عرضـًا مغريـًا إذ سيعطي من سيأتيه بالمجلس الذي سمعه من البغوي مكتوبا مالاً وفيراً يجعله في غنًا[2]. وهذا يدل على حب وتقدير ابن حنزابة للعلم والعلماء وهو ما أشار إليه ابن خلكان في ترجمته له بقوله: " وكان عالمـًا محبـًا للعلماء"[3].

الفئة الثالثة- المدرس أو الأستاذ في مراحل التعليم العليا[4]:

وهذه الطبقة – غالبـًا – هم من يطلق عليهم تسمية العلماء، وذكر القلقشندي[5] أنه لم يؤذن لمعلمي هذه المرحلة بالتدريس إلا بعد تأهيلهم وحصولهم على الإجازة بالتدريس، وكان لهم دور ومكانة في المجتمع والدولة وكان لهم تأثير علمي بارز، أما الأوضاع المالية للعلماء فهي تشبه إلى حد كبير أحوال الطلاب المالية التي سبق للبحث الحديث عنهم . فقد كان هناك الأغنياء أو الميسورون

(1) **تاريخ بغداد**، مجـ1، ص157.

(2) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ1، ص157؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مجـ1، ص347.

(3) **وفيات الأعيان**، مجـ1، ص347.

(4) درج الدارسون في هذا المجال على تقسيم مراحل التعليم آنذاك إلى مرحلتين: أولى يقصد بها التعليم في الكتاتيب، وعليا يقصد بها التعليم في المساجد والمجالس العلمية. ينظر: الشجاع: **الحياة العلمية**، ص61-80.

(5) أبي العباس أحمد بن علي (ت821هـ/ 1418م). **صبح الأعشى في كتابة الإنشاء**، جـ14، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1337هـ- 1918م، ص322.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

من أسر علمية أو سياسية وهناك من اعتمد على نفسه واشتغل في مهن متعددة حتى يستطيع أن ينفق على نفسه ومنهم من كان يحظى بدعم الدولة أو الوزراء أو الأمراء. وسبق للدراسة عرض نماذج منهم، فمن كان طالبًا غدا عالمًا.

أكرم العلماء طلابهم وأقاموا لهم مآدب للطعام، من ذلك: أن أبا خليفة الجمحي[1] كان يقيم لطلابه مأدبة طعام في منزله – لهاشمي البصرة خصوصًا[2]– فقد ذكر أبو بكر الصولي بأن أبا خليفة واعدهم يومًا وطلب منهم أن لا يتخلفوا عن الحضور وبأنه سيتخذ لهم خبيصة[3] كافية، فتأخر أبو بكر لشغل عرض له، ثم جائه والهاشميون عنده فلم يعرفه الغلام ومنعه من الدخول، فكتب أبو بكر إلى أبي خليفة أبيات من الشعر قال فيها:

أبـا خـليـفـة تـجـفـو مـن لـه أدبُ وتـؤثـرُ الـغُـرَّ مـن أبـنـاء عـبـاسِ
وأنـت رأسُ الـوَرى في كـل مكْرُمةٍ وفي العلوم، وما الأذنـابُ كالرّاس
مـا كـان قـدرُ خبيص لـو أذنـتَ لنا فـيـه، ليختلط الأشـراف بـالـنـاسِ

فلما قرأ أبا خليفة الجمحي الرُّقعة صاح على الغلام ودخل أبو بكر إليه، فلما رآه أبو خليفة عاتبه بأنه قد أساء إلى أبي خليفة بتغيبه عنه وظلمه في تعتبه، وأخبره بأنَّ عقْدُ المجلس لا يتم إلا بحضور أبي بكر وأنهم فيما فاتهم بتأخره ولا ذنب لهم فيه،

(1) هو الفضل بن الحُباب بن محمد بن شعيب بن صخر البصري، من رواة الأخبار والأشعار والأنساب، روى عن خاله محمد بن سلاّم الجمحي كتابه (طبقات فحول الشعراء)، توفي أبو خليفة سنة 305هـ / 917م. ينظر: ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (ت231هـ/ 846م). **طبقات فحول الشعراء**، جـ1، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1394هـ- 1974م، ص3؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص8-9؛ ابن العماد، **شذرات الذهب**، جـ4، ص27.

(2) القفطي، **إنباه الرواة**، جـ3، ص234.

(3) هي الحلواء المطبوخة . ابن منظور، **لسان العرب**، مجـ7، ص20.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ثم صاح للغلام بأن يحضر طعاماً مثل الطعام الذي أكلوه فأقام أبو بكر وجميع من حضر ذلك اليوم عنده[1].

وامتهن أبو بكر الرازي[2] نسخ الكتب حتى فقد بصره في آخر عمره[3]. وعمل- أيضًا- في هذه المهنة الخَزَّاز الذي وصفه ابن النديم بأنه كان: "مليح الخط"[4]. واشتغل أبو عمر الزاهد[5] بتطريز الثياب[6].

أما فيما يتعلق بالأجر على التعليم فقد كان بعض العلماء يلقون دروسهم ومحاضراتهم في المساجد والمجالس على تلامذتهم دون أن يأخذوا مقابل ذلك أجراً؛ ولذلك كان طلبة العلم والعلماء يفضلون من يحتسب الأجر في تعليمه على من يكتسب الأجر فيه[7]، فقد ذكرت المصادر التاريخية في هذا الصدد إلى

(1) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ4، ص678؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص9-10.

(2) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، فيلسوف وطبيب وصيدلي وكيميائي نبغ في كل تلك العلوم، من أشهر مؤلفاته: كتاب (الحاوي) في الطب، توفي سنة 313هـ/ 925م . ينظر: ابن النديم، **الفهرست**، مجـ3، جـ7، ص307؛ ابن أبي أُصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت668هـ/ 1269م). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، ص414-427.

(3) ابن أبي أُصيبعة، **عيون الأنباء**، ص416.

(4) **الفهرست**، مجـ1، جـ2، ص252.

(5) هو محمد بن عبدالواحد بن أبي هاشم المُطَرِّز المعروف بغلام ثعلب (259-345هـ/ 872-956م)، من أشهر أهل اللغة وقتذاك، من أهم كتبه اللغوية: كتاب (اليواقيت). ينظر: القفطي، **إنباه الرواة**، جـ3، ص175-176؛ الحموي، **معجم الأدباء**، جـ6، ص2559.

(6) الحموي، **معجم الأدباء**، جـ6، ص2558.

(7) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ1، ص294؛ ابن جماعة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني (ت733هـ/ 1333م) . **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العَالِم والمتعلم**، عناية: محمد بن مهدي العجمي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1433هـ- 2012م، ص45-46.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

أن أبا عمرو بن حمدان[1] كان يفضل شيخه في علمي الحديث والفقه أبا يعلى الموصلي[2] على الحسن بن سفيان النسوي، بالرغم من أن (مسند) الحسن أكبر وشيوخه أعلى؛ وذلك لأن أبا يعلى الموصلي كان يُحدِّث احتساباً بينما الحسن بن سفيان كان يحدث اكتساباً[3]. وكان بعض العلماء لا يأخذ شيئاً على التحديث، وإنما كان يورّق ويأكل من كسب يده؛ فأبو موسى الحامض[4] اشتغل بمهنة الوراقة

(1) هو أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن سِنان الحيْري (283-376هـ/ 896-987م)، المشهور بأبي عمرو بن حمدان، مقرئ ومحدث ونحوي، عُرف بالزهد وكثرة العبادة، كان مسند خراسان في عصره، اتهم بالتشيع وذكر الذهبي بأن تشيُّعُه خفيف كالحاكم، ولما أصيب بالعمى وكبر سنه نُقل إلى بعض أقاربه بالحيرة، توفي في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة الموافق الحادي والثلاثين من شهر مارس. ينظر: السمعاني، **الأنساب**، جـ4، ص288-289؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ16، ص356-359.

(2) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي المَوْصِلي، محدث الموصل، ولد في الثالث من شوال سنة210هـ/ السابع عشر من يناير سنة826 م، لقي كبار المحدثين وسمع منهم، فقد ارتحل في طلب العلم إلى الأمصار باعتناء أبيه وخاله محمد بن أحمد بن المثنى ثم بهمته العالية، حتى صار من كبار المحدثين بالموصل في عصره، وهو من العلماء الثقات عند أهل الحديث، من مؤلفاته: (المسند)، وكتاب (المعجم)، توفي في الرابع عشر من جمادى الأولى سنة307هـ/ الثاني عشر من أكتوبر سنة 919م. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص174-182؛ سزكين، **تاريخ التراث العربي**، مجـ1، جـ1، ص334-335.

(3) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص178.

(4) هو أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي المعروف بالحامض، لغوي ونحوي بارع على مذهب الكوفيين، من كتبه: كتاب (ما يُذكَّر وما يؤنث من الإنسان واللباس)، توفي سنة 305هـ/ 918م. ينظر أبو الطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص87-88؛ صالحية، محمد عيسى. **المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع**، جـ2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، القاهرة،1416هـ- 1995م، ص133.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

فقد وُصِف بأنه كان حسن الوراقة في الضبط[1]. بينما كان أبو القاسم البغوي يأخذ البرطيل[2] على السَّماع[3].

وفي حين كان أبو الليث الفرائضي[4] يعمل حائكًا حتى يؤمن لنفسه احتياجاته المعيشية دون الحاجة لأخذ أجر من تلامذته على تعليمهم القراءات أو الفقه وحتى لا يضطر لقبول المساعدات من الدولة أو الوزراء أو الأمراء[5].

الخاتمة:

بعد هذه القراءة والعرض لهذا الموضوع خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1 – أكدت الدراسة على أنه بالرغم من أن الجانب المادي لم يكن عائقًا في التعليم تحصيلاً وتدريسًا وقتذاك إلا أنه كان عاملاً رئيسًا بالنهوض بالعملية التعليمية واتساع رقعتها لتشمل جميع المدن والأمصار والأقطار الإسلامية تمثَّل ذلك بإنشاء الكتاتيب وبناء المساجد في القرى والمدن وخير شاهد على ذلك الكم

(1) ابن النديم، **الفهرست**، مجـ1، جـ2، ص240؛ القفطي، **إنباه الرواة**، جـ2، ص22؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، جـ2، ص406.

(2) البِرطِيل أو البُرْطُل هو القَلَنْسُوة وهي غطاء يوضع على الرأس يشبه العمامة، والبعض يرى بأن البرطيل هي الرشوة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مجـ11، ص51؛ الزبيدي **تاج العروس**، جـ28، ص75–76؛ السيد أدّى شير. **كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة**، ط2، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1409هـ– 1988م، عن طبعة المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1326هـ– 1908م، ص128.

(3) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/ 1448م). **لسان الميزان**، جـ4، عناية: عبدالفتاح أبو غدة وسلمان عبدالفتاح أبو غدة، ط1، دار البشائر الإسلامية للطباعة، بيروت، 1423هـ– 2002م، ص568.

(4) نصر بن القاسم بن نصر بن زيد البغدادي، فقيه حنفي ومقرئ على قراءة أبي عمرو بن العلاء، توفي سنة 314هـ/ 926م. ينظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ15، ص402؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، جـ14، ص465–466.

(5) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مجـ15، ص402.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الكبير من العلماء في البلدان الإسلامية في مختلف العلوم آنذاك.

2 – أوضحت الدراسة تنوع مصادر الدخل للمتعلمين والمعلم، فقد اعتمد الطلبة على مصادر دخل عائلية كما حصل مع أبي القاسم البغوي في مرحلة تعليمه الأساسية وأبي الحسن الأشعري الذي أنفق على تعليم نفسه من غلة ضيعة جده، ومصادر ذاتية تقوم على الاشتغال بالأعمال المهنية وعامة تتمثل بنفقة العلماء على تلاميذهم، أو بنفقة الدولة سواءً أكان الخليفة أو وزرائه أو حتى من الأعيان. وضربت الدراسة الأمثلة على ذلك.

3 – انقسم المعلمون في مدة الدراسة إلى ثلاث فئات هم: معلمو الصبيان في الكُتَّاب الذين عملوا في كتاتيب خاصة لتعليم الصبيان، كانت تدفع لهم أجور عينية ومادية متفق عليها مع أولياء أمور الطلبة. والبعض الآخر اشتغل في كتاتيب عامة دفعت له الدولة راتباً شهرياً. والفئة الثانية هم: المؤدبون لأولاد الخواص، وكان هؤلاء أكثر حظاً من سابقيهم؛ فهم يحصلون على رواتب عالية من الخليفة أو الوزراء أو الأعيان، كما نالوا مكافآت مالية وعينية نتيجة لتفرغهم لتدريس أبناء هذه الطبقة الاجتماعية. وهؤلاء المؤدبون في العادة كانوا معلمي كُتَّاب ثم صاروا مؤدبين لكفاءتهم وخبرتهم في التدريس. والفئة الثالثة هم: العلماء، الذين أقاموا دروسهم في حلقات المساجد ومجالس العلم.

4 – لم تختلف مصادر الدخل للعلماء كثيراً عن طلابهم، فمن تلك المصادر: مصادر ذاتية، فإلى جانب قيامهم بالتدريس كان البعض منهم يشتغل في أعمال مهنية كالوراقة أو التطريز أو التجارة أو صناعة أدوات التعليم وغيرها من المهن والصناعات. ومصادر أسرية بأن يكونوا من بيوت ثرية أو علمية. ومصادر دخل عامة فالبعض منهم صار من ندماء الخلفاء وحصلوا على رواتب شهرية تدفعها لهم الدولة. والبعض الآخر صار له راتب شهري في دائرة القضاء، وآخرون حصلوا

على رواتب شهرية في قائمة العلماء المبرزين آنذاك ومنهم من نال تلك الرواتب كلها وخير مثال على ذلك أبي إسحاق الزجاج.

5 – أنفقت الأموال التي خصصتها الدولة أو الوزراء أو الأعيان أو العلماء على احتياجات المتعلمين والمعلمين من طعام وكسوة وأدوات تعليمية ودعم لمصروفات الرحلة العلمية وإنشاء أماكن لإقامتهم وعلاجهم في المشافي وشراء الأدوية لهم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قائمة المصادر والمراجع

[1] ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت630هـ/ 1232م). اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت).

[2] ابن أبي أُصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت668هـ/ 1269م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

[3] أمين، أحمد (ت1373هـ/ 1954م). ضحى الإسلام، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1418هـ- 1998م.

[4] ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالواحد بن محمد (577هـ/ 1181م). نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ- 1998م.

[5] بروكلمان، كارل (ت1376هـ/ 1956م). تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، ط5، دار المعارف، القاهرة ، 1403هـ- 1983م .

[6] البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، عن النسخة التي طبعتها وكالة المعارف، استانبول، 1375هـ- 1955م.

[7] البكري، أبي عُبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت487هـ/ 1094م). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1364هـ- 1945م.

[8] الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت429هـ/ 1037م). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1405هـ - 1985م.

[9] الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/ 868 م). البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ - 1998م.

[10] ابن جماعة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني (ت733هـ/ 1333م). تذكرة السامع والمتكلم في آداب العَالِم والمتعلم، عناية: محمد بن مهدي العجمي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1433هـ- 2012م.

[11] ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/ 1200م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ- 1992م.

[12] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/ 1448م). لسان الميزان، عناية: عبدالفتاح أبو غدة وسلمان عبدالفتاح أبو غدة، ط1، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1423هـ- 2002م.

[13] الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/ 1229م). معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1413هـ- 1993م.

[14] نفسه، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ - 1977م.

[15] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/ 1071م). تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطَّانِها العلماءِ من غير أهلها وواريديها

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

(تاريخ بغداد)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ/ 2001م.

[16] نفسه، كتاب الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل بن يوسف العَزَازي، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية- الدمام، 1417هـ- 1996م.

[17] ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م). المقدمة (مقدمة ابن خلدون)، تحقيق وتعليق: عبدالسلام الشدادي، ط1، المركز الوطني للبحث العلمي والتقني، الدار البيضاء- المغرب، 1426هـ- 2005م.

[18] ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/ 1282م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1390هـ- 1970م.

[19] الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م). كتاب تذكرة الحفاظ، تصحيح : عبدالرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1374هـ - 1955م.

[20] نفسه، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ 1984-م.

[21] نفسه، العبر في خبر من غبر، تحقيق وضبط: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ- 1985م.

[22] نفسه، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: طيَّار آلتي قولاج، (د.ن)، استانبول، 1416هـ- 1995م.

[23] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ/ 1791م). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج وإبراهيم الترزي، مراجعة:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

مصطفى حجازي وآخرون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1413هـ- 1993م.

[24] الزجاجي، أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (ت340هـ/ 951م). مجالس العلماء، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام (9)، ط2، مطبعة حكومة الكويت، 1404هـ- 1984م.

[25] الزركلي، خيرالدين. الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 1423هـ- 2002م.

[26] السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت771هـ/ 1370م). طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، ط1، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1383هـ- 1964م.

[27] سزكين ، فؤاد . تاريخ التراث العربي (التدوين التاريخي)، ترجمة : محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1411هـ - 1991م.

[28] سعيد، زهير عبدالله. الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ بداية العصر العباسي حتى الغزو الصليبي (132-491هـ/ 750-1097م)، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت إلى قسم التاريخ - كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 1427هـ- 2006م.

[29] ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (ت231هـ/ 846 م). طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1394هـ- 1974م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

[30] السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ/ 1166م). الأنساب، تحقيق: عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني وآخرون، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،1400هـ - 1980م.

[31] السيد أدّى شير. كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة، ط2، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1409هـ- 1988م، عن طبعة المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت،1326هـ- 1908م.

[32] السيرافي ، الحسن بن عبدالله (ت368هـ/ 979م). أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1374هـ 1955-م.

[33] السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر محمد (ت911هـ/ 1505م). تاريخ الخلفاء، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ - 2003م.

[34] الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد. الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004 م.

[35] الصابئ، أبي الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم الكاتب (ت448هـ/ 1056م). كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،1321هـ- 1904م.

[36] الصالحي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي (ت744هـ/ 1343م). طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ- 1996م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

[37] صالحية، محمد عيسى. المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، القاهرة،1416هـ- 1995م.

[38] ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/ 1309م).الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د. ت).

[39] أبي الطيب اللغوي، عبدالواحد بن علي (ت351هـ/ 962م). مراتب النحويين، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة،1375هـ- 1955م.

[40] أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت356هـ/ 967م). كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

[41] ابن العماد، أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت1089هـ/ 1678م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1410هـ- 1989م.

[42] ابن فرحون المالكي، إبراهيم بن نور الدين (ت799هـ/ 1396م). الديباج المُذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنّان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/ 1996م.

[43] القابِسي، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني (ت403هـ/ 1012م) . الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة: أحمد خالد، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1406هـ- 1986م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

[44] القاضي عبدالجبار، أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار (ت415هـ/ 1024م). فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومُباينتهم لسائر المخالفين، اكتشاف وتحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، (د. ت).

[45] القرطبي، عريب بن سعد (ت بعد سنة331هـ/ 942م). كتاب الصلة (صلة تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عن النسخة التي حققها المستشرق: دي خويه، دار سويدان، بيروت، (د.ت).

[46] القفطي، أبي الحسن علي بن يوسف (ت624هـ/ 1227م). انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1406هـ - 1986م.

[47] القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي (ت821هـ/ 1418م). صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1337هـ - 1918م.

[48] الكندي، أبي عمر محمد بن يوسف (ت350هـ/ 961م). الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح: رفن كَست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1326هـ- 1908م.

[49] متز، آدم (ت1335هـ/ 1917م). الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت).

[50] المسعودي، علي بن الحسين (ت346هـ/ 957م). مروج الذهب ومعادن الجوهر، عناية ومراجعة: كمال حسن مرعي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1425هـ/ 2005م.

[51] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/ 1441م). كتاب المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ - 1991م.

[52] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ/ 1311م). لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، 1300هـ- 1883م.

[53] ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت380هـ/ 990م). كتاب الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،1430هـ- 2009م.

[54] ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي (ت526هـ/ 1132م). طبقات الحنابلة، تحقيق وتقديم وتعليق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، 1419هـ- 1999م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

إسهامات علماء يافع العلمية والفكرية في اليمن (بين القرنين الخامس -العاشر الهجريين/ الحادي عشر-السادس عشر الميلاديين)

د. جمال عبد الحبيب عبد القوي الكلدي[1]

الملخص:

تهتم هذه الدراسة بموضوع إسهامات علماء يافع العلمية والفكرية في اليمن بين القرنين الخامس – العاشر الهجري/ الحادي عشر – السادس عشر الميلادي, فهذه المدة شهدت فيها الحركة العلمية والفكرية في اليمن ازدهاراً ملحوظاً, فقد لعب حكام تلك المدة دوراً كبيراً في تشجيع العلماء وحثهم على نشر العلم والمعرفة, كما ساهم بعض من هؤلاء الحكام في التأليف, وبناء المساجد والمدارس, والمراكز العلمية, كما برز العديد من علماء يافع الذين ساهموا في تطوير العلوم: دراسة وتدريساً وتأليفاً, وكان لهم فضل المساهمة في ازدهار العلوم النقلية (الدينية), مثل: علم القراءات وعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه وأصوله، وعلوم اللغة, والعلوم العقلية مثل: علم الفرائض وعلم الرياضيات والحساب والتصوف وعلم الكلام وعلم التاريخ والسير. ويظهر ذلك جلياً من المصنفات التي

(1) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد/ كلية التربية عدن.

ألفها بعض علماء يافع والتي كان لها تأثير إيجابي على الحركة التأليفية في اليمن في تلك المدة.

Summary:

This study is concerned with the subject of the scientific and intellectual contributions of Yafa scholars in Yemen between the fifth centuries - the tenth century / eleventh - sixteenth century A.D., during which period the scientific movement in Yemen witnessed a remarkable prosperity, as the spread of educational centers, and the emergence of many scientists who contributed to the development of science, Scholarship, teaching, and composition, thanks to them all classes of science flourished, from religious sciences such as: the science of readings and the science of interpretation and the science of modern science and jurisprudence and its origins, as well as the language sciences, and mental sciences such as: the science of theology, mathematics, arithmetic, mysticism, speech science, history and biology. This is evident from the works compiled by some of the scholars of Yafa, which had a positive impact on the composition movement in Yemen during that period. The study also reached a number of results that we mentioned in the folds of this research.

المقدمة:

إن الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.. وعلى آله وصحبة أجمعين.. أما بعد...

مما لا شك فيه أن ما كتب عن الحياة العلمية والفكرية في اليمن مازال قاصراً ويكتنفه الغموض، لاسيما خلال الحقبة الإسلامية، فإسهامات أهل اليمن كثيرة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وواسعة في مختلف العلوم العقلية والنقلية ومع ذلك تحتاج هذه الجوانب إلى كثير من الدراسات الجادة التي من خلالها يمكن الكشف عن الجديد المغمور في المصادر التاريخية... وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نسلط الضوء على دور علماء يافع[1] في الحياة العلمية والفكرية بين القرنين الخامس والعاشر الهجري/ الحادي عشر والسادس عشر الميلادي الذين برزوا في العديد من المناطق اليمنية وعرفوا بعلمهم وتعددت مواهبهم في مختلف العلوم، على الرغم مما كتب عن الحياة العلمية في اليمن إلا إنها تندرج ضمن مواضيع عامة، فليس هناك دراسة مستقلة ومستفيضة تختص في تناول الدور العلمي الذي لعبه علماء يافع في اليمن في تلك الفترة من الزمن دراسة، وهذا ما دفع الباحث لدراسة إسهامات علماء يافع في تلك الفترة لما فيها من معلومات قيمة لم تحظ بالاهتمام والدراسة.

لقد اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي في كلياته وجزئياته المتمثلة في جمع المعلومات ثم تصنيفها وتحليل ما يمكن تحليله، أي انه يجمع بين المنهج الوصفي والتحليلي معـًا.

كما حاولت الدراسة، رغم كثرة العلماء من أبناء يافع وثراء إسهاماتهم في الحياة العلمية في اليمن، أن توضح تاريخ وفاة العلماء ممن تم الاستشهاد بهم، وإن تعذر

(1) قبيلة مشهورة تقع منازلها فيما بين الضالع ولحج، أي أنها تقع في الجنوب الشرقي من صنعاء على مسافة سبع مراحل، في المنطقة المعروفة قديمـًا باسم (سرو حمير)، وهي منطقة جبلية صخرية صلبة ترتفع عن سطح البحر بحوالي 2200 قدم، وتعتبر أعلى منطقة جبلية في المحافظات الجنوبية والشرقية، وفيها بلدان ومزارع، ونسب قبائل يافع من حمير بن ولد يافع بن قاول بن زيد بن ناعته بن شراحبيل بن الحارث بن ذي رعين الأكبر : ينظر: الحجري، محمد بن أحمد اليماني، مجموع بلدان اليمن و قبائل، ط2، تح: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1416هـ/ 1996م، ج4، ص773؛ المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، 1422هـ/ 2002م، ج2، ص1895ـ1896.

ذلك تصريحاً استندنا إلى منهج الاستدلال على وفاتهم من خلال الاستشهاد بوفاة من عاصرهم من العلماء وطلاب العلم.

وقد تطلب الأمر، تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وقائمة أسماء المصادر والمراجع التي عدنا إليها، وتناول المبحث الأول الحياة العلمية في اليمن بين القرنين (5 – 10هـ/ 11 – 16م). ودرسنا في المبحث الثاني عوامل بروز علماء يافع في الحياة العلمية والفكرية. وخصصنا المبحث الثالث لمعرفة دور علماء يافع في العلوم المختلفة: النقلية، العقلية، وأنهينا دراستنا بخاتمة لخصنا من خلالها أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها.

المبحث الأول

الحياة العلمية في اليمن بين القرنين (٥– ١٠هـ/ ١١– ١٦م)

تعد الحياة العلمية في التاريخ الإسلامي من أهم الجوانب التي شكلت الوجه الحضاري الإسلامي على مر العصور، وقد أسهم علما يافع في إبراز ذلك الوجه الحضاري في الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، وبما أن يافع أحد مناطق اليمن في المفهوم المعاصر فلا بد من إيراد لمحة تاريخية موجزة عن الحياة العلمية في اليمن بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين، في سبيل التمهيد للحديث عن علماء يافع وإسهاماتهم العلمية والمعرفية وكشف المناخ العلمي والثقافي العام الذي كان يحيط بهم.

لقد لعب بعض الملوك والسلاطين والأمراء دوراً بارزاً في النشاط العلمي والفكري، فحكام الدولة النجاحية من سلاطين ووزراء (412 – 555هـ/ 1021 – 1160م)، شجعوا العلماء والأدباء، فالأمير جياش بن نجاح (482 – 498هـ/ 1089 – 1104م) عندما كتب إلى معلم ولده قال: "... وعلمه وقار القعود وعدل القيام ولا تسئمه لطول المكث عندك ولا ترخص له الإبطال إن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

استأذنك، وروضه بالصلوات في أوقاتها ليمرن على أداء مفترضاتها وعلمه إسباغ الوضوء من ابتدائه إلى انتهائه، وإذا أراد أن يكتب فسوس قلمه وصور له وضوح الخط بمثال التصوير في مواضعه وعلمه الفرق بين الواوات والفاآت ولا تقبل من دواته إلا الإصلاح ولا من قلمه غير العقد الصحاح، وعلمه كتاب الله فإنه الحبل المتين ولا ارخص له في نسيانه فإنه الخسران المبين...،"[1]، وبرزت في عهدهم أسر علمية كأسرة بني عقامة التي كانت تسكن مدينة زبيد، وغيرها من الأسر التي كان لها أثر في الحياة العلمية آنذاك[2].

كما ظهر بوضوح الدور العلمي الذي لعبه بعض الوزراء في عهد الدولة النجاحية من أمثال: الوزير من الله الفاتكي (518 – 524هـ/ 1124 – 1129م)، الذي تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بما أغناهم عمن سواهم من الأراضي والمرافق والرباع[3]، والوزير سرور الفاتكي (531 – 551هـ/ 1136 – 1156م)، الذي كان يتمتع بصفات وفضائل حميدة، حتى نال احترام الناس له،

(1) الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (ت: 732هـ/ 1331م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ط2، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1416هـ/ 1995م، ج2، ص506 –508.

(2) الجندي، السلوك، ج1، ص255، 258؛ ابن الديبع، أبي الضيا عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت:944هـ/ 1537م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ط2، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة أبو ذر الغفاري، صنعاء، 1409هـ/ 1988م، ص246 – 247، 255 – 258؛ بامخرمة، أبي محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي (ت: 947هـ/ 1540م)، تاريخ ثغر عدن، مع نحب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، ط2، دار التنوير، بيروت، 1407هـ/ 1986م، ج2، ص46 – 47.

(3) عمارة، نجم الدين عمارة بن علي بن محمد بن زيدان الحكمي اليمني (ت: 569هـ/ 1173م)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، ط3، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، المكتبة اليمنية، صنعاء،1406هـ / 1985م، ص168 – 170؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص205.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وكان يزور العلماء ويتفقدهم وكانت عطاياه لهم دائمة في كل سنة، وكان يجلس الفقهاء بين يديه للمناظرة[1]، وكانت الحرة علم[2] تشجع العلم والعلماء، خاصة في مدينة زبيد وما جاورها من مناطق تهامة، هذا مما يدل على وجود نشاط علمي مستقر في تلك الفترة.

أما بالنسبة للدولة الصليحية (439 – 532هـ/ 1047 – 1137م)، فقد حاول حكام هذه الدولة أن يحدوا من نشاط أرباب العلم والمعرفة من المخالفين لهم بالمذهب والمعتقد، لأن الصليحيين كانوا على المذهب الشيعي الإسماعيلي الفاطمي[3]، وفي منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي خاصة عند حكم الأيوبيين لليمن (569 – 626هـ/ 1174 – 1229م)، بدأ بوضوح الاهتمام بالحياة العلمية، ويتجلى ذلك من خلال الاهتمام في إنشاء المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس وأربطة وخوانق، والاهتمام بالعلماء والفقهاء والأدباء والطلاب على حدٍ سواء، وتسخير الإمكانيات اللازمة لتحقيق ذلك[4].

كما شهد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حركة علمية متميزة لم يشهد لها نظير من قبل، كان على رأس هذه النهضة العلمية ملوك وسلاطين الدولة

(1) عمارة، المفيد، ص181 – 184؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص254.

(2) الحرة علم: هي جارية مغنية من جواري الوزير أنيس الفاتكي اشتراها الأمير منصور بن فاتك من ورثة أنيس الفاتكي بعد قتله سنة 517هـ/ 1123م، فولدت له فاتكًا. ينظر: عمارة، المفيد، ص167؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص250.

(3) الحمادي، أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل (ت: 470هـ/ 1077م)، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تح: محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1994م، ص125؛ ابن سمرة الجعدي، عمر بن علي (ت: بعد 586هـ/ 1190م)، طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، د.ت، ص170.

(4) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص184، 211، 220، 221؛ الجندي، السلوك، ج1، ص356، 461، 521؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص267ـ 269، 280ـ 281، 285.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الرسولية أنفسهم (626 – 858هـ/ 1229 – 1454م)، ابتداء من مؤسس الدولة الملك المنصور (626 – 647هـ/ 1228 – 1249م)، ثم ابنه الملك المظفر (647 – 694هـ/ 1249 – 1294م)، ثم الملك الأشرف (694 – 696هـ/ 1294 – 1296م)، الذين أحدثوا نهضة علمية كبيرة في هذا العصر، إذا فقد كانت النهضة العلمية التي حدثت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي مرتبطة أشد الارتباط بالفترة السابقة لها، وبمعنى آخر فإن ذلك التطور العلمي الذي حدث في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ما هو إلا امتداد لذلك التطور العلمي الذي حدث في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ومكملاً له، وقد تركز ذلك النشاط العلمي بشكل كبير في مدن الدولة الرسولية مثل: مدينة إب وتريم ومدينة تعز ومدينة ذي جبلة، ومدينة زبيد، ومدينة الجند ومدينة عدن التي اصطلحنا على تسميتها بالمراكز العلمية، ولا نعني بذلك بان النشاط العلمي قد اقتصر على هذه المراكز، بل وجدت كثير من المناطق والقرى الخاضعة للدولة الرسولية، ولكنها كانت أقل نشاطًا واضعف انتشاراً[1].

وقد تعددت منشآت التعليم وبخاصة المدارس التي تنافس على إنشائها الملوك والأمراء والعلماء والفقهاء، بل وكان للنساء بصمات واسعة في ذلك المجال، واستدعي لذلك العلماء والفقهاء والمدرسون للتدريس في تلك المنشآت التعليمية التي انطلق إليها الطلاب من كل حدبٍ وصوب لطلب العلم، ويشدهم إلى ذلك أكثر اهتمام ملوك الدولة في التعليم وتكفلهم بالإنفاق على التعليم والقائمين عليه، بل وعلى الطلاب أنفسهم، فقد حرصت الدولة على توفير ما يحتاجونه ولاسيما المأكل والمسكن، وهكذا يتضح في أن المناخ كان مهيأ وملائما للتعليم أكثر من أي

(1) فضل محمد صالح محمد، الحياة العلمية في اليمن في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي (عصر الدولة الرسولية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن، 1423هـ/ 2006م، ص48 – 71.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وقت مضى، فلا غرابة إن وجد ذلك الازدهار العلمي الفريد الذي تميز به العصر الرسولي، ولاسيما القرن الثامن الهجري أكثر من أي وقت مضى أيضاً[1].

ولقد وجدت عدد من العوامل والأسباب التي أدت إلى ازدهار الحياة العلمية في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ويأتي في مقدمة ذلك دور ملوك الدولة الرسولية في التشجيع على طلب العلم، بل أنهم كانوا في مقدمة المتعلمين، فقد جمعوا بين طلب العلم وقيامهم بتدبير شؤون الملك، وكانوا جديرين بأن يطلق عليهم الملوك العلماء، ليس ذلك فحسب، بل كانوا حريصين أشد الحرص على نشر العلم وتعلمه في نفس الوقت، وكانوا يحرصون على اختيار النخبة من ذوي الكفاءات العلمية من العلماء ويسندون إليهم بعض شؤون الدولة كالقضاء، ومن هؤلاء اليحيويون من علماء يافع الذين أصبحوا قضاة الدولة الرسولية... ولم يمنعهم ذلك أن يستجلبوا الخبرات العلمية من خارج البلاد مما أعطى ذلك دافعاً أكبر في ازدهار الحياة العلمية في البلاد من خلال الأخذ من التراث العلمي والفكري الموجود لدى الدول العربية والإسلامية، وحدثت الرحلات العلمية المتبادلة بين اليمن وتلك البلدان مما كان لذلك أثره المهم في ازدهار الحياة العلمية في القرن الثامن[2].

وتبقى المؤلفات التي دونت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي شاهداً حياً على ذلك التطور الذي حدث في القرن المذكور، فقد اتسم ذلك العصر

(1) الخزرجي، أبي الحسن علي بن الحسن (ت: 812هـ/ 1409م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط2، تصحيح: الشيخ محمد بسيوني عسل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، 1403هـ/ 1983م، ج1، ص293، 348، 408، 430، 441.

(2) الجندي، السلوك، ج2، ص41، 65، 77، 150، 543، 556؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص335، 348.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

بنشاط واضح في حركة التأليف فتنافس الملوك والعلماء والفقهاء والأدباء وسائر رجال العلم في الدولة في مجال التأليف وكان من نتائج ذلك أن الفت الكثير من الكتب في كثير من علوم الدين، وعلوم اللغة العربية، والتاريخ وعلم التصوف وعلم الطلب والفلك والجبر والحساب وغير ذلك[1].

وفي عهد الدولة الطاهرية (858 – 945هـ/ 1454 – 1538م)، ازدهرت المراكز العلمية التي كانت امتدادا للمراكز العلمية في العهد الرسولي، بما في ذلك المدن التي ازدهرت مكانتها في العهد الطاهري، وخصوصاً المدن التي أضحت عواصم للدول المستقلة، والمدن التي أسهمت في التطور الاقتصادي لهذه الدول، لذلك فإن ازدهار المراكز العلمية وتطورها أرتبط بالأوضاع السياسية، ودرجة الاهتمام الذي كان يوليه سلاطين وملوك هذه الدول لهذه المدن، فضلاً عن حجم الاهتمام الذي حظي به العلم والعلماء، فهناك علماء عاصروا هذه الدولة وسلاطينها وحظوا بمكانة مرموقة عندهم، وكانوا يهتمون بهم ويستمعون إليهم، وما يقدمونه من نصائح وأراء تخدم مصالح الناس. ولم ينحصر اهتمام العلماء في عهد الدولة الطاهرية بعلم محدد بل كتبوا وبرعوا وأجادوا في كثير من العلوم، منها العلوم النقلية والعقلية[2]، وعلى الرغم من ذلك إلا أن إسهام الطاهريين في الحياة العلمية لم يكن بالمستوى نفسه من الثراء العلمي الذي أسهم به الرسوليين من قبلهم، ربما كان مرد ذلك إلى أن بني طاهر انشغلوا كثيراً بتدعيم نظام حكمهم والدفاع عنه من الأخطار الداخلية والخارجية التي كانت تهدده خصوصاً مقاومة الأئمة الزيديين من الداخل، وانشغالهم في مواجهة المحاولات الخارجية من

(1) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص 72ـ74، 105 – 107.

(2) فجيح، عاشور عبود سالم، الحياة العلمية في عهد الدولة الطاهرية (858 – 945هـ/ 1454 – 1538م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن، 1424هـ/ 2003م، ص64 – 65، 83.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

قبل البرتغاليين الذين كانوا يهددون المدن والموانئ اليمنية والسيطرة على طرق التجارة الدولية، فصلاً عن ذلك فإن الفترة الزمنية لحكم الطاهريين كانت أقل بكثير من فترة حكم الرسوليين[1].

المبحث الثاني

عوامل بروز علماء يافع في الحياة العلمية والفكرية

لم تأت النهضة العلمية لدى علماء يافع من فراغ، بل كان هناك الكثير من العوامل المختلفة التي أدت إلى بروز هؤلاء العلماء، ويمكن إيجاز أبرزها في الآتي:

دفعت الطبيعة الجبلية الصعبة كثيراً من أهل يافع إلى السفر والترحال وطلب الرزق، وقد عرفوا بشده بأسهم واشتغالهم بالتجارة، فخرج العديد منهم إلى العديد من المناطق اليمنية للعمل في الجندية والتجارة وطلب العلم[2]، فلم يشتغل أهل يافع فقط بالجندية بل برز منهم العديد من العلماء وطلاب العلم والمعرفة، الذين أثروا في النشاط العلمي والفكري آنذاك في المدن والقرى اليمنية التي وصلوا إليها واستوطنوها وأقاموا مراكزهم العلمية فيها وسنتناول كثيرا منهم بالتفصيل خلال هذه الدراسة.

وكان للرحلات العلمية أثر بالغ في نفوس العلماء من أبناء يافع، حيث فضل بعضهم التنقل والترحال من أجل الاستزادة من العلوم وخاصة الشرعية منها[3]،

(1) فجيح، الحياة العلمية، ص82.

(2) بلعبد، محمد منصورعلي صالح، عدن في عصر الدولة الرسولية (629 – 858هـ/ 1231 – 1454م) دراسة تاريخية حضارية، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/ 2012م، ص228 – 229.

(3) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص65؛ الجندي، السلوك، ج1، ص240؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (775 – 832هـ/ 1373 – 1420م)، العقد الثمين قي تاريخ البلد الأمين، ط2، تح: محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/ 19986م، ج5، ص514ـ 515؛ ابن حجر العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ/ 1449م)، الدرر الكامنة في أعيان

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وهي ما ستبينها الدراسة.

كما كان للملوك والأمراء في الدول التي ظهرت زمن الدراسة، اهتمام بالعلم والعلماء وتشجيعهم وكان من بين هؤلاء العلماء علماء يافع[1]، وكانت المجالس العلمية أحد أسباب ازدهار الحياة العلمية في تلك الفترة، فقد كان للعديد من علماء يافع مجالس علمية وخاصة الفقهاء والمحدثين، والأدباء والشعراء[2].

كما كان للمكتبات أهمية بالغة، فهي من العوامل التي أدت إلى ازدهار الحياة العلمية والفكرية آنذاك، فقد شارك العديد من علماء يافع في التأليف وتصنيف الكتب[3]، حتى أغنوا بتلك المؤلفات النفيسة المكتبة اليمنية بتراث علمي وأدبي كبير.

المائة الثامنة، ط2، تح: محمد عبدالحميد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1392هـ/ 1972م، ج3، ص18، ج5، ص112؛ الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري (ت: 1089هـ/ 1687م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبدالقادر الأرنؤوط، ومحمود الأرئؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/ 1985م، ج6، ص210 ـ 211.

(1) الجندي، السلوك، ج1، ص249، ج2، ص116؛ الأفضل عباس، بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي الرسولي (ت: 778هـ/ 1377م)، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله أحمد الخامري، وزارة الثقافة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م، ص542؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، وهو طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، تح: عبدالله بن قائد العبادي وآخرون، الجيل الجديد، صنعاء، 1429ـ1430هـ/ 2008ـ2009م، ج4، ص1936، 1992.

(2) الجندي، السلوك، ج1، ص 276ـ 277؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص371ـ 372؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ج3، ص1258.

(3) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص111؛ الناخبي، عبدالله بن أحمد بن محسن، رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ، د.ن، 1410هـ/ 1990م، ص39؛ ديان، محسن بن محسن، وقائع من تاريخ يافع (رواية ـ دراسة ـ تحليل)، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1420هـ / 1999م، ص123.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

المبحث الثالث

إسهام علماء يافع في العلوم المختلفة

تميز علماء يافع بتنوع قدراتهم العلمية والمعرفية، حيث لم تقتصر خبراتهم على جانب معين أو علم بذاته، بل شكل بعضهم مرجعيات في بعض العلوم، وتنوعت مواهب بعضهم بين العلوم الدينية والدنيوية والعقلية والنقلية وغيرها، وبرزت منهم أسماء جمعت بين كل تلك العلوم، وهي من الأمور التي قد لا نجدها عند كثير من علماء اليمن.

أولاً- العلوم النقلية (الدينية):

العلوم العقلية (الدينية) وهي العلوم الشرعية التي كانت تقوم عليها الحياة العلمية في جميع أمصار العالم الإسلامي، وهي علوم القرآن : من حفظ وتلاوة (علم القراءات)، والتفسير، وكذلك علم الحديث، وعلم الفقه وأصوله.

ا – علم القراءات:

وهو علم قراءة القرآن بصيغة مختلفة والقراءات في اللغة هو جمع قرأ[1]، وفي الاصطلاح، هو مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة يخالف غيره من مسندها إلى رسول الله ﷺ[2]، إذ تلقن رسولنا الكريم ﷺ القرآن بواسطة جبريل عليه السلام على سبعة أحرف، فأجمع علماء المسلمين أن المراد بالأحرف السبعة هي سبع من لهجات أو كتابات العرب[3].

ونتيجة لأهمية هذا العلم كان من أوائل العلوم التي يتعلمها الصبيان في مراحلهم الأولى، لأجل ترتيل القرآن وحفظ ثم تليه العلوم الأخرى، وقد اشتغل علماء يافع

(1) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: 817هـ/ 1414م)، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ص47.
(2) القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م، ص9.
(3) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 178.

بعلم القراءات منذ انتشاره وظهور مدارسه، واجتهدوا بطلبه ورحلوا من أجله حتى اشتهر منهم من عرف بهذا العلم وإجادته أمثال: العلامة عفيف الدين أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي (ت: 768هـ/ 1366م)، الذي قرأ القرآن في بداية حياته على الفقيه جمال الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد البصال المعروف بالذهبي (ت: 745هـ/ 1344م)[1]، والقاضي شرف الدين أحمد بن علي الحرازي (ت: 718هـ/ 1318م) في عدن[2]، في الوقت الذي كانت فيه عدن تعد من أهم المراكز العلمية آنذاك، حتى أصبح الفقيه عبدالله بن أسعد اليافعي من المؤلفين بهذا العلم بعد أن أجاد وأصبح من علمائه، وكانت من أشهر مصنفاته في التلاوة كتاب: " الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز"، وكتاب آخر أطلق عليه: "الدر النظيم في خواص القرآن الكريم"[3].

(1) السبكي، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت: 771هـ/ 1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط2، نح: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، 1413هـ/ 1992م، ج3، ص95؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ج3، ص1195ـ 1196؛ بامخرمة، قلادة النحر في أعيان الدهر، عني به: أبو جمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج، جدة، 1428هـ/ 2008م، مج6، ص306.

(2) الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم (ت: 772هـ/ 1370م)، طبقات الشافعية، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ / 1987م، ج2، ص330؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت: 851هـ / 1448م)، طبقات الشافعية، تح: د. الحافظ عبدالعليم خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/ 1986م، ج3، ص95ـ 96؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص18، ج5، ص112؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص210ـ 211.

(3) الداودي، أحمد بن محمد (ت: 945هـ/ 1538م)، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكمة، السعودية، 1417هـ/ 1997م، ج1، ص 284؛ حماد، أسامة أحمد، مظاهر الحضارة في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول)، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، 1425هـ/ 2004م، ص566، 723.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

كما يذكر عن المقرئ بدر الدين حسن بن محمد اليافعي (ت: 830هـ / 1446م)، المنسوب إلى بلده يافع، أنه سكن قرية حبيل بعزلة مطاية[1] بجبل بعدان[2] في إب، وقرأ على الإمام عفيف الدين الشنيني بالقراءات وغيرها، وجعله من خواصه، وزوجه أبنته[3].

كما آثر الكثير من أهل يافع الارتحال لطلب العلم والمعرفة، فيذكر عن الفقيه أبو الحسن نور الدين علي بن صبر اليافعي (913 – 987هـ/ 1507 – 1579م)، المولود بجبل يافع ممن ارتحل إلى تريم[4] حضرموت وهو صغير صحبة عمة الحسين بن عبدالله الصبري اليافعي، وأقام بها، وطلب العلم هناك، ومن العلوم التي أخذها علم القراءات[5]، وكذالك الأمر بالنسبة للمقرئ علي بن صلاح

(1) مطاية: بلده ومركز إداري من مديرية السبره وأعمال محافظة إب : ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1555.

(2) بعدان: جبل مشهور يطل على مدينة إب من الناحية الشرقية: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص181ـ182.

(3) البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي اليمني (ت: 904هـ/ 1498م)، طبقات صلحاء اليمن، ط2، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ/ 1994م، ص214؛ حلبوب العمري، نادر سعد عبادي، الموسوعة اليافعية، دار الوفاق، عدن، 1436هـ/ 2015م، ج1، ص231ـ232.

(4) تريم: مدينة قديمة ذات شهرة علمية وتاريخية، تقع في نهاية وادي حضرموت، شمال شرقي مدينة (سيئون) بمسافة نحو 32 كيلاً : ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص228ـ 231.

(5) العيدروس، عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله (ت: 1038هـ/ 1629م)، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/ 1984م، ص477؛ باجمال، جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين (ت: 1019هـ/ 1610م)، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، تح: محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، 1429هـ/ 2008م، ص141، 155؛ السلفي، سالم عبدالرب، معجم أعلام يافع، ط2، د.ن، عدن، 1434هـ/ 2013م، ص302.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

المشبعي (ت: 1018هـ/ 1609م)، كان من وجهاء يافع فأرتحل في طلب العلم باليمن، وظفار، وحضرموت، فأخذ علم القراءات والتجويد من علمائها[1].

وتأكد هذه الشواهد دون أدنى شك بأن أهل يافع ليسوا بمنأى عن المدن والقرى التي كانت تعج بالعلم والعلماء فارتحلوا إلى تلك المراكز وأخذوا العلم من علماءها فأثروا وتأثروا بالحركة العلمية في تلك المدن والقرى التي هاجروا إليها وسكنوها وتعلموا العلوم الشرعية فيها آنذاك.

٢ – علم التفسير:

علم التفسير هو العلم الذي صاحب نزول القرآن فتولى الرسول ﷺ تفسير بعض الآيات التي تحتاج إلى توضيح وتفسير، وكان علم التفسير يعد من أول ما دون في عصر التدوين[2]. التفسير في اللغة من فسر وهو الإيضاح الإبانة، وكشف المغطى[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[4]، وفي الإصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بجهود بشرية[5]، فالتفسير نوعان هما: التفسير بالمأثور، والتفسير المذهبي.

أما النوع الأول فهو التفسير بالمأثور، وهو الاعتماد على تفسير القرآن بالقرآن أو بالمأثور إما عن رسول الله ﷺ، أو عن الصحابة الكرام (رضي الله عنهم)،

(1) نقلًا عن: السلفي، أعلام يافع، ص304 – 305؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية،ج1، ص272–273.

(2) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط12، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ص121.

(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص411.

(4) سورة الفرقان، الآية 33.

(5) الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1416هـ/ 1996م، ج2، ص3.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

أو عن التابعين[1].

أما النوع الثاني فهو تفاسير الفرق الإسلامية المختلفة، فيرجع إلى التفسير بالرأي[2].

ولأهمية هذا العلم فقد اشتهر به بعض علماء يافع بهذا العلم وارتحل لطلبه، أمثال العلامة أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي، وقد أشتغل بالعلم التفسير وصنف فيه كتابًا اسماه: "الأنوار اللائحة في أسرار سورة الفاتحة"[3].

٣ – علم الحديث:

وكان من العلوم التي حظيت باهتمام علماء يافع في مدة الدراسة، وعلم الحديث في اللغة من التحديث وهو الأخبار[4]، فالحديث هو ضد القديم لأنه يحدث شيئًا فشيئًا ويستعمل في قليل الكلام وكثره[5]، وفي الاصطلاح هو العلم الذي يعرف به أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله[6].

وقد كان لأهل يافع في هذه المدة – بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين – دورًا لا يقل أهمية عن دور بقية علماء أمصار العالم الإسلامي، سواءً من حيث حفظ الحديث وروايته وتصحيحه،

(1) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م، ص196.
(2) الشجاع، الحياة العلمية، ص 197.
(3) الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص330ـ 331؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج6، 306؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص723.
(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص153.
(5) الشجاع، الحياة العلمية، ص200.
(6) القنوجي، الشيخ صديق بن حسين (ت: 1248هـ/ 1832م)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ/ 2002م، ص361.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وبلغ من شهرتهم في هذا الجانب أن أرتحل بعضهم لطلب هذا العلم إلى المدن والقرى اليمنية التي أشتهرت بمراكزها العلمية في تلك المدة ومن علماء يافع الذين عرفوا بذلك: أبو الوليد عبدالملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي (ت: 493هـ/ 1099م)، الذي كان رحالاً في طلب العلم، وكان يتنقل من عدن إلى الجؤة[1]، ومنها إلى جبل الصلو[2] من بلاد الحجرية، وسافر إلى مكة للحج، فكان يسمى بالشيخ الحافظ، لأنه كان يجيد علومـًا كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر علم الحديث وطرقه ورواياته، فروى: "جامع أبي قرة" عن محمد بن علي الشيرازي (ت: 445هـ/ 1053م)، كما أخذ عن أبي عبدالله محمد بن الوليد بن عقيل المالكي العكي، الشيخ العارف سعد الزنجاني (ت: 471هـ/ 1078م)، وذلك في مكة عندما حج في سنة 451هـ/ 1059م[3]، وممن أخذ عنه سنن أبي قرة في سنة 476هـ/ 1083م كل من: الشيخ الزاهد يحيى بن عبدالعليم بن أبي بكر الأعمى، وأبو بكر بن عبدالله بن صبيح، ومالك بن حري الجندي، وسمع عنه عبدالله بن عبدالرزاق بن حسن بن أزهر (ت: 528هـ/ 1132م)، وسالم بن عبدالله بن محمد بن سالم (ت: 528هـ/ 1137م)، وروى عنه محمد بن مسلم بن أبي بكر بن أحمد بن

(1) الجؤة: بلده عدادها اليوم من مديرية (خدير) وأعمال محافظة تعز، وهي تقع تحت جبل الصلو من جهة الشرق : ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص369.

(2) الصلو: جبل ومديرية من بلاد المعافر (الحجرية)، من أعمال محافظة تعز: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص916.

(3) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص65؛ الجندي، السلوك، ج1، ص240؛ الشرجي، أبو العباس أحمد بن عبداللطيف الزبيدي (ت: 893هـ/ 1487م)، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تح: عبدالله محمد الحبشي، الدار اليمنية، صنعاء، 1406هـ/ 1986م، ص190؛ الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص514- 515؛ الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/ 1995م، ج1، ص402؛ ديان، تاريخ يافع، ص123.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

عبدالله الصعبي وهو من رجال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي "الموطأ" للإمام مالك (ت: 179هـ/ 795م)[1]، كما ظهر أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي، وهو من رجال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وممن أخذ عن الإمام عبدالملك بن أبي ميسرة[2].

وممن نبغ من أهل يافع في عدن في العصر الإسلامي أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (490 – 556هـ/ 1096 – 1160م)، الذي أشتهر بأنه كان عالماً بعلوم كثيرة من بينها علم الحديث، وقد بلغ من علمه في الحديث أن أخذ عنه القاضي أحمد بن عبدالله القريظي (ت: 584هـ/ 1188م) بعدن: "موطأ" الإمام مالك بن أنس (ت: 179هـ/ 795م)، وهو من أهم كتب الحديث[3].

كما ظهر في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي علماء أجلاء من قبيلة يافع اجتهدوا في طلب العلوم الشرعية ومنها علم الحديث وتعليمه، فبرز بهذا العلم معوضة بن علي بن عزان اليافعي وهو من رجال هذا القرن، الذي ارتحل لطلب العلم من بلده يافع إلى عدن فسمع بها علم الحديث من الشيخ علي بن حسين ين أحمد الحسيني في سنة 748هـ/ 1247م[4].

(1) الجندي، السلوك، ج1، ص241 – 242؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص422 – 423؛ الشرجي، طبقات الخواص، ص 190؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج3، ص 527؛ بعكر، عبدالرحمن، كواكب يمنية في سماء الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ/ 1990م، ص356 – 357.

(2) الجندي، السلوك، ج1، ص241؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص423؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ج4، ص1777؛ الأكوع، هجر العلم، ج1، ص403.

(3) الجندي، السلوك، ج1، ص306 – 307؛ عمارة، المفيد، 239ـ 241؛ بعكر، كواكب يمنية، ص359ـ360.

(4) الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص311.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويورد عن العلامة وأبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي (ت: 768هـ/ 1266م)، أنه كان رحالاً في طلب العلم الشرعي، وسمع الحديث من الرضي الطبري (ت: 722هـ/ 1322م) في مكة، لاسيما أهم الكتب الحديث مثل: "سنن" ابن ماجة (ت: 273هـ/ 886م)، و"مسند" الدارمي (ت: 253هـ/ 964م)، و"مسند" الشافعي (ت: 204هـ/ 820م)، و"صحيح" ابن حبان (ت: 354هـ/ 965م)، و"علوم الحديث" لابن الصلاح (ت: 643هـ/ 1245م)[1]، وبلغ من علمه أن أصبح من رواة الحديث[2]، وكان يحضر مجلسه القاضي شهاب الدين أحمد بن ظهير (ت: 792هـ/ 1389م) لسماع الحديث[3]، وسمع عنه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر المرشدي (ت: 778هـ/ 1376م):"صحيح البخاري"[4].

وبحكم ما كان لمدينة عدن التاريخية من أهمية، كونها تعد من أهم المراكز العلمية في المنطقة فقد استمر توافد علماء يافع وفقهائها إليها لتلقي العلم والسماع والحصول على إجازات من كبار علمائها لاسيما علماء الحديث، وممن أرتحل إليها وتميز بعلم الحديث القاضي جمال الدين محمد بن عيسى اليافعي (ت: 775هـ/ 1273م)، الذي أخذ عنه هذا العلم القاضي رضي الدين أبو بكر بن محمد بن عيسى الحبيشي (ت: 806هـ/ 1403م)، والعلامة العز بن الفرات الحنفي (ت: 807هـ/ 1405م) وغيرهم[5].

(1) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص20؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص110.
(2) السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص95؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص330-331؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص95-96.
(3) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص112؛ قلادة النحر، مج6، 306.
(4) الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص198.
(5) الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص239؛ الهاشمي، أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد بن فهد المكي، لوحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج1، ص159؛ شنبل، أحمد بن عبدالله (ت: 920هـ/ 1514م)، تاريخ حضرموت

وممن أرتحل في طلب العلم الشرعي من أهل يافع إلى عدن أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي (ت: 910هـ/ 1504م)، الذي أشتهر بعلوم كثيرة منها علم الحديث، قد أخذ عن الشيخ جمال الدين محمد بن احمد بافضل (ت: 903هـ/ 1497م) في عدن، ثم ذهب إلى الحج، وعندما عاد من الحج إلى عدن رُتب مدرس في المدرسة التي ابتناها الشريف عبدالرحمن بن علي بن سفيان (ت: 660هـ/ 1261م) بعدن، وكما كان يقرأ الحديث بدار السعادة، وفي يوم الجمعة كان يقرأ الحديث بعد الصلاة وهو جالس على كرسي في المقصورة، وكان السلطان المجاهد علي بن طاهر (ت: 764هـ/ 1362م) يجلس إلى جواره في المقصورة يسمع الحديث، وكان لدية كتب كثيرة يعيرها لمن أراد أعارتها، وقرأ عليه جمع من الطلبة انتفعوا بعلمه حتى توفي بعدن في السنة المذكورة[1].

ونصل هنا إلى خلاصة، أن علماء يافع وطلاب العلم منهم أبدعوا في علم الحديث، ولأجله ارتحلوا إلى المدن والقرى اليمنية زمن الدراسة، وقد نبغوا في الكثير من العلوم الأخرى أيضـًا وصار لبعضهم مصنفات في الحديث وغيره، مما يدل دلالة واضحة على مدى استيعابهم وإتقانهم له، كما أن لهم تأثير كبير في المدن والقرى والمراكز العلمية التي حلوها وتديروها.

٤ – علم الفقه وأصوله:

وكانت علوم الفقه مما تميز به علماء يافع خلال مدة الدراسة، علمـًا بأن الفقه هو العلم الذي يختص بالأحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية، وهو عبارة

المعروف بـ: تاريخ شنبل، ط2، تح، عبدالله محمد الحبشي، مكتبة صنعاء الآثرية، صنعاء، 1424هـ/ 2003م، ص137؛ الحجري، معجم بلدان اليمن، ج4، ص774؛ الناخبي، رحلة إلى يافع، ص40.

(1) بامخرمة، قلادة النحر، مج5، ص540؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص215.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

عن التصديق بالقضايا الشرعية المتعلقة بكيفية العمل تصديقًا حاصلاً من الأدلة التفصيلية التي نصت في الشرع على تلك القضايا وهي الأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس[1].

ولأهمية الفقه فقد كثر الاشتغال به أكثر من غيرة من العلوم ونال من المسلمين عناية كبيرة، وأخذ طلاب العلم على عاتقهم دراسة هذا العلم حتى أجادوه، وأصبحوا علماء فيه، فقاموا بتدريسه ووضع أسسه وقواعده، وكان على رأسهم الأئمة الأربعة: أبي حنيفة (ت: 150هـ/ 767م)، ومالك، والشافعي، وابن حنبل (ت: 241هـ/ 855م).

وبما أن بلاد اليمن عامة ويافع كانت جزء لا يتجزأ من دار الإسلام فإنها لم تكن بمنأى عن النشاط الفقهي، وبرز منها علماء وفقهاء أجلاء ارتحلوا وتجشموا الصعاب لطلب العلوم الشرعية كأمثال: أبو الوليد عبدالملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي، كان فقيهًا عالمًا نقالًا للمذهب، ثبتًا في النقل، رحالاً في طلب العلم، أخذ العلم عن القاسم بن محمد بن عبدالله الجمحي القرشي (ت: 433هـ/ 1041م)، الذي انتشر عنه مذهب الشافعي في مخلاف الجند وصنعاء وعدن، وروى عن الفقيه أبي بكر بن أحمد بن عمر اليزدي (ت: 437هـ/ 1045م) بعدن:"المختصر" للمزني (ت: 264هـ/ 877م)، وكتاب "الرسالة" للشافعي سنة 437هـ/ 1045م، وروى عن أيوب بن محمد بن كديس (ت: 410هـ/ 1019م) كتاب: "الرقائق" لعبدالله بن المبارك (ت: 180هـ/ 796م)، وأخذ عن أبي عبدالله محمد بن الحسن بن منصور الزعفراني العدني بعدن سنة 443هـ/ 1051م، وسكن جبل الصلو من

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت: 808هـ/ 1405م)، المقدمة، ط5، دار القلم، بيروت، 1405هـ/ 1984م، ج1، ص445؛ القنوجي، أبجد القرآن، ص458.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

بلاد الحجرية، وكان يكثر التردد ما بين بلده والجؤة، والجند وعدن، وكان معظم إقامته في الجؤة، فقصده الطلبة إليها، وأخذ عنه بجامعها عده كتب[1].

وكما برز بعام الفقه من علماء يافع: الفقيه العلامة أبو محمد عبدالله بن أبي الأغر بن أبي القاسم بن عوف بن عناق اليحيوي اليافعي (ت: 537هـ/ 1142م)، الذي أجاد هذا العلم، وقيل أنه سجن من قبل صاحب التعكر[2] مدة، فلزم أهل السجن القراءة والصلاة حتى صار السجن كأنه مدرسة لكثرة الاجتهاد بالقراءات، فلما علم صاحب الحصن بذلك أطلق سراحه، وله مصنف في الفروع لم يذكر المؤرخون اسمه، ومن ذريته الفقهاء اليحيويون[3].

وممن شارك في هذا العلم من علماء يافع الفقيه أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (490 – 552هـ/ 1096 – 11157م)، الذي سكن مدينة الجند، وتفقه بالفقية زيد بن عبدالله اليفاعي (ت: 514هـ/ 1120م)، وروى عن أبيه وخاله يحيى بن عبدالعليم كتاب: "الرسالة" للإمام الشافعي، و" مختصر المزني"، وولي قضاء اليمن من أب إلى عدن، من جهة الداعي محمد بن سبأ الصليحي (ت: 548هـ/ 1153م) ومن قبله من جهة الأمير منصور بن المفضل بن أبي البركات (ت: 543هـ/ 1148م) في ذي جبلة[4]، فأخذ عنه جماعة

(1) ابن سمرة الجعدي، طبقات الفقهاء، ص65ـ 66؛ الجندي، السلوك، ج1، ص 240ـ242؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص422ـ 423؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ج3، ص1287ـ 1288؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص126ـ 127؛ الأكوع، هجر العلم، ج1، ص402.

(2) التعكر: جبل في العدين (الكلاع)، تقع في سفحه الشمالي مدينة (جبلة)، ومن جنوبه مدينة (ذي السفال): ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص233 – 234.

(3) الجندي، السلوك، ج1، ص 276ـ 277؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص371 – 372؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ج3، ص1258؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1435ـ1436.

(4) جبلة: مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من مدينة إب، بينهما أربعة أميال تقريباً: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص285.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

منهم القاضي أحمد بن عبدالله القريظي (ت: 584هـ/ 1188م) الذي أخذ عنه: "المقامات" لمحمد الحريري البصري (ت: 516هـ/ 1112م)، و"موطأ الإمام مالك"[1]، أما الفقيه محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (517 – 546هـ/ 1123 – 1151م)، فقد أخذ الفقه من أخواله بني عبدالعليم، وولي قضاء عدن خلفا لأبية، ومات بالجند قبل أبيه فرثاه أبوه بقصائد[2].

وممن اشتهر من علماء يافع بالفقه أيضـًا: الفقيه أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي، الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، الذي ولي قضاء الجند، ثم ولي قضاء الجؤة أيام المفضل بن أبي البركات، وأخذ هو والشيخ يحيى بن عبدالعليم عن الشيخ عبدالملك بن أبي ميسرة اليافعي "مختصر المزني" وكتاب: " الرسالة للشافعي"، وأخذ عنه ذلك ولده أبوبكر[3]، كما برز من فقهاء يافع الفقيه أحمد بن إبراهيم بن أحمد اليافعي، الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وتفقه بعدد من الشيوخ منهم: الفقيه أبي الحسين يحيى بن محمد بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن أبي عمران السكسكي (ت528هـ/ 1133م)، كما أخذ عن الإمام زيد بن الحسن الفائشي (ت: 528هـ/

(1) الجندي، السلوك، ج1، ص306، 309؛ اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: 768هـ / 1316م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ/ 1993م، ج3، ص300؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص177-178؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص161.

(2) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص112 ـ 113؛ الجندي، السلوك، ج1، ص407؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص301؛ الناخبي، رحلة إلى يافع، ص43؛ ديان، تاريخ يافع، ص123.

(3) الجندي، السلوك، ج1، ص249؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص542؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ج4، ص1936؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج4، ص37.

1132م)، ومن الذين أخذوا عنه الفقيه أحمد بن موسى بن الحسين الأشعري (ت: 583هـ/ 1187م)[1].

ومن فقهاء يافع الذين ارتحلوا في طلب العلم إلى المناطق اليمنية الفقيه محمد بن ثعالة بن مسلم اليافعي (ت: 558هـ/ 1162م)، وكان من أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني (ت: 558هـ/ 1162م)، والذين تفقهوا على يديه وسمعوا منه، وسكن ناحية المشيرق[2] من بلاد بني حبيش[3].

والفقيه أبو الحسن علي بن عبدالله بن محمد بن أبي الأغر بن أبي القاسم بن عوف بن عناق اليحيوي اليافعي، الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، في قرية العقيرة[4]، كان فقيهاً عارفاً محققاً، درس على أبيه عبدالله بن محمد بن أبي الأغر[5].

والفقيه محمد بن أسعد بن أبي الخير الجبائي اليافعي (ت586هـ/ 1190م)، سمع على الفقيه أبي حسن أحمد بن عمر بن عبدالله السكسكي الكندي المعروف بسيف السنة أحد فقهاء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[6].

(1) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص170، 239؛ الجندي، السلوك، ج1، ص292.

(2) المشيرق: تصغير مشرق، مركز إداري من مديرية حبيش في أسافل جبل حبيش مما يلي حقل السحول: ينظر: المقحفي. معجم البلدان، ج2، 1542.

(3) الجندي، السلوك، ج1، ص352؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص300.

(4) العقيرة: قرية في منطقة شوائط من مديرية ذي السفال، وأعمال محافظة إب: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1097.

(5) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص215؛ الجندي، السلوك، ج1، ص359؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ج3، ص1454؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج4، ص359.

(6) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، 190ـ191؛ الجندي، السلوك، ج1، ص319.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

والفقيه سالم الشعثمي اليافعي وهو من قرية ذي السفال[1]، يبدو انه عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، لأنه من أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني.

ومن أبرز فقهاء يافع في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الذين ارتحلوا في طلب العلوم الشرعية أبو الخطاب عمر بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس بن أبي القاسم بن أبي الأعز اليحيوي اليافعي (ت: 644هـ/ 1246م)، فقيه فاضل، ولد ونشأ بقرية العقيرة، وتفقه بأخيه عبدالله، ثم أكمل تفقه على جماعة من علماء عصره، وتولي قضاء تعز[2].

والفقيه أبو الفتح يوسف بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس بن أبي القاسم بن أبي الأغر اليحيوي (ت: 644هـ/ 1246م)، من أهالي قرية العقيرة، وكان فقيهاً فاضلاً صالحاً ورعاً، وله أخ يدعى عمر بن أبي بكر اليحيوي المعروف بالهزاز توفي بعد أخيه بثمانية أيام[3]، والفقيه أبو عبدالله محمد بن عمر اليحيوي الهزاز (ت:670هـ/ 1271م)، سكن قرية العقيرة، ثم انتقل إلى مدينة تعز التي عاش وتوفي فيها، كان فقيهاً صالحاً ورعاً، ولد سنة 602هـ/ 1205م، وفي سنة 644هـ/ 1246م طلب منه الملك يوسف بن عمر بن رسول (647 – 694هـ/ 1249 – 1294م) أن يتولى القضاء خلفاً لأبية فاعتذر، وكان الملك يجله ويحترمه ويعتقد صلاحه، وله مصنف في الفقه لم يذكر المؤرخون أسمه، وهو أبو قضاة الدولة المؤيدية الرسولية (696 – 712هـ/ 1296 – 1321م)، ووزرائها أبي بكر وعلي وعثمان

(1) الجندي، السلوك، ج1، ص349ـ 350؛ الأكوع، هجر العلم، ج2، ص768.
(2) الجندي، السلوك، ج2، ص98؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص498؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص74؛ العقد الفاخر الحسن، ج3، ص1569ـ 1570.
(3) الجندي، السلوك، ج2، ص98؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص685ـ 686؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص74؛ العقد الفاخر، ج4، ص2295ـ 2296.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وإبراهيم[1]، والفقيه إبراهيم بن محمد بن عمر اليحيوي، هو عالم فقيه من علماء بلدة ذي السفال البارعين، وقد تولى القضاء في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[2]، والفقيه عمران بن ثواب اليافعي، من رجال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، كان فقيهاً فاضلاً، وأصل بلده الأشعوب ناحية الدملوة[3]؛ والفقيه أبو عمرو وأبو الحجاج يوسف بن الشافعي، عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فقيه عارف من بني حيدر ثم من آل يعلي من بلدة (اليُمن) بجبل يافع، كان يحفظ: "المهذب" لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: 393هـ/ 1002م) غيباً، وكان متى قدم إلى مصنعة (سير)[4] عكف الطلبة عليه في المذاكرة، وكان فقيهاً حاذقاً خيراً، وكان قضاة (سير) يكرمونه، توفي آخر المائة السابعة ببلدة[5]، قال الجندي[6]: "أما والدة أيضاً فهو فقيه بلدهم، تفقه بسهفنة على ابن جديل، وتقدم إلى (جبا) فتفقه بأهلها، وهو حاكم بلده، إلا أنني انقطع عني خبره بعد 700هـ/ 1300م وبلغني أنه عمي".

ومن فقهاء يافع المرتحلين في طلب العلم في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي الفقيه إسماعيل بن يحيى بن عمران ثواب اليافعي (ت: 702هـ/

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص116؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج4، ص1992.
(2) الأكوع، هجر العلم، ج2، ص776؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص210.
(3) الجندي، السلوك، ج2، ص409- 410؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية،ج1، ص278. الدملوة: قلعة منيعة مشهورة فوق قرية المنصورة من ناحية جبل الصلو على بعد نحو 60 كيلاً جنوب شرق مدينة تعز: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص621.
(4) سير: مركز إداري من مديرية السياني، وأعمال إب، في الجنوب منها وهي منطقة استوطنها الفقهاء (بنو عمران) بالقرن السابع الهجري: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص835.
(5) الجندي، السلوك، ج2، ص272؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص687- 688.
(6) السلوك، ج2، ص272.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

1205م)، تفقه بفقهاء الجند وامتحن بقضاء الدملوة ثم سافر إلى مكة للحج، وفي طريق عودته توفى[1]، والفقيه أحمد بن عبدالله اليحيوي (ت: نحو 700هـ/ 1300م)، كان يدرس ببلد العود[2]، وكان ذاكراً للفقه فاضلًا[3]. والفقيه أبو العتيق، رضي الدين أبوبكر بن محمد بن عمر الهزاز اليحيوي اليافعي (646 – 709هـ/ 1151 – 1309م)، فهو من أهالي قرية العقيرة، فقيه فاضل، أخذ الفقه عن أبيه، وعن العلامة محمد بن سالم العنسي، وغيرهم، وكان ظاهراً لإقامة المعروف والنهي عن المنكر، وإبطال الخمر، وما شابهه، وساهم مع الملك المؤيد ببناء عدد من المدارس والملحقات ببعض الجوامع، فكانت إعمار المدرسة المؤيدية في مغربه تعز على يده، و توفي في زبيد[4]. والفقيه محمد بن يحيى بن عمران ثواب اليافعي (ت نحو: 710هـ/ 1310م)، كان ذا فطنة ودين، امتحن بقضاء بلده، وفي آخر عمره كف بصره، ولكن لم يتغير حاله من التدريس والفتوى والدين والفقه وإطعام الواردين له من الطلبة وغيرهم[5]. والفقيه موقف الدين علي بن محمد بن عمر اليحيوي المعروف بالصاحب (ت: 712هـ/ 1313م)، كان فقيهاً صالحاً، ولي الوزارة والقضاء في الدولة المؤيدية إلى يوم وفاته في 3 ذي الحجة[6]، والفقيه جمال الدين أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر الهزاز

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص410.

(2) العود: جبل في بلاد النادره بالشرق من مدينة إب : ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1142.

(3) الجندي، السلوك، ج1، ص448.

(4) الجندي، السلوك، ج2، ص119ـ122؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص307؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص243، 253ـ254، 320؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص338.

(5) الجندي، السلوك، ج2، ص410..

(6) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص482؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص331؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص342؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1437.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

اليحيوي اليافعي (ت: 712هـ/ 1313م)، من أهالي قرية العقيرة، عاش وتوفي في مدينة تعز، قاضي من قضاة الدولة الرسولية، عالم محقق في الفقه، كان ينوب عن عمه القاضي موفق الدين علي بن محمد اليحيوي في قضاء الأفقية، فكان يباشر الأحكام، ويفصل القضايا، ولا يعارضه أحد، وكان الغالب عليه الزهد[1]، والفقيه إبراهيم بن إبراهيم بن عمر المذحجي الجبيري، نسبه إلى جد له بأبي الفقيه اليافعي (ت: 717هـ/ 1317م)، تفقه بابن عمه عبدالله بن عمر، وعثمان بن عبدالله، كان فاضلاً، سكن قرية جبا[2] وتوفي فيها، قال الجندي[3] عنه:" وله ابن أخ يطلب العلم بمدينة جبا، اجتمعت به ووجدته مجتهداً بقراءة العلم وهذا آخر فقهاء هذه الناحية، وكان ذلك سنة 729هـ/ 1328م، والفقيه أبو عفان، عثمان بن محمد بن عمر بن أبي بكر اليحيوي، المشهور بالهزاز اليافعي، وهو من رجال القرن السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، فقيه عارف، سكن قرية العقيرة، ثم انتقل إلى مدينة تعز، كما سكن قرية الوحص[4] من ناحية ذي السفال في إب، وبنى فيها مسجداً، وتفقه في تعز ثم تولي التدريس في مدرسة (أم السلطان)[5] مدة من الزمن، ثم سجن، ثم خرج من السجن وعاد إلى ذي السفال، فسكن هناك،

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص131؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص601؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص331؛ العقد الفاخر الحسن، ج4، ص1798- 1799؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1439.

(2) جبا: بلده خاربه في جبل المسراخ جنوب جبل صبر، حيث كانت عاصمة المعافر: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص276- 277.

(3) السلوك، ج2، ص410.

(4) الوحص: مركز إداري من مديرية ذي السفال وأعمال محافظة إب، يقع بالقرب من حصن بحرانة في منطقة السيف: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1860.

(5) مدرسة أم السلطان: هي المدرسة الصلاحية التي أنشأتها الأميرة جهة الطواشي شهاب الدين صلاح، والدة الملك المجاهد: ينظر: الجندي، السلوك، ج2، ص130- 132.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وابتنى مسجداً في قرية الوحص بالقرب من داره، ولما عاد الملك المؤيد داود الرسولي سنة 721هـ/ 1320م، عاد الفقيه عثمان إلى مدينة تعز، وسكن فيها، وكان يدرس في المدرسة التي درس فيها سابقـًا، وكان يتنقل مابين بلده وتعز حتى توفى في تعز[1].

والفقيه محمد بن عثمان بن محمد بن عمر بن أبي بكر اليحيوي الهزاز (ت: 728هـ/ 1327م)، من أهالي قرية العقيرة، عاش في مدينة تعز، عمل مدرسـًا في مدرسة (أم السلطان) في مدينة تعز نيابة عن أبيه، وبعد عودة والده إلى التدريس انتقل للتدريس في المدرسة (المؤيدية) في مدينة تعز[2]. والفقيه أبو عبدالله، جمال الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي اليافعي (674 – 729 وقيل 731هـ/ 1275 – 1328/ 1330م)، عالم محقق في الفقه، من رؤساء القضاء الأعلى في الدولة الرسولية، عاش في مدينة تعز، وتفقه وولي قضاء الأقضية سنه 715هـ / 1215م أيام الملك الرسولي داود بن يوسف بن عمر (696 – 712هـ/ 1296 – 1321م)، فقام كقيام أبيه في الأمر بالمعروف والنهي في المنكر[3]. والفقيه أبو محمد موفف الدين عبدالله بن علي بن محمد بن عمر اليحيوي المعروف بالوزير، فقيه صالح، كان أوحد زمانه فساحة وصباحه، ورياسة وسياسة، في عهد الدولة المجاهدية، ولاه الملك المجاهد علي بن داود الرسولي قضاء الأقضية ثم جعله

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص131؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ح3، ص1323؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج6، ص189.

(2) ذكره الجندي باسم محمد بن محمد، ينظر : السلوك، ج2، ص131؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص80؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1442.

(3) الجندي، السلوك، ج2، ص148؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص340؛ العقد الفاخر الحسن، ج4، ص1840؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص205ـ206؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص359.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

من وزرائه، فجمع بين المنصبين كأبيه، فقتل سنة 752هـ/ 1351م[1].

والفقيه أبو سليمان داود بن علي بن محمد بن عمر اليحيوي (ت: 758هـ/ 1356م)، فقيه ذا فضل ومروءة وحسن أخلاق[2]. والفقيه أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي، وقد سبقت الإشارة إليه، كان قد تلقى علوم عدة بعدن وحضرموت ومكة والمدينة والقدس ومصر، فكان ملازماً للعلم والعمل، فحفظ كتاب:"الحاوي" للماوردي (ت: 450هـ/ 1058م) وهو كتاب في الفقه الشافعي، ثم انقطع للتصنيف والإقراء والإسماع[3]، وكان له فضل كبير في نشر العلم والمعرفة بين الناس لكثرة ترحاله من بلده يافع إلى عدن وحضرموت حتى استقر به المقام في مكة المكرمة وغيرها كما بينا ذلك سابقاً، وكان كثير الإحسان للطلبة إلى أن مات[4].

والفقيه وجيه الدين، أبو علي عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد اليحيوي (ت: 707 – 770 وقيل 777هـ/ 1307 – 1368 / 1375م)، قاضي، عالم بالفقة، من أعيان الدولة الرسولية، عاش في مدينة تعز، ولاه المجاهد علي بن داود إمارة مدينة الجند، ثم ولاه الملك الأفضل العباس بن علي بن داود نظر الأوقاف[5]،والفقيه

(1) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص404؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ج3، ص1242ـ 1244؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج6، ص271؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص361ـ 363.

(2) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص319.

(3) السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص95؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص330ـ 333؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص95ـ 96؛ الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص284؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص20.

(4) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص20؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص109ـ 112؛ قلادة النحر، مج6، ص306ـ307.

(5) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص419؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2، ص121؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص360؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1441ـ 1442.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

جمال الدين محمد بن عيسى اليافعي (ت: 775هـ/ 1373م)، الفقيه الشافعي، أحد فضلاء اليمن قاضي عدن للدولة الرسولية، وقال ابن حجر العسقلاني[1]: "كان دينًا خيراً فاضلا، وهو والد الفقيه عمر قاضي عدن "، أخذ عنه القاضي رضي الدين أبو بكر بن محمد بن عيسى الحبيشي (ت: 806هـ/ 1404م)، والعلامة العز بن الفرات الحنفي (ت: 807هـ/ 1405م)، والفقيه إسماعيل بن محمد بن عمر الحبائي (ت: 834هـ/ 1430م)، وممن أخذ عنه وعن والده عمر، الشيخ محمد بن احمد بافضل (ت: 903هـ/ 1497م)، والشيخ عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت: 903هـ/ 1497م)، وقرأ عليهما عدد من كتب الحديث والفقه وغيرهما، وممن اشتهر من أبنائه عمر وعلي وله ابنه زوجها الفقيه أبو بكر بن علي بن قسمة اليافعي[2]، والفقيه رضي الدين، أبوبكر بن محمد بن أسلم القراع اليافعي، فقيه مشهور سكن عدن ودرس بها وأخذ عنه ابن كبن (ت: 842هـ/ 1438م)، وهو من علماء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[3]، والفقيه علي بن محمد بن عيسى اليافعي (ت: 781 وقيل 787هـ وقيل791هـ / 1379 أو 1385 أو 1388م)، كان قاضي عادل وفقيهـًا ورعـًا، مات بعدن[4]، والقاضي عيسى بن

(1) الدرر الكامنة، ج5، ص392؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص239؛ شنبل، تاريخ شنبل، ص137.

(2) الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص239؛ الهاشمي، لوحظ الألحاظ، ج1، ص159؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص307.

(3) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص28؛ الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774؛ ديان، تاريخ يافع، ص123؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص768 .

(4) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، د.ت، ج2، ص198؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص318؛ شنبل، تاريخ شنبل، ص141؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص275.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

محمد بن عيسى (ت: 791هـ / 1388م)، درس علوماً عدة، فحقق وأجاد، توفي بعدن[1]، والفقيه أبو عبدالله محمد بن احمد بن عراف اليافعي، وكان فقيهاً عارفاً خيراً ديناً، من رجال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، سكن في (أحور)[2] في أبين، ودرس عليه جماعة من العلماء، منهم أبو الخير بن منصور الشماخي الحضرمي (ت: 680هـ/ 1281م)، أخذ عنه: "الفائق" في الوعظ، بأخذه له عن أبي قيصر الظفاري من القلعي (ت: 577هـ/ 1181م)[3]، والفقيه عماد الدين عيسى بن عمر اليافعي توفي أواخر المائة الثامنة للهجرة/ الرابعة عشرة الميلادية، كان فقيهاً مدرساً صالحاً[4].

ومن فقهاء يافع في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي الذين سكنوا حراز[5] من بني اليحيوي عماد الدين بن محمد بن يحيى اليحيوي، وشمس الدين علي بن عبدالله اليحيوي، وولده إبراهيم[6].

ومن علماء يافع الذين برزوا في علم الفقه وأصوله في مدينة عدن في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي: الفقيه الصالح رضي الدين أبو بكر بن علي

(1) حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص280.
(2) أحور: مديرية من أعمال محافظة أبين، تقع في وسط بين شقرة ووداي ميفعة: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص39.
(3) الجندي، السلوك، ج2، ص456؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ج4، ص1792؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج6، ص352.
(4) ديان، تاريخ يافع، ص123؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص280.
(5) حراز: هي سبعة جبال يجمعها إسم (حراز)، وكانت تشكل وحدة إدارية معاً، وهي جبال شاهقة يقدر علو جبالها عن سطح البحر بنحو 2500 متر. ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص441.
(6) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت: 902هـ/ 1496م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشوراة دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت،، ج6، ص124؛ البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص46.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

بن قسمه اليافعي الجريري وقيل الحريري (ت: 811هـ/ 1408م)، كان في الورع والعبادة على جانب عظيم، فكان تارة يقف في ثغر عدن يدرس ويفتي، وتارة يكون في مكان من بلد يافع يسمى ذي عسل[1]، والفقيه أبو حفص، عمر بن عيسى اليافعي (ت: 820هـ/ 1417م)، قاضٍ وفقيه من فقهاء عدن، كان صالحًا عابداً ورعًا، ولي القضاء بعدن وكان ذا سيرة حسنة، ومن تلاميذه الفقيه شمس الدين أبو عفيف الحضرمي، والفقيه عفيف الدين عيسى بن عمر بن عيسى اليافعي[2]. والقاضي تقي الدين عمر بن محمد اليافعي (ت: 823هـ/ 1420م)، كان ساكن عدن في حافة البصال فنزل إليه القاضي جمال الدين محمد بن أحمد أبو حميش (ت: 862هـ/ 1426م) وأخذ عنه في عدن[3]. قال البريهي[4] في تاريخه " ومن فقهاء عدن المشايخ بنو اليافعي"، فذكر المتقدمين منهم: القاضي العلامة جمال الدين محمد بن علي بن محمد بن عيسى (ت: 823هـ/ 1420م)، درس بعدن وأفتى وكان ذا سيرة حسنه وولي القضاء فيها، والقاضي رضي الدين أبو بكر أبو سهل وقيل أبو شهد (ت بعد: 830هـ/ 1426م)، والفقيه شهاب الدين أحمد أبو عقبه (ت: بعد 830هـ/ 1426م)، والفقيه تقي الدين عمر بن عبدالرحمن الواسطي (ت: بعد 830هـ/ 1426م)، فقد قرأ على يد شمس الدين أبو عفيف الحضرمي (ت قبل: 830هـ/ 1426م)"[5]. والفقيه عفيف الدين عيسى بن عمر اليافعي المتولي

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص250؛ البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص327؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص27؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، ج4، ص774.
(2) ديان، تاريخ يافع، ص123؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص277.
(3) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص333؛ الهاشمي، لوحظ الألحاظ، ج1، ص281.
(4) طبقات صلحاء اليمن، ص329؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص205.
(5) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص 329؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص304.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للقضاء بعدن في سنة 823هـ/ 1420م ثم توفي بعد ذلك قبل 830هـ/ 1426م سكن عدن[1]، والفقيه مسعود بن إبراهيم النقيب اليافعي (ت: 831هـ/ 1427م)، فقية من الفضلاء[2]، والقاضي غياث الدين عيسى بن عمر اليافعي (ت: 835هـ/ 1432م) كان إماماً مدرساً مفتياً بعدن، تفقه بأبيه وغيره تفقهاً حسناً، توفي بعدن بعد رجوعه من الحج والزيارة[3]. والفقيه جمال الدين محمد بن عيسى بن عمر اليافعي (ت:860هـ / 1455م)، فقيه فاضل عاش بعدن، ومات بمكة، وهو ابن القاضي عيسى بن عمر اليافعي[4]. والفقيه أبو بكر بن محمد بن مسعود اليافعي، الناسخ، من رجال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، سمع من السخاوي (ت: 902هـ/ 1496م) بمكة[5].

ومن فقهاء يافع في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الفقيه أحمد بن عبدالله بلعسي اليافعي (ت: 910هـ/ 1509م)، مدرس، كان أكثر اشتغاله في العلم على الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بافضل (ت: 918هـ/ 1517م)، فأخذ عنه كتب كثيرة في الفقه وعلم الحديث، كان ذكياً لبيباً حسن الأخلاق، رتب مدرساً للفقه والحديث في عدن في مدرسة الشريف علي بن سفيان، فقرأ عليه جمع من الطلبة انتفعوا به، وقد توفي بعدن في ذي الحجة من السنة المذكورة [6].

(1) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص329؛ ديبان، تاريخ يافع، ص123.
(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص156؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص311.
(3) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص329.
(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص276؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص306.
(5) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص93؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص225.
(6) بامخرمة، قلادة النحر، مج5، ص540؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص214ـ215.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

والفقيه محمد الحجازي اليافعي (ت: 943هـ/ 1536م)، فقيه من رجال يافع بحضرموت، وتوفي بمدينة الشحر ليله السبت تسع خلون من رجب من السنة المذكورة[1]. والفقيه نور الدين أبا الحسن علي بن صبر اليافعي (913 – 987هـ/ 1507 – 1579م)، فقيه كبير ولد في يافع، وقدم إلى حضرموت وهو صغير فصحبة عمه الحسين بن عبدالله الصبري اليافعي وسكن مدينة تريم، وطلب العلم بها على الشيخ والسيد عبدالله بن شيخ بن عبدالله الكبير العيدروس (ت: 944هـ/ 1537م)، ولازم درسه مدة طويلة بتريم، وقرأ عليه:"المنهاج"، "الإرشاد"، "المهذب"، "إحياء علوم الدين"، "القوت"، "الرسالة"، وغيرها، ثم صحب الإمام أحمد بن علوي باجحدب (ت: 973هـ/ 1565م)، وقرأ على الفقيه حسين بن عبدالله بافضل (ت: 979هـ/ 1571م)[2].

ومن علماء يافع الذين اشتغلوا بهذا العلم الفقيه صالح بن عبدالرحمن الجريري وقيل الحريري اليافعي (ت: 998هـ/ 1589م)، وكان فقيهاً نبيلاً صالحاً كثير الترحال في طلب العلم وخاصة إلى حضرموت، فقد قدم من يافع إلى مدينة عينات[3] مع صهره علي بن عمر هرهرة سنة 964هـ/ 1556م، لطلب العلم على الشيخ أبي بكر بن سالم مولى عينات بحضرموت فأكرمه الشيخ وأحسن إليه، وكان الشيخ صالح ينتقل ما بين بلده يافع ومدن وقرى حضرموت مثل عينات والهجرين[4] ومدن وقرى وادي حضرموت حتى توفي في الهجرين في 19 سنيان

(1) حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص300.
(2) العيدروس، النور السافر، ص324؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص413.
(3) عينات : مدينة أسفل وادي حضرموت، تبعد عن مدينة تريم شرقاً بمسافة 8 أكيال : ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1158.
(4) الهجرين: مدينة كبيرة في وادي دوعن بحضرموت: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1802ـ1803.

سنة 998هـ/ 1589م[1].

كما برز في الفقه الفقيه علي بن صلاح المشبعي (ت: 1018هـ/ 1609م)، فقيه عابد، معمر، من وجهاء يافع والضالع في القرن العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، له مكانه اجتماعية طلب العلم باليمن وظفار وحضرموت[2].

يتضح مما تقدم أن أبناء يافع الذين برزوا في علوم الفقه قد أرتحلوا من أجل طلب العلوم إلى المدن والقرى التي تتواجد فيها مراكز علمية فقهية، قد اجتهدوا في طلب العلوم وأصبحوا علماء في تلك المدن والقرى حتى تديروا الفتوى فيها، كما كان لهؤلاء العلماء فضل كبير في تفقيه الناس بأمور دينهم، وبعض هؤلاء العلماء تولوا مناصب القضاء في المدن والقرى التي سكنوها، كما كان لبعضهم دور في تولي أمرة القضاء في الدول التي ظهرت زمن الدراسة كالدولة الرسولية وغيرها.

0 – علوم اللغة:

وكان بعض أبناء يافع ممن برزوا في هذا العلم وفروعه المختلفة، لاسيما وأن اللغة العربية هي لغة القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]، ومن الذين أجادوا هذا العلم من هؤلاء العلماء: أبو الوليد عبدالملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي، إذ كان يحسن الشعر، وقد أرسل إلى أهل بغداد الذين طلبوا منه الانتقال إليهم ليقرأ عليهم فامتنع وكتب إليهم بقصيدة مطلعها:

منـزلـي مـنـزل رحـيـب أنـيـق فيه لي من فواكه الصيف سويق[4]

(1) حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص240-241.
(2) حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص272- 273.
(3) سورة يوسف، الآية 2.
(4) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص 65- 66؛ الجندي، السلوك، ج1، ص240-

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

كما برز من علماء يافع في هذا العلم: أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (490 – 552هـ/ 1096 – 1157م)، وقد أخذ علم الأدب بمدينة عدن، وله مصنف في النحو هو: "المفتاح في النحو"، وكان فصيحاً شاعراً، و له قصائد كثيرة، سكن الجند ثم جبلة وكان ينزل عدن ليحكم بها ويعود إلى الجند، كما أَشتهر بأنه كان خطيباً مصقعاً كامل الفضيلة، وكان يرتجل الخطبة، وله شعرٌ رائق يحتوي على جدل القول وهزله والرقيق الجزل.، ومن شعره:

كم حاسد لي في الأنام وغابط وعلى منطقي إذ كان منطقه رخوا
يعيرني بالشعر قوم وبعضهم يوبخني والكل في عشوى
أرادوا به عيبي وهل هو ناقص إذا جمعت الفقه والشعر والنحوى[1]

ومن شعره في رثاء ولده محمد قال:

جوارا له خير من جواري له دار لكل خير دار[2]

وفي الوقت نفسه، برز ولده محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن أبراهيم اليافعي (517 – 546هـ/ 1123 – 1151م)، الذي كان بجيد اللغة العربية، وكان حسن الشعر، وسكن مدينة الجند ومات بها[3].

ومن علماء يافع في هذا العلم أبو الخطاب عمر بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس بن أبي الأعز اليحيوي اليافعي المعروف بالهزاز، ومن العلوم الذي اشتغل أجادها علم

242؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص423؛ الشرجي، طبقات الخواص، ص190؛ الأكوع، هجر العلم، ج1، ص402.

(1) الجندي، السلوك، ج1، ص306ـ 307؛ عمارة، المفيد، ص240؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، 177؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص161.

(2) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص178؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص161.

(3) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص166ـ 169، 332؛ الجندي، السلوك، ج1، ص407.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

النحو فكان نحوي معروف في ذلك الوقت[1].

كما نبغ من يافع مجموعة من الشعراء الذين اشتهروا بالشعر الرائق منهم: الفقيه يحيى بن عمران ثواب اليافعي وهو من رجال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ومن شعره:

شـــيـــآن مـــن عـــنـــاق الـــخـــرد وألـــذ مـن شـــراب الـقـراح الأســود
واجـــل مـن رتـــب الـمـلـوك عليهم وشـــيء الـجـريـر مـطـرز العسجد
ســـواد الـدفـاتـر إن أكـــون نديمها طـول الـنـهـار ويـرد ظـل المسجد
فـإذا هما اجتمعا الشخص فـارغ عـن كـل هـم نـال ابـعـد مـقـصـده[2]

والفقيه الشاعر رضي الدين أبو بكر بن محمد بن عمر الهزاز اليحيوي اليافعي، كان شاعراً بارعـاً[3]، فله قصيدة بعد أن هرب من الملك الأشرف الذي أراد أن يبطش به فقال فيها:

تبغون قتلي ومـالـي فيكم غرض غير النجاة على مجموع أحوالي
أو تـزعـمـون بـأن الـجـن طـوع يدي هل تقهر الجن إلا بالملا العالي[4]

وممن برع في علوم اللغة أبو محمد بن عبدالله بن أسعد اليافعي، كان عالمـاً بارعـاً بعدة علوم، فمنها علوم اللغة، مثل النحو والعروض، كما كان شاعراً بليغـاً له قصيدة تشتمل على أكثر من عشرين علمـاً[5]. والفقيه رضي الدين أبو بكر بن محمد

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص98؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص498؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1436.
(2) الجندي، السلوك، ج2، ص409ـ410.
(3) الجندي، السلوك، ج2، ص119ـ122؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1437.
(4) للمزيد ينظر: ابن الديبع، قرة العيون، ص339ـ340.
(5) الخزرجي، العقد الفاخر، ج3، ص1196ـ1197؛ الشرجي، طبقات الخواص، ص174؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص110ـ111؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص211ـ212؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص566.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

بن أسلم القراع اليافعي، كان إماماً في النحو، بمدينة عدن، وجمع كتاب: "المقصد الجليل في علم الخليل" لابن الحاجي (ت: 646هـ/ 1249م)، ودرس: "تسهيل ابن مالك (ت: 672هـ/ 1274م) وألفيته"، وشرحه لابن عقيل (ت:769هـ/ 1294م)، ومن كتاب: "مغني اللبيب" لابن هشام (ت: 761هـ/ 1359م)، وقيل أنه سمع كتاب: "الشفاء" للقاضي عياض (ت: 544هـ/ 1149م)، على القاضي محمد بن إبراهيم الصنعاني سنة 791هـ / 1388م، وأخذ عنه ابن كبن في عدن: "ألفية ابن مالك"، وكان له خط جيد مليح، وقيل أنه كتب شعراً[1].

ومنهم علي بن الجمال محمد بن عيسى اليافعي (ت:791هـ/ 1388م)، وكان عارفاً بالنحو في بلاد اليمن مات بعدن[2].

ومنهم: محمد بن منصور اليحيوي، شاعر أديب من بيت شعر وعلم، فأخواه أحمد ويحيى أبناء منصور بن نصر من الشعراء المبرزين، وأبوه من العلماء الكبار[3].

ومنهم: أبو عبدالله محمد بن يوسف اليافعي، أحد الأعلام المدافعين عن السنة، كان شاعراً مجيداً، وكان متضلعاً في عدة علوم كالعقيدة والنحو، وهو من رجال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[4].

ومنهم: أحمد بن محمد بن عمر اليحيوي من العلماء العقيرة في ذي السفال بإب، وهو من رجال القرن الثامن الهجري، كان نحوي وله خط جميل[5]. ومنهم علي بن صبر اليافعي، كان عالماً نحوياً[6] وقد سبق ذكره.

(1) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص28؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، ج4، ص774؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص768.
(2) الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص318.
(3) حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص309.
(4) حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص309ـ310.
(5) الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1441؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص220.
(6) العيدروس، النور السافر، ص324؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص413.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ثالثاً- العلوم العقلية:

تعد العلوم العقلية من أهم العلوم في الحضارة العربية الإسلامية، على الرغم من إهمالها من قبل علماء اليمن مدة الدراسة بالقدر الذي حضيت به العلوم النقلية، لأن العلماء كانوا يرون أن الخوض في هذه العلوم قد يؤدي إلى الإلحاد، وعلى الرغم من ذلك فإن هناك من اشتغل بهذه العلوم من علماء يافع، ومن أهم هذه العلوم التي برز بها علماء يافع:

ا – علم الفرائض:

الفرائض، هو جمع فريضة بمعنى مفروضة، أي مقدرة، لما فيها من السهام المقدرة (الفريضة)[1]، وعلم الفرائض، هو فقه المواريث، وعلم الحساب الموصل لمعرفة ما يخص كل ذي حق حقه من التركة. وموضوعه التركات[2].

وتجدر الإشارة إلى التلازم بين المواريث وعلم الحساب، إذ لا يكفي الفرضي النبوغ في معرفة فروض المواريث فقط، بل يتطلب منه معرفة القواعد الحسابية، من أجل تحديد مقدار الإرث، وكان من المشتغلين بهذا العلم من علماء يافع: القاضي عيسى بن محمد بن عيسى (ت: 719هـ/ 1319م)، درس علوم عديدة، فحقق وأجاد، ونبغ في علم الفرائض حتى أشتهر به، وتوفي بعدن[3] في العام المذكور آنفاً، ومن العارفين بهذا العلم أيضاً عبدالله بن أسعد اليافعي[4] السالف الذكر. كما برع في هذا العلم الشيخ أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي، فقد قرأ علم الفرائض على

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص434؛ سبط المارديني، محمد بن محمد (ت: 912هـ/ 1506م)، الرحبية في علم الفرائض، حاشية العلامة البقري، ط7، علق عليها، د. مصطفى ديب البغا، دار القلم، بيروت، 1418هـ/ 1997م، ص12.

(2) سبط المارديني، الرحبية، ص12.

(3) حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص280.

(4) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص112.

الشيخ عبدالله بن محمد بامخرمة بعدن[1].

٢ – علم الرياضيات والحساب:

حظيت علوم الرياضيات والحساب باهتمام عدد من علماء يافع في مدة موضوع الدراسة، وذلك لأهميتها في حياة الناس اليومية وما يتعلق بها من أعمال، ومن المشتغلين بهذه العلوم: الفقيه عبدالله بن أسعد اليافعي[2]، والشيخ أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي السالف الذكر، الذي أخذ علم الحساب وعلم الفرائض عن الشيخ عبدالله بن محمد بامخرمة بعدن[3].

٣ – التصوف وعلم الكلام:

كان التصوف وعلم الكلام من العلوم التي نالت رضى العديد من علماء ذلك العصر لاسيما علماء منطقة يافع وغيرهم، علماً بأن الصوفية في اللغة: تعني الصوف ويقال: كبش صاف – أي مثر صوفه – ويقال : الصوف للواحدة على تسمية الطائفة باسم المجتمع[4]، وفي الاصطلاح: هي مصطلح طارئ ظهر عندما كثر لبس الصوف في جماعة من الزهاد، فقيل: إنهم تصوفوا – أي لبسوا الصوف – فسموا صوفية[5].

(1) بامخرمة، قلادة النحر، مج5، ص540؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص214.

(2) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص112.

(3) بامخرمة، قلادة النحر، مج5، ص540؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص214.

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي (ت: 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج7، ص443- 444؛ الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: 398هـ/ 1007م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، نح: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1410هـ/ 1990م، ج1، ص1062.

(5) الطوسي، أبو عبدالله بن علي السراج (ت: 378هـ/ 988م)، اللمع، تح: عبدالحليم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أما علم الكلام: يُعرف بأنه: " علم يتضمن الحجاج (الجدال) عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية والتوحيد"[1]، فظهر مجموعة من علماء يافع ممن اشتغلوا بهذه العلوم من أمثال: الفقيه محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي، كان له معرفة بعلم الكلام، ولي قضاء عدن خلفاً لأبيه، ومات بمدينة الجند[2].

والفقيه أبو بكر بن محمد بن عمر الهزاز اليافعي، كان إمام فاضلاً متصوفاً، له كتب في علم التصوف، وكان يحب المتصوفة، ويصحب الأكابر منهم، وعندما حج مكة لقي فيها جمع كبير من الأكابر، وأنتسخ كتباً من كلام ابن عربي (ت: 639هـ/ 1240م) الصوفي الشهير، فعكف عليها واعتقد ما فيها، ولما عاد إلى اليمن أقبل عليه أعيان الأمراء والملوك والخواتين وصار لهم فيه معتقد عظيم، ونقل أصحابه عنه أموراً تدل على صلاحه وجلالة قدره[3]، قال الجندي[4]:" وله في التصوف كتب مستحسنة وأشعار معجبة".

والفقيه أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي، أخذ خرقة التصوف في عدن عن الفقيه جمال الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد البصال (ت: 745هـ/ 1344م)،

محمود، وطه عبدالباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1380هـ/ 1960م، ص41؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (ت: 597هـ/ 1200م)، تلبيس إبليس، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1414هـ/ 1994م، ص162-163.

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص440.

(2) ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص166، 332؛ الجندي، السلوك، ج1، ص407.

(3) الجندي، السلوك، ج2، ص119- 122؛ حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص227-228.

(4) السلوك، ج2، ص121.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ثم ألتزم الخلوة والانقطاع بصحبة شيخه أبو الحسن علي الطواشي (ت: 748هـ/ 1347م) مدة، ثم رحل إلى مكة وجاور بها وأخذ بها كتاب "عوارف" السهروردي (ت: 632هـ/ 1234م)، و كما بينا ذلك سابقاً، فعكف على الصنف فيها للعديد من العلوم منها التصوف وأصول الدين، وكان متعصب للإمام الأشعري (ت: 330هـ/ 941م) وله كلام في ذم ابن تيمية (ت: 728هـ/ 1328م)، كما كان يعظم ابن العربي، ومن مصنفاته في التصوف كتاب: "الإرشاد والتطريز في التصوف"، وكتاب في أخبار الصالحين سماه : "روض الرياحين"[1].

كما اشتهر بهذا العلم، علي بن صبر اليافعي، كان فقيهاً زاهداً متصوف صاحب كرامات[2].

٤ – علم التاريخ والسير:

قال ابن خلدون[3] في فضل علم التاريخ: " أعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا". وهو من العلوم التي لم يغفل عنها علماء يافع في مدة الدراسة، والبعض منهم صنف كتباً تعد اليوم من المصادر الأساسية لدراسة التاريخ، وكان أشهرهم: محمد بن مسلم، هو من يافع بني قاسد،

(1) للمزيد ينظر: الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص330- 333؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، 95- 96؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3- ص18- 20، ج5، ص112؛ الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، ص1196-1197؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص110 – 111؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص210- 212؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص566.

(2) الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص413.

(3) المقدمة، ص21.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد روى عنه الهمداني (ت: 360هـ/ 970م) في كتاب (الإكليل) معلومات تتعلق ببطون يافع[1]. مما يدل على أنه كان خارج يافع ربما في صنعاء لان الهمداني أخذ معلوماته عن يافع منه لان لديه معرفة بالأنساب وعلم التاريخ والسير.

ومن المشتغلين بعلم التاريخ أيضاً من أبناء يافع: الشيخ الجليل عبدالله بن أسعد اليافعي فألف فيه كتاباً أسماه : "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان"[2].

مما تقدم يتبين لنا أن بعض علماء يافع اشتغلوا بعلم التاريخ فبعضهم كان يرويها شفاهاً والبعض الآخر كان يجمع كل ما يوصل إليه من أخبار، سواء من جاءت في الأشعار، أم في مشجرات الأنساب أم غيرها، والبعض منهم من أهتم بتراجم العلماء فيوضعون لها المؤلفات.

الخاتمة:

من خلال دراستنا هذه الموسومة بـ : " إسهامات علماء يافع العلمية والفكرية في اليمن بين القرنين القرن الخامس – العاشر الهجري/ الحادي عشر – السادس عشر الميلادي" توصلنا إلى عدد من النتائج أهمها:

1 – أن موقع يافع الجغرافي من الناحية التضاريسية الصعبة، دفع بالكثير من الناس إلى الهجرة خارجها إلى المدن والقرى اليمنية أو إلى خارج اليمن،

(1) حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، ج1، ص308.

(2) الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص330ـ333؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، 95ـ 96؛ بامخرمة، ثغر عدن، ج2، ص111؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص210ـ 212؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص566.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

لسببين هما يا أما لطلب الرزق ويا أما لطلب العلم، وهذا ما تبين لنا جلياً من خلال الدراسة.

2 – كما بينت الدراسة أن أبناء يافع الذين خرجوا من أجل طلب العلم أكثرهم إن لم يكن جلهم فضلوا البقاء في المدن والقرى التي ذهبوا إليها وعدم العودة إلى بلادهم، فتزوجوا بها واستقروا فيها.

3 – أن ارتحال علماء يافع في طلب العلم من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى أخرى كان بحثاً عن العلوم الشرعية.

4 – بينت الدراسة الدور العلمي والفكري الذي لعبه العلماء وطلاب العلم المهاجرين من أبناء يافع الذين استقروا في المدن والقرى اليمنية، حيث كان لبعضهم مراكز علمية يأتي إليهم طلاب العلم من كل حدباً وصوب.

5 – كما بينت الدراسة الدور السياسي الذي لعبه بعض علماء يافع في الدول التي ظهرت زمن الدراسة كالدولة الرسولية، والتي أوكلت منصب القضاء والفتوى إلى بعض علماء يافع آنذاك.

6 – بينت الدراسة بروز بعض العلماء من أبناء يافع واهتمامهم بأكثر من علم.

7 – ركز أبناء يافع المهاجرين على العلوم النقلية (الدينية)، بشكل كبير وبعض العلوم العقلية وخاصة التي لها ارتباط بالعلوم النقلية، ولم يعيروا لبقية العلوم العقلية أهمية كبيرة كعلم الطب والهندسة والفلك والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1 – الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم (ت: 772هـ/ 1370م)، طبقات الشافعية، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1987م.

2 – الأفضل عباس، بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي الرسولي (ت:778هـ/ 1377م)، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله أحمد الخامري، منشورات وزارة الثقافة، صنعاء،1425هـ/ 2004م.

3 – الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/ 1995م.

4 – البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي اليمني (ت: 904هـ/ 1498م)، طبقات صلحاء اليمن، ط2، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ/ 1994م.

5 – بعكر، عبدالرحمن، كواكب يمنية في سماء الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ/ 1990م.

6 – بلعيد، محمد منصور علي صالح، عدن في عصر الدولة الرسولية (629 – 858هـ/ 1231 – 1454م) دراسة تاريخية حضارية، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/ 2012م.

7 – باجمال، جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين (ت: 1019هـ/ 1610م)، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، تح: محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، 1429هـ/ 2008م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

8 – الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (ت: 732هـ/ 1331م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ط2، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1416هـ/ 1995م.

9 – ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (ت: 597هـ/ 1200م)، تلبيس إبليس، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1414هـ/ 1994م

10 – الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: 398هـ/ 1007م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، نح: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1410هـ/ 1990م.

11 – ابن حجر العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ/ 1449م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط2، تح: محمد عبدالحميد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1392هـ/ 1972م.

12 – الحجري، محمد بن أحمد اليماني، مجموع بلدان اليمن و قبائلها، ط2، تح: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1416هـ/ 1996م.

13 – حلبوب العمري، نادر سعد عبادي، الموسوعة اليافعية، دار الوفاق، عدن، 1436هـ/ 2015م

14 – حماد، أسامة أحمد، مظاهر الحضارة في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول)، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، 1425هـ/ 2004م.

15 – الحمادي، أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل (ت: 470هـ/ 1077م)، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تح: محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1994م.

16 – الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري (ت: 1089هـ/ 1687م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبدالقادر الأرنؤوط، ومحمود الأرئؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/ 1987م.

17 – الخزرجي، أبي الحسن علي بن الحسن (ت 812هـ / 1409م)، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، وهو طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، تح: عبدالله بن قائد العبادي وجماعة، الجيل الجديد، صنعاء، 1429ـ1430هـ/ 2008ـ2009م

18 – العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط2، تصحيح: الشيخ محمد بسيوني عسل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، 1403هـ/ 1983م.

19 – ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت: 808هـ/ 1405م)، المقدمة، ط5، دار القلم، بيروت، 1405هـ/ 1984م.

20 – الداودي، أحمد بم محمد (ت: 945هـ/ 1538م)، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكمة، الرياض، 1417هـ/ 1997م.

21 – ديان، محسن بن محسن، وقائع من تاريخ يافع (رواية ـ دراسة ـ تحليل)، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1420هـ/ 1999م.

22 – ابن الديبع، أبي الضيا عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت:944هـ/ 1537م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ط2، تح: محمد بن علي الاكوع، مكتبة أبو ذر الغفاري، صنعاء، 1409هـ/ 1988م.

23 – الزرقاني، محمد عبدالعظيم (ت:1367هـ/ 1948م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1416هـ/ 1996م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

24 – سبط المارديني، محمد بن محمد (ت: 912هـ/ 1506م)، الرحبية في علم الفرائض، حاشية العلامة البقري، ط7، علق عليها، د. مصطفى ديب البغا، دار القلم، بيروت، 1418هـ/ 1997م.

25 – السبكي، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت: 771هـ / 1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط2، تح: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، 1413هـ/ 1992م.

26 – السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت: 902هـ/ 1496م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشوراة دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

27 – السلفي، سالم عبدالرب، معجم أعلام يافع، ط2، د.ن، عدن، 1434هـ / 2013م.

28 – ابن سمرة الجعدي، عمر بن علي (ت: بعد 586هـ/ 1190م)، طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، د.ت.

29 – السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت: 911هـ/ 1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، د.ت.

30 – الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م

31 – الشرجي، أبو العباس أحمد بن عبداللطيف الزبيدي (ت: 893هـ/ 1487م)، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تح: عبدالله محمد الحبشي، الدار اليمنية، صنعاء، 1406هـ/ 1986م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

32 – شنبل، أحمد بن عبدالله (ت: 920هـ/ 1514م)، تاريخ حضرموت المعروف ب تاريخ شنبل، ط2، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة صنعاء الآثرية، صنعاء، 1424هـ/ 2003م.

33 – صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط12، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ص121.

34 – الطوسي، أبو عبدالله بن علي السراج (ت: 378هـ/ 988م)، اللمع، تح: عبدالحليم محمود، وطه عبدالباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1380هـ/ 1960م.

35 – عمارة، نجم الدين عمارة بن علي بن محمد بن زيدان الحكمي اليمني (ت: 569هـ/ 1173م)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، ط3، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، المكتبة اليمنية، صنعاء، 1406هـ/ 1985م.

36 – العيدروس، عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله (ت: 1038هـ/ 1628م)، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/ 1984م.

37 – الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (ت: 832هـ/ 1420م)، العقد الثمين قي تاريخ البلد الأمين، ط2، تح: محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/ 19986م.

38 – فضل محمد صالح محمد، الحياة العلمية في اليمن في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي (عصر الدولة الرسولية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن، 1423هـ/ 2006م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

39 – فيح، عاشور عبود سالم، الحياة العلمية في عهد الدولة الطاهرية (858-945هـ/ 1454 – 1538م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن، 1424هـ/ 2003م.

40 – الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: 817هـ / 1413م)، القاموس المحمط، ضبط وتوثيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت .

41 – ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت: 851هـ / 1448م)، طبقات الشافعية، تح: د. الحافظ عبدالعليم خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/ 1986م.

42 – القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م .

43 – القنوجي، الشيخ صديق بن حسين (ت: 1248هـ/ 1832م)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ/ 2002م.

44 – بامخرمة، أبي محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي (ت: 947هـ/ 1540م)، تاريخ ثغر عدن، مع نحب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، ط2، دار التنوير، بيروت، 1407هـ/ 1986م.

45 – قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عني به: أبو جمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج، جدة، 1428هـ/ 2008م.

46 – المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، 1422هـ/ 2002م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

47 – ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي (ت: 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

48 – الناخبي، عبدالله بن أحمد بن محسن، رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ، د.ن، 1410هـ/ 1990م. 49ـ الهاشمي، أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد بن فهد المكي (ت: 871هـ/ 1466م)، لوحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

50 – اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: 768هـ/ 1316م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ/ 1993م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

احتفالات المولد النبوي في مصر زمن سلاطين المماليك (648-923هـ/1250-1517م)

دكتور مصطفي وجيه مصطفي إبراهيم[1]

ملخص

وهذه الدراسة المعنونة بـ"احتفالات المولد النبوي في مصر عصر سلاطين المماليك" هي محاولة للإسهام في رصد مظاهر احتفالات المصريين بالمولد النبوي في عصر مر عليه خمسة قرون تقريبًا. وتم تقسم هذا البحث إلى تمهيد يبحث في أصول الاحتفالات بالمولد النبوي وأهدافها وثلاثة مباحث: كان المبحث الأول عن الاحتفالات الرسمية (السلطانية) وتناول أهمية الاحتفالات في السياسة المملوكية وأماكنها وأوقاتها ومظاهر الاحتفال وسماط المولد والأعمال المصاحبة للاحتفالات ومشاركة الضيوف الأجانب والاحتفالات المصاحبة. وكان المبحث الثاني عن احتفالات العامة والفرق بين موالد الرجال وموالد النساء والموالد التي تمت في المقابر وصفات المغنون... إلخ ثم جاء المبحث الثالث والأخير متناولًا العوامل التي أثرت على الاحتفالات...

(1) أستاذ مشارك تاريخ العصور الوسطى بكلية الدراسات الإسلامية –ولاية منيسوتا الأمريكية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

Celebrations Of Almawlid Alnubuii In Egypt At The Time Of The Mamluks Sultans (648-923/ 1250-1517)

Summary

This study, entitled "Celebrations of almawlid alnubuii in Egypt during the Mamluk Sultans era", is an attempt to contribute to monitoring the manifestations of Egyptians' celebrations of the almawlid alnubuii in an era that has passed for nearly five centuries.. This research was divided into a preface that examines the origins and goals of celebrations of the almawlid, and three topics: The first topic was about official ceremonies and dealt with the importance of celebrations in the Mamluk policy, places and time of their establishment, aspects of the celebration, food almawlid actions accompanying the celebrations and the participation of foreign guests and accompanying celebrations. The second topic was on public celebrations and the difference between male and female almawlid, almawlid that took place in cemeteries, attributes of singers... etc. Then the third and final topic came up with the factors that influenced the celebrations...

مُقدِّمَة

يعد الاحتفال بذكرى مولد سيدنا محمد ﷺ من أفضل الأعمال وأعظم القربات لأنها تعبير عن الفرح والحب للنبي ثراء القلوب، ومحبته أصل من أصول الإيمان، والاحتفاء بمحبته ركن من أركان الإيمان، وقد صح عنه أنه ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[1]،

(1) الحديث جاء في : مسلم : صحيح مسلم (44)، النسائي: سنن النسائي (5013، 5014)، ابن ماجة: سنن ابن ماجة (87)، الدارمي : سنن الدارمي (2783)، أحمد بن حنبل : المسند (12814، 13911).

ومحبة النبي ﷺ من أصول الإيمان وهي مقرونة بمحبة الله عز وجل .

وهذه الدراسة المعنونة بـ "احتفالات المولد النبوي في مصر عصر سلاطين المماليك" هي محاولة للإسهام في رصد مظاهر احتفالات المصريين بالمولد النبوي في عصر مر عليه خمسة قرون تقريبًا. .

والمدهش حقًا؛ هو عدم وجود دراسة أكاديمية متخصصة عن الاحتفال بالمولد النبوي في مصر في أي عصر من عصور السيادة الإسلامية، وكل ما كتب عن هذا الموضوع ينحصر فيما جاء في الكتب التي تعرضت للنظم والرسوم في ثنايا عرضها للاحتفالات الدينية عامة فتأتي إشاراتهم عن ذلك عابرة في جمل محدودة، بحكم تشعب موضوعات كتب الرسوم والنظم[1]. ويوجد كتاب للأستاذ حسن السندوبي[2] كُتب في النصف الأول من القرن العشرين، وعنوانه "تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق" وهو كتاب عبارة عن رصد لتاريخ الدول الإسلامية التي حكمت مصر ويتخلل عرضه إشارات للمولد النبوي في كل دولة على طريقة القصاصين؛ وربما كانت قلة المصادر المطبوعة والمعروفة آنذاك، وراء وقوع الأستاذ السندوبي في هنات عن الاحتفال بالمولد في عصور السيادة الإسلامية وبالذات العصر المملوكي. ولكن رغم ذلك فالكتاب سد خلل كان موجود في زمنه. أيضًا هناك مقال للأستاذ محمد رجب البيومي من

(1) ويلحظ أن كتب النظم والرسوم التي تعود لجيل الرواد، في عرضها السريع للاحتفال بالمولد النبوي انقسمت لفريقين فريق أسقط الرسوم الاحتفالية التي وضعها الظاهر برقوق على الاحتفال بالمولد طوال العصر، والفريق الآخر أسقط الرسوم الاحتفالية التي زادها قايتباي على العصر كله. ومن ثم تناقلت الدراسات التالية الأمر بنفس الصورة كل حسب مدرسته، وسيأتي تفصيل ذلك.

(2) السندوبي، حسن : تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق، مكتبة الاستقامة (القاهرة) 1948م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ثلاث صفحات نشر في عدد من أعداد مجلة الأزهر[1]. ومن مطالعة المقال تبين أن الأستاذ محمد رجب لم يشر لغير احتفال الأشرف قايتباي فقط، علاوة على نقله الحرفي في غالب المقال من كتاب الأستاذ حسن السندوبي دون الإشارة إليه. فكان ما ذكره ما هو إلا تكرارًا لما ورد عند السندوبي.

وعلى ذلك فإن هذه الدراسة، ربما تكون الدراسة المتخصصة الأولى والوحيدة حتى الآن؛ وهي محاول للتعريف بدور المماليك في إحياء ليالي ربيع الأول احتفالًا بمولد النبي ﷺ، وابتداعهم مراسم وطقوس خاصة بهم، والتعرض لاحتفالات المصريين من عامة القاهرة بالخصوص بالذكرى العطرة.

وكما هو مبين من العنوان فإن الإطار المكاني للدراسة هو "مصر" التي كانت آنذاك حاضرة الخلافة، والزمان هو زمن سلاطين المماليك الذين جعلوا من مصر حاضرة الخلافة بعد احيائها، علاوة على أن مصر في عهدهم كانت الحصن الحصين، والمعقل الأخير للمسلمين الناجين من المغرب الإسلامي المضطرب بالفتن، والأندلس التي كانت يوما عن يوم تتقلص مساحتها الإسلامية لصالح المساحة الكاثوليكية؛وعلى ذلك فإن هذه الدلالات كلها كانت الأرضية التي استندت إليها مبادئ الدراسة.

وتم تقسم هذا البحث إلى تمهيد يبحث في أصول الاحتفالات بالمولد النبوي وأهدافها، وثلاثة مباحث : كان المبحث الأول عن الاحتفالات الرسمية (السلطانية) وتناول أهمية الاحتفالات في السياسة المملوكية،وأماكنها وأوقاتها، ومظاهر الاحتفال وسماط المولد والأعمال المصاحبة للاحتفالات ومشاركة الضيوف الأجانب والاحتفالات المصاحبة. وكان المبحث الثاني عن احتفالات العامة والفرق بين موالد الرجال وموالد النساء والموالد التي تمت في المقابر

(1) محمد رجب البيومي : من تاريخ المماليك : مصر تحتفل بالمولد النبوي، مقال بمجلة الأزهر ، عدد ربيع أول 1428هـ الجزء السادس السنة 80، من ص 695-697..

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وصفات المغنون... إلخ ثم جاء المبحث الثالث والأخير متناولًا العوامل التي أثرت على الاحتفالات...

والمنهج المتبع، هو الأسلوب الوصفي التحليلي في تفسير جوانب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لموضوع الدراسة مع استخدام وسائل الإيضاح؛للوقوف على دور هذا الجانب في فلك السياسة العامة لمصر.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة تتناول احتفالات المولد النبوي المصرية الرسمية والشعبية في العصر المملوكي، من الناحية التاريخية ولم تتطرق إلى الأمور التي تتعلق بمشروعية الاحتفال من حرمته، أو أي أمر من الأمور الفقهية التي تتعلق بعنوان الدراسة؛ لأن كل موضوع منهما يحتاج إلى دراسة مستقلة.

تمهيد: أصول وأهداف الاحتفال بالمولد النبوي

يُجْمِعُ المؤرخون على أنَّ بداية ظهور احتفالات المولد النبوي الشريف في مصر كان مع عصر الدولة الفاطمية، بعدما انتقل الفواطم إلى مصر وأقاموا خلافة فيها. حيث تفهم الفاطميون روح الشعب المصري المحبة للفرح والبهجة، ونتج عن ذلك أن أرسى الفاطميين قواعد كثير من الاحتفالات بمناسبات دينية ودنيوية[1]، كما حولوا بعض احتفالات المصريين الشعبية إلى احتفالات رسمية للدولة[2]، وكان من ذلك ابتداعهم احتفالات المولد النبوي وظهرت لهذه الاحتفالات زمن الفاطميين رسوم دقيقة لم تعرف قبلًا[3].

(1) wiet, G ,CIA – Materiaux pour un corpus Inscriptionum Arabicum Ier partie–egypte II ,le caire – IFAO 1929–30 (egypte,II),pp.176–177.

(2) canard ,M, "Le ceremonial fatimide et le ceremonial byzantine – Essai de comparaison" Byzantion XXII,1951,p.356

(3) ابن المأمون، جمال الدين أبو علي موسى (ت 588هـ): نصوص من أخبار مصر، حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وقد رصدت المصادر المعاصرة صورة احتفالات المولد النبوي الفاطمية الرسمية وكان منها أنه إذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول يقوم الخليفة بتقديم عشرين قنطارًا من السكر اليابس إلى دار الفطرة[1] لتصنع منها حلواء يابسة،

الفرنسي للآثار الشرقية، (د. ت)، ص 62، 82-83؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت. 845هـ): المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي،ط1،دار الغرب الإسلامي (بيروت)1991م، ج6 ص484

(1) دار الفطرة : هى دار بجوار قصر الخليفة مخصصة للولائم والاحتفالات. قال عنها ابن عبد الظاهر عن دار الفطرة: وهي قُبالة مشهد الحسين، وهي الفندق الذي بناه الأمير سيف الدين بهادر (الآن) في شهور سنة ست وخمسين وست مائة. وأول من رتب هذه الفطرة الإمام العزيز بالله وهو أول من سنّها. وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الأفضل إلى مصر تُعمل بالإيوان وتُفرّق منه، وعندما تحول إلى مصر نقل الدواوين من القصر غليها واستجد لها مكاناً قُبالة دار الملك إلاّ ديواني المكاتبات والإنشاء فإنهما كانا معه في الدار يُتوصل إليهما من القاعة الكبرى التي فيها جلوسه. ثم استجد للفطرة داراً عُملت بعد ذلك ورّاقة وهي الآن دار الأمير عز الدين الأفرم بمصر قبالة دار الوكالة وعُملت بها الفطرة مدة وفرّق منها إلا ما يخص الخليفة والجهات والسيدات والمستخدمات والأستاذين فإنه كان يُعمل بالإيوان على العادة. ولما توفي الأفضل وعادت الدواوين إلى مواضعها أنهى خاصة الدولة ريحان متولي بيت المال أن المكان بالإيوان يضيق بالفطرة، فأمره المأمون أن يجمع المهندسين ويقطع قطعة من إسطبل الطّارمة يبنيه دار الفطرة، وأنشأ الدار المذكور قبالة مشهد الإمام الحسين، والباب الذي بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم، وصار يعمل بها ما استجد من رسوم المواليد والوقودات. وعقدت لها جملتان إحداهما وُجدت فسُطرت وهي عشرة آلاف دينار خارجاً عن جواري المستخدمين، والجملة الثانية فُصّلت فيها الأصناف وشرحها: دقيق ألف حملة، سكر سبعمائة قنطار، قلب فستق ستة قناطير، قلب لوز ثمانية قناطير، قلب بندق أربعة قناطير، تمر أربعمائة أردب، زبيب ثلاثمائة قنطار، خل ثلاثة قناطير، عسل نحل خمسة عشر قنطاراً، شيرج مائتا قنطار، حطب ألف ومائتا حملة، سمسم أردبان، أنسون أردبان، زيت طيب رسم الوقيد ثلاثين قنطاراً، ماء ورد خمسون رطلاً، مسك خمس نوافج، كافور قديم عشرة مثاقيل، زعفران مطحون مائة وعشرون درهماً. وبيد الوكيل برسم المواعين والبيض والسقائين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به ويرفع المخازيم خمسمائة دينار. ووجدت بخط ابن ساكن قال: كان المرتب في دار الفطرة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

وتعبأ في ثلاثمائة صينية من النحاس، وتفرق تلك الصواني على أرباب الرسوم من ذوى المراتب، الذين يذهبون لقصر الخليفة يقدمون له التهاني ويرد عليهم التحية، ثم بعد ذلك يستفتح قراء الحضرة بالقراءة، ثم يخطب الخطباء، فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الرجل رأسه ويده من الطاقة ورد على الجماعة السلام، فينفض الناس[1].

وحين سقطت الدولة الفاطمية في مصر وقامت على أنقاضها دولة بني أيوب، لم يفلح الأيوبيون في مصر في استئصال شأفة احتفالات المولد النبوي في إطار جهودهم للقضاء على الموروث الفاطمي، وإذا كان الأيوبيون على الجانب الرسمي لم يهتموا بالاحتفالات اهتمام الفاطميين إلا أنهم أبقوا على الاحتفال بالمولد النبوي/ الشعبي. وقد حفظ لنا التاريخ صورة من احتفالاتهم بالمولد النبوي في جزء من دولتهم هو "أربيل" حيث كان يحكم الملك المظفر أبو سعيد[2]، ففي ذلك الموسم كان الملك المظفر يأمر بذبح خمسة آلاف رأس من الغنم وعشرة آلاف دجاجة

ولها ما يذكر وهو: زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطاراً، مقاطع سكندري برسم القوّارات ثلاثمائة مقطع، طيافير جدد برسم السماط ثلاثمائة طيفور، شمع برسم السماط وتوديع الأمراء ثلاثون قنطاراً، أجر الصناع ثلاثمائة دينار، جاري الحامي مائة وعشرون ديناراً، جاري المباشرين والعامل مائة وثمانون ديناراً. ابن عبد الظاهر، أبو الفضل عبد الله، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد السيد، القاهرة: الدار العربية للكتاب، 1996، ص 26 – 28.

(1) القلقشندي،أبو العباس أحمد بن علي (ت. 821هـ) : صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، القاهرة، دار الكتب المصرية، (1913 – 1919)، ج3ص502–503.

(2) هو الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد ت 630هـ/ 1232م؛ ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت) 1969–1972م ج4ص121–133؛ زامباور، معجم الأنساب، مصر 1951م،ج2ص 344.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ويقدم مائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى ويستقبل رجال الطرق الصوفية ويشترك معهم في حفلة الذكر، وكان هذا الاحتفال يكلفه ثلاثمائة ألف دينار[1].

المبحث الأول

الاحتفالات الرسمية

1 - (السلطانية).

تسببت الطريقة التي آل بها حكم مصر وبعض البلاد العربية إلى المماليك في أمور جل خطيرة، فبالإضافة إلى ما دار في شوارع البلاد من أحاديث عن أصل المماليك وشرعيتهم؛ باعتبارهم عبيد لا يحق لهم الجلوس على عرش البلاد، شعر المماليك بأنهم أغراب عن البلاد وأهلها، مغتصبين للحكم من أصحابه وأسيادهم بني أيوب، وقد صاحب ذلك الشعور السلبي من قبل المماليك خطوات تصعيدية من قبل المصريين بمختلف فئاتهم، فإلى جانب عامة المدن من صغار التجار والباعة والسوقة ورواد الأسواق وأصحاب المهن الوضيعة ممن كانوا يعيشون حياة فقيرة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية... هذه الفئات من العامة أخذوا يرددون احاديث تعيب المماليك وأصلهم، ونظروا إليهم نظرة سخرية وازدراء، آنفين أن يحكمهم هؤلاء الغرباء المجلوبين عبيدًا في طفولتهم والمغتصبين للسلطة من بني أيوب، وقد اتضح ذلك منذ اللحظات الأولى لقيام الدولة المملوكية، فمثلًا تربص عامة مصر بالسلطان عز الدين أيبك (حكم سنة 648هـ) كلما ركب للمرور في شوارع مصر والقاهرة من وإلى القلعة يسمعوه من الكلام ما يكره، ويقولون له :"... لا نريد إلا سلطانًا رئيسًا ولد على الفطرة..."[2]،

(1) السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم ونجوى مصطفى، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، 2007م.ج1 ص 155-156.وهو ينقل ذلك عن ابن الجزري.

(2) المقريزي :أحمد بن علي (ت845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، (القاهرة)، 1996م، ج3ص386؛ ابن اياس: أبو البركات محمد بن أحمد،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

ويقول ابن إياس[1] :"وأهل مصر لا تطاق ألسنتهم إذا اطلقوها"، وإذا كان هذا هو موقف العامة، فإن الأمر عند قبائل العربان لم يكن مختلفاً، إذ أنفت قبائل العربان من الحكم المملوكي، واعتبروا الأيوبيين خوارج والمماليك عبيد للخوارج لا يتوجب لهم طاعة[2]. ولم يكن المعممون من الفقهاء والعلماء والقضاة،وهم طليعة المثقفين آنذاك، أقل رفضًا للحكم المملوكي - في البداية- من العامة والقبائل العربية، فطعن سلطان العلماء، الشيخ العز بن عبد السلام[3] في شرعية تولي بعض أمراء المماليك الحكم؛ لأن حكم الرق قائم عليهم، ولا يصح لهم بيع ولا شراء ولا نكاح، كما أفتى بأن حكم الرق قائم عليهم لبيت مال المسلمين فتعطلت مصالحهم بذلك[4].

(ت. 930هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط3، دار الكتب والوثائق القومية؛ (القاهرة)، 2008م.ج1ق1ص289.

(1) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، (ط دار الشعب، القاهرة 1960م)، ص 716 .

(2) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط3، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، 2009م ج1ص386.

(3) الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ولد عام 577هـ. قال عنه جلال الدين السيوطي: الشيخ عز الدين أبو محمد، شيخ الإسلام، سلطان العلماء، أخذ الأصول، وسمع الحديث، وبرع في الفقه والأصول والعربية، وقدم مصر فأقام بها أكثر من عشرين عامًا ناشرًا للعلم، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، يغلظ على الملوك فمن دونهم، وله من المصنفات والكرامات الكثير، ثم كان في آخر عمره لا يتقيد بالمذهب - يقصد الشافعي - بل اتسع نطاقه، وأفتى بما أدى إليه اجتهاده، السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت902هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، (القاهرة)، 1998م، ج1ص 343.

(4) رشيدة عطا: شرعية الحكم في دولة المماليك، بحث بكتاب حكومة مصر عبر العصور، هيئة الكتاب (القاهرة)، 2001م، ص154؛ مصطفى وجيه مصطفى : احتفالات الحج المصرية في عصر سلاطين المماليك،دار عين (القاهرة)2014م، ص14

ومن ثم فإنه تعين على المماليك أن يواجهوا متاعب عدم الاعتراف بهم كحكام شرعيين منذ البداية، فسعى المماليك لصرف نظر الفرد العادي عن النظر إليهم بأمرين أساسين في إطار الحكم الإسلامي، وهما: الشرعية والشعبية؛ وقد تحققت الشرعية بإحياء الخلافة العباسية في القاهرة بأيدي المماليك[1] "... فسُر الناس بذلك سروراً عظيماً وشكروا الله على عودة الخلافة العباسية..."[2]، وكانت تلك مناورة سياسية ذكية من قبل سلاطين المماليك، إذ جعلوا دولة المماليك تبدو صاحبة الفضل على العالم الإسلامي بإحيائها الخلافة العباسية

أما الشعبية فقد تجلت في التوسع في إقامة مؤسسات الرعاية الاجتماعية، وترك جميع الوظائف في دواوين الدولة لأبناء الشعب المحكوم، أضف إلى ذلك أن لحظ المماليك أن الشخصية المصرية محبة للفرح والبهجة[3]، فأكثروا من الاحتفالات ونال الحظ الأوفر من الاهتمام تلك الاحتفالات التي ارتبطت بمناسبات دينية، وهي محاولة من المماليك تهدف إلى التنفيس عن الناس مع تعظيم السلطان وإجلاله[4]،من ناحية، ومحاولة كسب مكانة دينية وسياسية تسهم في دعم مركزهم

(1) المقريزي: السلوك، ج1، ص 540

(2) أبو شامة: شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن المقدسي (ت665هـ)، الذيل على الروضتين، تحقيق السيد عزت العطار: ط2، دار الجيل (بيروت)، 1974م.، ص 213.

(3) قال ابن بطوطة عن مصر في رحلته أنها مدينة الطرب واللهو والسرور، ينظر : ابن بطوطه: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت. 779هـ)، رحلته، تحقيق محمد السعيد الزيني: المكتبة التوفيقية، (القاهرة)، د.ت.، ص33. وهو نفسه ما شاهده ورواه ابن الصباح الأندلسي في رحلته زمن برقوق (784-801هـ) : ابو عبدالله الصباح : أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار،نشر وتحقيق محمد بنشريفة : ط1،دار ابي رقراق (الرباط)2008م.، ص116

(4) ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، (ت. 852هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة)، 2009م، ج3، ص 402؛ ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف (ت. 874هـ)، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج1 تحقيق فهيم شلتوت: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (القاهرة)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

السياسي كأعظم قوة إسلامية آنذاك.

وكان من هذه الاحتفالات، احتفالات المولد النبوي في مصر زمن سلاطين المماليك، والحق أن مراعاة المماليك لاحتفالات المولد النبوي آتت ثمارها المرجوة،حيث أثنى المصريين على مراعاة المماليك هذا الأمر شاكرين لهم فضلهم، ورددوا أنه لو لم يكن من وراء احتفال سلاطين المماليك بالمولد النبوي "... إلا إرغام الشيطان وسرور أهل الأيمان من المسلمين، وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلية مولد نبيهم عيدًا أكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر، فرحم الله امرءًا اتخذ ليالي هذا الشهر المبارك وأيامه أعيادًا، ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعيا داء.."[1]، وطالما المماليك قد أدركوا قيمة الاحتفالات فحرصوا على تنظيم احتفالات المولد النبوي بصورة رسمية مؤثرة تهز المشاعر، وتحرك نوازع الرغبات الروحية الكامنة شوقًا، وقد اتضح ذلك جليًا في نقل المصادر خبر الاحتفالات، ففي نقله لخبر احتفالات المولد سنة 845هـ قال السخاوي: "... وفي هذا الشهر كان المولد النبوي السلطاني على العادة، ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ﷺ ويعملون الولائم لذلك، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم..."[2].

لا شك أن ذلك الحرص مرجعه النظرية السياسية التي استندت عليها دولة المماليك هذه النظرية التي تمثلت في القوة العسكرية من ناحية،-والواجهة الدينية

1990م، ص 379؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط دار الكتب المصرية، ج16، ص 123 - 126.

(1) السخاوي : التبر ج1ص155-156 وهو ينقل عن ابن الجزري الذي شاهد اهتمام المماليك باحتفالات المولد النبوي وحضرها في عصر برقوق.

(2) التبر ج1ص155

من ناحية أخرى-، وطالما أن القوة العسكرية ملحوظة وملموسة فالأصل هو تدعيم مسألة الواجهة الدينية لكسب قلوب المسلمين وعقولهم ونجحوا في ذلك بتقوية المحكومين برباط الدين وهو الرابطة الوحيدة التي تربط بين المماليك والشعوب التي يحكمونهم؛ من أجل تأكيد شرعية حكمهم للأراضي العربية الإسلامية، وكانت الاحتفالات الدينية، ومنها احتفالات المولد، شكل من أشكال هذه الواجهة.

ويمكن القول أن اهتمام المماليك باحتفالات المولد النبوي قد نتج عنه نجاح في كسب الزعامة الروحية، فضلًا عن الزعامة السياسية في العالم الإسلامي، إذ نجح المماليك بهذه الطريقة في كسب القاعدة العريضة من الشعب بظهورهم بمظهر المحافظين على الدين ورعاية سنة أخر النبيين وتخليد ذكرى سيد المرسلين، وهو الأمر الذي ظهر واضحًا في تعبيرات المصادر، حيث أشار المؤرخون المعاصرون لدولة سلاطين المماليك في هذا الصدد ذاكرين أن أكثر الشعوب الإسلامية احتفالًا بمولد النبي "... أهل مصر والشام، وللسلطان في تلك الليلة مقام يقوم فيه أعظم مقام..."[1]، ينقل السيوطي رأي أحد المحدثين المعاصرين له عن احتفالات المولد السلطانية فيقول أن الاحتفالات: "... من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف..."[2].

وهنا يجب التأكيد على أمر مهم وهو أن الاهتمام باحتفالات المولد النبوي، باعتبارها شكل مهم من أشكال الواجهة الدينية، كانت أمرًا ضروريًا في بداية الحكم المملوكي، (خاصة بعد أن نجحوا في استئصال شأفة الوجود الصليبي من بلاد

(1) هو لا زال ينقل عن ابن الجزري.

(2) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت. 902هـ)، حسن المقصد في عمل المولد، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا: دار الكتب العلمية (بيروت) 1985م، ص 41.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الشام وفلسطين وصد الخطر المغولي، وأصبح الوقت ملائمًا أن يفكر العامة في مسألة أصل المماليك بعد انتهاء التهديدات الخارجية) ومع تمكن المماليك في البلاد، أصبح هذا الأمر من المراسم الشكلية المعتادة.

على أية حال فقد كان هناك دافع أخر للمماليك من وراء اهتمامهم باحتفالات المولد النبوي وهو حب المماليك "... الافتخار وحسن الثناء بإطعام الفقراء ومواساة المحتاجين والمناظرة بذلك بين الأمراء..."[1]، وكان ذلك ناتجا عن الاستقرار السياسي الذي عرفته مصر في عصر سلاطين المماليك والذي كان له انعكاس واضح على النواحي الحضارية التي وجدت كل الاهتمام والعناية من سلاطين هذه الدولة، وبطبيعة الحال فإن ذلك يشكل معيارا دقيقًا لثروة مصر العامة وسعتها، ومرآة للازدهار الاقتصادي الخارق الذي غمر مصر منذ قيام دولة سلاطين المماليك في مصر. وانعكس كل ذلك على الاحتفالات المملوكية التي أعجب بها العامة والمثقفين على السواء، وقد عبر عن ذلك شيخ مؤرخي مصر الإسلامية أحمد بن علي المقريزي قائلًا [2] إن رجال دولة المماليك "... كانت لهم في المواسم والأعياد وأوقات النُزَهْ والفرح أعمال لا يمكن حكايتها...". وهذا الأمر كان أمراء وسلاطين دولة المماليك يرددوه، ويتفاخرون به، فكان بعضهم إذا عمل حفلًا يبالغ فيه ويقول أحب أن: "...يبقى لي مكارم على الناس أذكر بها..."[3].

وفي ضوء ما تقدم؛ يمكن القول أنه إن كانت دوافع المماليك في الاهتمام باحتفالات المولد مردها المحافظة على تدعيم الشرعية المملوكية في الحكم، فإن

(1) الجزيري : عبد القادر بن محمد بن القادر (ت. 944هـ)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، نشر حمد الجاسر: ط1 (الرياض)، 1403هـ، ص 287؛ وانظر : المقريزي : السلوك ج1ص 917؛ ابن تغري بردي: النجوم ج8ص 146، 169.
(2) المقريزي: السلوك ج2ق3ص678.
(3) المقريزي: السلوك ج2ق3ص561.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

المبالغة في الاحتفالات الخاصة بالمولد النبوي تعود إلى حب المماليك في التباهي وتخليد ذكراهم. يبدو ذلك في تمكين الحكام لكثير من الطقوس الاحتفالية العامة والسهرات الغنائية من الشرب إلى الاحتفال لا للعبرة والاعتبار ولكن للمتعة والتسلية، وعدُّوها وسيلة من وسائل إبراز السرور، وتثبيت نفوذهم في أوساط العامة وتوسيعه وجعلها دائمة التبعية لهم.

2 - أماكنها:

المدهش حقًا أننا لا نجد في المصادر التاريخية التي تعود للعصر المملوكي -على حد اطلاعي- خبر يمكن من خلاله التعرف على مراسم وطقوس احتفال سلاطين المماليك البحرية بالمولد النبوي الشريف، أو أماكن الاحتفال أو أية خبر يمكن تفسيره في هذا الجانب وذلك قبل عام 736هـ وسلطان البلاد يومئذ محمد بن حاجي ابن الناصر محمد بن قلاوون (762-764هـ) حيث جاء عند ابن إياس في حوادث السنة المذكورة خبرًا مقتضبًا عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف يقول فيه :"... وفي شهر ربيع الأول، عمل السلطان المولد النبوي الشريف، ثم بات وأصبح فعدى هو والأتابكي يلبغا إلى بر الجيزة، على سبيل التنزه، وبات هناك ثم عدى من إنبابة، وتوجه إلى باب البحر، وتوجه من هناك، وشق من القاهرة في موكب حفل، وكان يومًا مشهودًا..."[1]، وفي عصر الأشرف شعبان (765هـ-778هـ) روى ابن إياس في حوادث سنة 776هـ ما نصه "... وفي شهر ربيع الأول، فيه عمل السلطان المولد النبوي..."[2]، وباستثناء هذين الخبرين لا نجد أي ذكر لاحتفالات المولد النبوي / السلطانية قبل زمن الظاهر برقوق (784-801هـ).

(1) ابن إياس: بدائع الزهور ، ج1ق1ص587.
(2) ابن إياس : بدائع، ج1ق2ص136.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المهم أنَّ الخبرين السابقين الذين أوردناهم عن ابن إياس، على الرغم من أنهما يحملان خبر يفيد احتفال السلطان بالمولد إلا أنهما لم يتطرقا إلى ذكر المكان الذي احتفل فيه السلطان، ولا اليوم الذي تم الاحتفال فيه، ولا أي ذكر لمراسم الاحتفال متى بدأ ومتى انتهى وما تخلل الفترة بين البداية والنهاية من طقوس احتفالية، ولا شخصية الحضور أكانت مدنية / دينية أم عسكرية أم كلاهما وهل كان للعوام نصيب في الحضور ومشاهدة حفل السلطان.. وغير ذلك من الأسئلة التي لا نجد لها إجابات -حتى الآن- بسبب غياب الإشارات المصدرية عن ذلك، في فترة ما قبل برقوق.

وفي واقع الأمر، فإنه حتى سنة 785هـ لم تأخذ احتفالات المولد النبوي الشريف في مصر طابعها الطقوسي، ولم تظهر معالم تقاليدها وطقوسها وتترسخ؛ لذلك لم تتعرض المصادر بشيء من التفصيل والتحليل والنقد، ولكن هذا لا ينفي وجودها، والدليل على ذلك طريقة ابن إياس في رواية الخبرين المشار إليهما آنفا، إذ لا يفهم منه أن الاحتفال محدث فلا نجد دهشة من ابن إياس عند روايته للخبر، كما هي عادته حين يعلق على أمر أحدثه المماليك في رسوم الحكم. وذلك يدفعنا للترجيح بأن احتفالات المولد النبوي كانت موجودة في العصر المملوكي وتقام تبعًا للظروف، ومن المرجح أيضًا أن الاحتفالات السلطانية في هذه المرحلة الباكرة كانت تقام في قلعة الجبل مثلها في ذلك مثل احتفالات ختم صحيح البخاري وختم القرآن بقلعة الجبل، والتي كان يغلب عليها طابع الوعظ. أضف إلى ذلك، أنه ربما كان الاقتضاب في ذكر خبر الاحتفالات مرجعه أن الاحتفالات بالمولد النبوي آنذاك كانت تتسم بصورة من البساطة، من حيث تحديد مكان إقامتها وزمانها المحدد، ومن كان عليه الحضور وترتيب مجلس الحاضرين.. وغير ذلك، قبل أن تتغير، وتشهد تطورًا سريعًا ومستمرًا من سلطان إلى أخر، حتى وصلت ذروة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الاحتفالات في عصر الأشرف قايتباي لأن "... مبدأ كل أمر ليس كنهايته..." كما قال المؤرخ المملوكي أبو المحاسن بن تغري بردي[1].

على أية حال، فإن المدقق في روايات كتاب الأخبار يلحظ أن أصحاب هذه المصادر حددوا الأماكن التي كانت تقام فيها احتفالات المولد الرسمية/ السلطانية، وفرقوا بينهما جيدًا في تناولهم للخبر، محددين ثلاثة أماكن خصصت لاحتفالات المولد النبوي السلطانية وهم : [داخل القصر/القلعة- الحوش السلطاني بالقلعة- الخيمة أو المدورة داخل الحوش السلطاني بالقصر] ويلحظ أن كل مكان من الأماكن يشير إلى تطور نوعي للاحتفالات في مرحلة معينة من مراحل دولة سلاطين المماليك؛ باعتبار أن الاحتفالات داخل القصر السلطاني كانت البداية المعتادة للاحتفالات وذلك في عصر المماليك البحرية، ثم الحوش السلطاني الذي قطع شوطًا كبيرًا في تطور الطقوس والذي ظهر الاحتفال فيه للوجود في بداية عصر الجراكسة، وأخيرًا كانت الخيمة أو المدورة التي ظهرت في عصر الأشرف قايتباي والتي تعد قمة التطور الطقوسي والمكاني للاحتفالات زمن سلاطين المماليك.

وكيفما كان الأمر، كان الاحتفال داخل قلعة الجبل- أو القصر كما نوهت المصادر لذلك- هو أول صور الاهتمام المملوكي باحتفالات المولد النبوي، وكان يتم ذلك في زمن المماليك البحرية بالخصوص، وقد بيَّن المؤرخون ذلك بقولهم :"عمل السلطان المولد النبوي بالقصر على العادة"[2] أو "عمل السلطان المولد في القصر الكبير"[3]وكذلك "كان المولد بالقلعة"[4].

(1) ابن تغري بردي: النجوم ج7ص311.
(2) المقريزي : السلوك ج3ق2ص575
(3) ابن اياس : بدائع ج1ق2ص465
(4) السخاوي : الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق حسن إسماعيل :دار ابن العماد (بيروت) 1992م، ص392؛ ابن خليل : عبدالباسط بن خليل بن شاهين الظاهري

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويتوجب القول، أن اهتمام سلاطين المماليك البحرية بالمولد واحتفالاته والذي يرجح أنه اتسم بالبساطة وكان يتم بين جدران القلعة، كان متوافقًا مع شخصية سلاطين المماليك في العصر الأول أي " الشخصية الحربية" وإذا استثنينا فترة السيولة السياسية التي كان يحكم فيها أبناء السلاطين كواجهة حتى يتم حسم الصراع على كرسي الحكم لصالح أحد كبار الأمراء المتصارعين،لا نجد سلطان مملوكي في العصر الأول إلا وترك سيرة حربية تجاه الوجود الصليبي أو الخطر المغولي؛ وفي ضوء ذلك كان اهتمام المماليك الأوائل بالجانب الحضاري ضعيفًا، لأن غالب إيرادات الدولة موجهة لخدمة المجهود الحربي من ناحية، كما أن جهاد المماليك ضد الصليبيين والتتار كان بمثابة شرعية وجودية للمماليك كحماة ومدافعين عن المسلمين، وقد اكتسبت دولة المماليك بالفعل من وراء ذلك مكانة لدى المصريين في الداخل ولدى حكام دول الجوار في الخارج، وقد ظهر ذلك عندما حج سلطان اليمن الملك المجاهد (721-764هـ) سنة 659هـ وطلعت أعلامه وأعلام سلطان مصر المملوكي، فقال له أحد أمرائه: "هل أطلعت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين؟" فقال له ابن رسول "أتراني أؤخر أعلام ملك كسر التتار بالأمس وأقدم أعلامي لحضوري ومغيبة، لا أفعل هذا أبداً"[1].

هكذا كان دور الجهاد في تدعيم السياسة الداخلية والخارجية، وهو الأمر الذي جاء على حساب الجانب الحضاري، وقد ظهر ذلك في ندرة تناول كتاب الأخبار

(ت920هـ)، نيل الأمل في ذيل الدول،تحقيق عمر عبدالسلام تدمري :ط1،المكتبة العصرية (بيروت) 2002م. ج4ص 84، 127، 210، 248؛ ابن حجر: إنباء الغمر: ج3ص241، 300؛ المقريزي: السلوك ج4ق2ص631، 838؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج16ص 274، 283؛ ابن إياس: بدائع ج2ص 66، 85، 123.

(1) ابن فهد : نجم الدين عمر بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الأجزاء 1 – 3 تحقيق فهيم شلتوت: مركز البحث العلمي وإحياء التراث 1984م، ج3، ص 83.

لاحتفالات المولد النبوي في العصر المملوكي الأول. ولكن حين انحسر العدوان الخارجي التفت المماليك لجني ثمار الاستقرار، وقد انعكس ذلك على الجانب الحضاري عامة والاجتماعي خاصة، وكان من ذلك الاهتمام بالجانب الاحتفالي، ونالت احتفالات المولد حظًا وافرًا من ذلك الاهتمام، حيث اتخذها المماليك وسيلة لتأكيد تدعيم الواجهة الدينية للسياسية الداخلية بالتقرب إلى الرعية، عن طريق ظهورهم بمظهر حماة الدين ومقيمي شعائره، المحافظين على ذكرى نبيه؛ الراعين لتدارس سيرته وأصحابه.

ولعل السؤال هنا: هل كان عصر المماليك الجراكسة هو بداية النهاية لاحتفالات المولد النبوي بقلعة الجبل؟ أو بمعنى أخر: هل توقفت روايات كتاب الأخبار عن ذكر أية ملامح لاحتفالات المولد النبوي بقلعة الجبل في عصر الجراكسة بحكم التطور الطقوسي في المراسم الاحتفالية للمولد وانتقالها من بين جدران القلعة إلى الحوش وجعل الاحتفال السلطاني احتفالا عامًا بعد أن كان مقصورًا على مدعوين معينين يدعوهم السلطان من بين المعممين والعسكر ؟

الإجابة على هذا السؤال تقتضي الإقرار بأن لا يمكن القول أن مرحلة الاحتفال داخل القلعة كانت مرحلة خاصة بالمماليك البحرية دون البرجية، فذلك أبعد ما يكون عن الواقع التاريخي، وهناك روايات كثيرة تفيد بعقد السلطان الاحتفالات بالقلعة في الشطر الثاني من عمر الدولة،فلا يمكن أن نجزم على أن إقامة المولد بالقلعة أو بالحوش وكذلك الخيمة كانت مقصورة على زمن دون غيره، إذ كان ذلك –غالبًا– مرتبط بالظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بها البلاد، إذ حدث في عصر السلطان برقوق أن أقيمت الاحتفالات بالقلعة وليس بالحوش وحدث أيضا في عصر السلطان قايتباي والسلطان الغوري أن الاحتفالات لم تقام بالمدورة إنما اقيمت داخل القصر أو بالحوش دون الخيمة[1].

(1) سيأتي تفصيل ذلك في مبحث مظاهر الاحتفالات .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

فعلى سبيل المثال،ذكر المقريزي في حوادث سنة 790هـ أن السلطان برقوق عمل المولد بالقصر وليس بالحوش[1]، وحدث الأمر نفسه سنة 796هـ[2]، وسنة 824هـ[3]، وسنة 830 وسنة 831هـ[4] وغيرها من السنوات[5]. وهو ما يعني انتظام سلاطين المماليك في الاحتفال بالمولد سنويًا-تقريباً.

هذه السنوات التي نصت فيها المصادر صراحة على اقامة " المولد الذي يعمله السلطان ويحضره بقلعة الجبل"[6]، مع التأكيد على أن المصادر نفسها بيَّنت في سردها لحوادث بعض السنيين المذكورة الأسباب التي دفعت السلطان لإقامة الاحتفالات داخل القلعة، والتي كان غالبها بسبب أذى الجلبان والاضطرابات التي يصنعوها، أو بسبب التربص السياسي. مع التنبيه، على أن هناك سنوات لم تفصح فيها المصادر عن سبب إقامة الاحتفال الخاص بالمولد داخل القلعة، مكتفين بالإشارة إلى عمل الاحتفالات وكفي، وهو ما يدفعنا للترجيح بأن إقامة

(1) المقريزي: السلوك ج3ق2 ص575؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي: ط2، دار الكتب والوثائق، 2010م، ج1ص168

(2) ابن اياس: بدائع ج1ق2ص465

(3) ابن اياس: بدائع ج2ص66

(4) المقريزي: السلوك ج4ق2ص 738، 767

(5) على سبيل المثال حدث نفس الأمر سنة 838هـ، المقريزي: السلوك ج4ق2ص934، وسنة 846هـ ابن اياس: بدائع ج2ص357، وسنة 849هـ عبدالباسط بن خليل: الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم : تحقيق فرج محمد سلام (رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة بنها)2015م، ج1ص404؛ السخاوي: التبر المسبوك ج1ص252 وسنة 869هـ عبدالباسط بن خليل الروض الباسم ج3ص14، وسنة 871هـ ابن اياس: بدائع ج2ص 444، وسنة 873هـ ابن تغري بردي: حوادث الدهور ج3ص 681،عبدالباسط ابن خلي: الروض الباسم ج4ص 17، وسنة 874هـ عبدالباسط ابن خليل: الروض الباسم ج4ص 151، نيل الأمل ج6ص 396 وسنة 878 هـ ابن إياس: بدائع ج3ص 90، وسنة 882هـ، 885، 889هـ ابن اياس: بدائع ج3ص 130، 164-165، 206.

(6) المقريزي: السلوك، ج4ق2ص 767.

الاحتفالات الرسمية للمولد كانت تتم -أحيانًا- تبعًا لمراد السلطان أو ما يتوافق مع الحالة العامة للمجتمع.

على أية حال، هناك دلالات تفيد أن السلطان حرص في بعض السنيين على الاحتفال بالمولد داخل القلعة خشية من غضب الرعية، إذا هدف السلطان لإقامة الاحتفالات لأمر سياسي يخالف به المزاج العام للعامة، والدليل على ذلك ما ذكرته المصادر في حوادث سنة 864هـ من خبر الاحتفال الرسمي بالقلعة حيث ذكر المؤرخون :"... وفي ربيع أول كان المولد النبوي بالقلعة وحضر جاكم الفرنجي ابن صاحب قبرس وجلس مع أعيان المباشرين، ولما بلغ ذلك الناس خاصة العوام أخذوا في التشنيع..."[1] وعظم ذلك على الناس قاطبة[2].

وحين اتسعت دائرة معارضة العامة للسلطان بسبب هذا الإجراء، انطلق المعممون- وهم طليعة المثقفين آنذاك- لتبرير الموقف قائلين: "...أنه لا حرمة ولا شناعة في ذلك، ولعله أراد بذلك أن يريه عز الإسلام..."[3]، وهو ما يدل على أهمية الرأي العام للسلطة المملوكية الحاكمة من ناحية، وحرص المماليك على تفادي غضب العامة وعدم إقامة الاحتفالات التي قد تؤدي لغضب الناس في العلن.

ويجب أن نأخذ موقف المعممين وتبريراتهم في ضوء دورهم " كحلقة وصل" بين عامة المصريين والسلطة المملوكية العسكرية، مع العلم أنه لم يكن يعني تمثيل المعممون للعامة أو التعبير عنهم بصورة تعكس وعيهم الاجتماعي بخطورة سلبية أو محدودية الدور الذي تقوم به الدولة. حيث قاموا بدور بالغ الأهمية في تطبيع حياة المجتمع بطبائع الاتكالية والاستسلام، ولذلك كانت الدولة تلجأ إلى المعممين؛

(1) عبدالباسط ابن خليل: نيل الأمل ج6ص273؛ ابن اياس : بدائع ج2ص357.
(2) ابن تغري بردي: النجوم ج16 ص 136
(3) ابن تغري بردي النجوم : ج16 ص 136؛ عبدالباسط ابن خليل: نيل الأمل ج6ص273.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للتسكين من روع الأهالي وإقناعهم بأن أفعال السلاطين صواب، وضرورة طاعة ولي الأمر، والصبر والإذعان لكل ما ينالهم من ممارسات السلطة وهو ما دفع الدولة إلى تبني أفكار الصوفية والعلماء، وإغداق الأموال عليهم والأوقاف وتثبيت المشايخ والعلماء في نظارتها[1]، ومن ثم كان من الصعب على هؤلاء الآخرين أن يكونوا قيادة حقيقية للعامة.

وهكذا نجحت السلطة المملوكية في السيطرة على هذه القيادة التي كانت قادرة على إثارة روح الانتفاضة الشعبية بصورة سريعة، لولا حرصت الأخيرة على تأمين مصادر دخلها ورواتبها من خلال توطيد علاقاتها بأهل الحكم، وهو ما أثار حفيظة بعض الفقهاء أو الإصلاحيين المعاصرين[2]. وإذا كان المماليك نجحوا في أن يجعلوا يربطوا العامة والمماليك جميعاً بعلماء الدين. وهذه الأمور تمثل اعترافاً بمكانتهم، وهي مكانة لم تتحقق لغيرهم، حتى وإن بدا السلطان أقوى وأنفذ كلمة، فإنه لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور، بسبب المسحة الدينية التي ميزت ذلك العصر. ولكن كل ذلك يبين الثقل الذي مثله العامة في هذا الجانب الاحتفالي.

(1) هناك عدة دراسات تناولت دور العلماء والصوفية عصر المماليك منها على سبيل المثال: علاء طه: فتاوى العلماء، ص62؛ حسن أحمد البطاوي: أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك، ط1، دار عين (القاهرة)، 2007م.، ص101؛ عبد الغني عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ط2، دار المعارف، (القاهرة)، 2002م.، ص115؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر: دراسة تاريخية وثائقية، ط1، دار النهضة (القاهرة)، 1980م.، ص208؛ محمد حسن محمد، الأبعاد الاجتماعية لظاهرة التصوف في مصر عصر سلاطين المماليك،دكتوراه بآداب الزقازيق 1996م، ص222.

(2) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم،تحقيق محمد علي عمر النجار وغيره،ط3، مكتبة الخانجي (القاهرة)1996م.، ص187، 179؛ ابن طولون: نقد الطالب لزغل المناصب،تحقيق احمد دهمان وغيره :ط1،دار الفكر المعاصر (بيروت)1992م.، ص118

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

إذ أن الاحتفال المملوكي عامة كان فيه "... نوعـًا يعظم الملوك، والنفوس تحب التعظيم بالطبع،... وفيه زيادة فرجة..."[1]. وطالما كان من ضمن أهداف الاحتفال تعظيم السلطان، فربما لو حضر العامة الاحتفال ووجدوا ما تناقلته المصادر من جلوس ابن صاحب قبرس بجوار أعيان المباشرين، كان تشنيعهم على السلطان سيؤدي إلى تدهور مكانة السلطان أمام ابن صاحب قبرس ومن الممكن أن يؤثر ذلك على مكانة مصر في قبرس. وهذا يدفعنا إلى الترجيح بأن السلطان كان حكيمًا من ناحية، وأن الانتقال بالحفل من الحوش للقلعة كان مرتهنًا بظروف معينة من ناحية أخرى.

على أية حال، كان المكان الثاني الذي أقيمت فيه احتفالات المولد النبوي هو الحوش السلطاني بقلعة الجبل، وقد حدد المقريزي بداية اتخاذه مكانًا للاحتفال، وذلك في كتابه "الخطط"[2] حين تعرض لتاريخ حوش القلعة وتطوره، وقد أوضح أن البداية الحقيقية لاستغلال الحوش وتعميره يعود إلى زمن الناصر محمد ابن قلاوون[3] وبالتحديد سنة 738هـ[4] وجعله مختصًا بتربية أعداد كبيرة من الثروة الحيوانية "... فلما كانت أيام الظاهر برقوق عمل المولد النبوي بهذا الحوش أول ليلة جمعة من شهر ربيع الأول من كل عام، فإذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوش،... واستمر ذلك مدة أيامه ثم أيام ابنه الملك الناصر فرج..." وقدرت مساحة هذا الحوش بأربعة أفدنة[5].

(1) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج3، ص180 .
(2) المقريزي: الخطط ج3ص372-373.
(3) حكم الناصر محمد على ثلاث فترات كانت الأولى (693-694هـ) وكانت الفترة الثانية لحكمة (698-708هـ) بينما كانت فترة حكمه الثالثة والأخيرة (709-741هـ).
(4) جعله الناصر محمد مرتعًا للثروة الحيوانية التي استقدمها من الوجهين القبلي والبحري ومن برقة ومن غير ذلك، المقريزي: الخطط، ج3ص 372.
(5) المقريزي: الخطط ج3ص 372-373

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

إذن هذا النص دليل واضح يؤكد أن البداية الحقيقية لاتخاذ الحوش مكانًا للاحتفال يعود لعصر الظاهر برقوق، وربما كانت تلك الخطوة من قبل برقوق خطوة ذات دوافع سياسية أكثر منها احتفالية/ دينية، إذ أن برقوق كان يسعى وراء الواجهة الدينية التي تدعم حكمه[1]. عند العامة بعد أن أيقن أهميتهم في تغيير الموازين في فترات الصراع، خاصة في فترة خلعه من الحكم وسجنه وإسهام العامة في عودته للحكم ثانية بعد مقاومتهم الثورية ليلبغا الناصري[2]، والدور الكبير الملموس الذي ظهر فيه العامة اثناء الصراع بين يلبغا ومنطاش[3]، ومن هنا سعى برقوق بخطوته تلك وهي الانتقال بالاحتفال من داخل القلعة، إلى العلن ودعوة الرعية قبلها للحضور والمشاركة في الاحتفال، ونجح بهذه الفكرة (ضمن أفكار أخرى) في توثيق الصلة بينه وبين المصريين المحكومين على اختلاف مشاربهم، فقد كان انتقال السلطان برقوق باحتفالات المولد النبوي من جدران القلعة إلى الحوش الفسيح نتاجاً لتفنن السلطان برقوق في البحث عن سبل لزيادة توثيق صلته بالعامة، وهو الأمر الذي ألمحت إليه المصادر، بمحاولات برقوق التقرب للعوام طيلة فترة حكمه[4].

(1) مع التأكيد هنا على أن برقوق كان يؤسس لحكمه هو، وليس لتدعيم الحكم لدولة الجراكسة؛ لأنه لم يكن يعلم أن وجوده في الحكم يؤسس لدولة ثانية.

(2) يلبغا الخاصكي الناصري هو من ثار على الملك الناصر حسن فعزله وقتله في شهر جمادى الأولى 862هـ/ 1361م، وولى مكانة ابني أخيه الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي، وأصبح يلبغا صاحب السلطة الحقيقية في الدولة،، للمزيد عنه انظر، المقريزي، السلوك، ج3 ص60 – 62؛ نجم الدين عمر بن فهد؛ إتحاف الورى، ج3، ص286 – 287.

(3) لمعرفة المزيد عن هذا الصراع، انظر المقريزي، السلوك، ج3، ص589 وما بعدها؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج3، ص263 وما بعدها؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص255.

(4) المقريزي: السلوك ج 3ص 859، 235، 783، 784، 405، 597؛ ابن حجر: إنباء الغمر ج 1 صـ422، 219، 366؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات: الأجزاء 7 – 8 – 9،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

إذ أن اهتمامه باحتفالات المولد النبوي ومبالغة إقامتها في هذا الجانب تأتى ضمن ما تمثله ذكرى المولد النبوي من أهمية وقداسة خاصة في حياة المسلمين عموماً، وهو ما يدفع بالرعية إلى تقربهم من سلطانهم المملوكي، وزيادة ثقتهم فيه لما يقوم به من الاهتمام والمحافظة على شعائر دينهم والاحتفال بأعيادهم وعلى ذلك كانت المرحلة التالية المتمثلة في الانتقال لاحتفالات المولد النبوي الرسمية من حضور بضعة أشخاص من صفوة المجتمع إلى مشاركة المجتمع ككل مناورة ذكية من برقوق، زادت من تعلق الرغبة به، ومن جانبه اهتم برقوق بتنمية هذا الشعور عند الشعب المصري[1] وحافظ على استمالة نفس الشعب الجياشة بالعواطف الدينية.

على أية حال، كان المكان الثالث الذي أقيمت فيه احتفالات المولد النبوي الرسمية هو "خيمة المولد" التي كانت أشبه بالقاعة المدورة، وكان مكانها في الحوش السلطاني أيضاً، ولكنها لا تقام إلا للاحتفال بالمولد النبوي فقط دون غيره[2]، وبداية هذه المرحلة ترجع إلى عصر الأشرف قايتباي وبالتحديد سنة888 ه حيث روى ابن إياس في بدائعه[3] في حوادث السنة ما نصه. "وفيه عمل السلطان المولد النبوي، وكان حافلاً، واجتمع الأمراء والقضاة الأربعة، وكان السلطان شرع

تحقيق قسطنطين رزيق: وغيره، المطبعة الأمريكية، (بيروت)، 1942م. مجلد 9 ج 1، ص 85،124؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج 12، صـ 110 – 111.؛ابن الصيرفي: نزهة النفوس ج 1ص 190،430، 359، 199، 211، 500؛ ابن اياس: بدائع،ج1ق2 صـ298؛ إيمان عمر شكر: برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، ط1، مكتبة مدبولي (القاهرة) 2002م. صـ 301 – 396

(1) ينظر إيمان عمر شكر: برقوق، صـ 301 – 396.

(2) ابن اياس: بدائع الزهور ج 3 صـ200.

(3))) نفسه، نفس الجزء والصفحة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

في عمل خيمة كبيرة مدورة برسم المولد الشريف، وقيل إن مصروفها ثلاثة وثلاثون ألف دينار، فنصبها في ذلك اليوم بالحوش".

ومن هذا التاريخ صارت خيمة المولد أو السرادق الأشرفي هو المكان المخصص للاحتفال السلطاني بالمولد النبوي الشريف، وطوال العصر لم يظهر بعد المدورة مكاناً آخر ذكرته المصادر أقيم فيه المولد النبوي الشريف، وعلى ذلك فأماكن إقامة احتفالات المولد النبوي السلطانية كانت تقام إما في القصر، أو في الحوش ثم في الخيمة "المدورة" في رقابة الأمر.

مع التأكيد على أنه ليس كل مرحلة (القصر – الحوش) كانت تختص بإقامة احتفالات المولد النبوي دون غيرها، في المرحلة التي ظهرت فيها، بل كان السلطان حراً (أو مجبراً من قبل الظروف السياسية والأمنية) في اختيار المكان الذى ستقام فيه الاحتفالات، وإن كنا قد نوهنا إلى أنه على الرغم من انتقال احتفالات المولد إلى العلن في عصر الظاهر برقوق، بعد تخصيصه إقامة الاحتفال بالمولد في الحوش، إلا أنه كانت هناك سنوات طوال عصر الدولة أقيمت فيها الاحتفالات داخل القصر، تبعاً للظروف السائدة. وهو نفس الأمر بالنسبة "للمدورة" إذ على الرغم من ظهور مسألة "خيمة المولد" بداية من سـ888هـ إلا أن الأشرف قايتباي نفسه أقام الاحتفالات في العام التالي 889هـ في القلعة وليس بالخيمة [1] كما أسهمت الظروف السياسية وأزمة العرش سنة 904هـ في إقامة المولد داخل القصر، ولم يصعد لتهنئة السلطان والمشاركة في الاحتفال من الأمراء إلا القليل [2]، وفي سنة 907، 908هـ أقام الغوري الاحتفالات بالحوش دون الخيمة[3]، وهكذا، لم يكن الحال يسير على وتيرة واحدة بل حسب مقتضيات الظروف السائدة.

(1) ابن اياس: بدائع ج 3 صـ206.
(2) ابن اياس: بدائع ج3 400 – 401، ج4 صـ20، 41.
(3) ابن إياس، بدائع ج4ص 20، ص41.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وطالما أننا تحدثنا عن الأماكن التي كانت تقام فيها الاحتفالات السلطانية الخاصة بالمولد النبوي فيتوجب علينا الإشارة إلى أن الظروف السياسية كانت تدفع السلطان أحياناً إلى الاحتفال بالمولد النبوي خارج مصر كلها، مثلما كان الحال سنة 820هـ، إذ تصادف أن عزم السلطان المؤيد شيخ (815-824هـ) على السفر لدمشق في العام المذكور ودخلها يوم الاثنين مستهل ربيع الأول، ولم يمر أكثر من يومين على وصوله دمشق حتى أمر السلطان بالمناداة بإقامة المولد النبوي في ليلة الجمعة رابعة، وعمل احتفالات المولد بالمصطبة ظاهر برزة[1].

ولعل حفاظ السلطان المؤيد على إقامة لاحتفالات لا ينفك عن الاستمرار في تدعيم الواجهة الدينية، خاصة وأنه وصل للحكم عن طريق الانقلاب العسكري على السلطان الناصر فرج بن برقوق وبالتالي كانت الاحتفالات المولد على الرغم من أنها موسماً دينياً خاصاً، إلا أن المماليك جعلوه سياسياً، وإن كان لا يخلو من بعض الأهداف الدينية.

3 - أوقات الاحتفالات:

الثابت عند كتاب الأخبار أن احتفالات المولد النبوي/ الرسمية كانت تتم في شهر ربيع الأول، ولكن ليس هناك موعد ثابت في شهر ربيع الأول خصص للاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، إذ كانت مواعيد الاحتفالات عرضة للتغيير لأسباب كثيرة، وكثيراً بدون سبب ظاهر، وبالملاحظة الدقيقة فقط والتحري في موقع الخبر يمكن للمرء أن يتأكد من الموعد، وإذا كان الخبرين اللتين ساقهما ابن إياس عن إقامة احتفالات المولد النبوي عام 763هـ في عصر السلطان محمد بن حاجى (762-764هـ)، والأخرى 776هـ في عهد السلطان الأشرف شعبان (764-778هـ) لم يحدد في أياً من الخبرين المكان الذى أقيمت فيه احتفالات

(1) المقريزي: السلوك ج 4 صـ400؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس، ج 2 صـ387.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المولد النبوي في العامين المذكورين، فإنه لم يضن علينا بالموعد حين حدده بشهر ربيع الأول [1].

إلا أن توقيت اليوم نفسه غير موجوداً عند ابن إياس، وربما كان ذلك سببه أن سلاطين المماليك لم يخصصوا يومًا معينًا للمولد في بداية دولتهم وكانوا يحتفلون به حسب مقتضيات الظروف، وقد اتضح ذلك جيداً عند روايات كتاب الأخبار، إذ لم يهتموا في سنين كثيرة بتحديد اليوم، واكتفوا بالإشارة الاحتفال بعبارة "... ربيع أول، وفيه عمل السلطان المولد النبوي بالقصر على العادة..."[2].

وكان الظاهر برقوق هو أول من حدد يوم بعينه للاحتفال الرسمي بالمولد النبوي وكان ".. في أول ليلة جمعة من شهر ربيع الأول في كل عام...، واستمر ذلك مدة أيامه ثم أيام ابنه الملك الناصر فرج..." [3]، وإن كان برقوق هو من وضع الأساس الزمنى للاحتفال العلني بالمولد في ليلة الجمعة الأولى في شهر ربيع الأول من كل عام، وسار على نهجه ولده، فإن الأمر لم يكن على نفس الحال في عهود السلاطين التالية عليه، وإن ظل الأفضلية لإقامة الاحتفالات في النصف الأول من شهر ربيع أول[4].

وهناك نص له دلالة في هذا الصدد يعود إلى سنة 828هـ في عهد المؤيد شيخ بالخصوص، إذ تشير المصادر إلى الخبر على النحو التالي :."وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد الشريف، وعجل به، في خامس ربيع الأول لأمر أوجب ذلك" [5].

(1) ابن اياس: بدائع ج1 ق1 صـ587، ج1 ق2 صـ136.
(2) المقريزي: السلوك ج 3 ق2، صـ575؛ عبدالباسط بن خليل: نيل الأمل ج 4 صـ84، 127؛ ابن حجر: انباء الغمر ج 3 صـ241؛ ابن اياس: بدائع ج 2 صـ66، ج 1 ق2 صـ465،
(3) المقريزي: الخطط، ج 3 صـ372 – 373.
(4) المقريزي: السلوك، ج 4 صـ631، ج 4 ق2 صـ905؛ ابن حجر :انباء الغمر، ج 3 صـ268؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج 3 صـ274، 307.
(5) المقريزي: السلوك،ح4 ق2 صـ680؛ ابن اياس: بدائع ج 2 صـ96.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

هذا الخبر له دلالة غاية في الأهمية، وهى أن الأمر الذي كان متعارفًا عليه في عهدي السلاطين برقوق وفرج من إقامة الاحتفالات في أول ليلة جمعة من الشهر، أصبح في عهود السلاطين الآخرين أبكر، وهو ما يتضح في قول ابن إياس: (وعجل به، فعمل في خامس ربيع أول) لكن ظلت الاحتفالات غالبًا تقام ليلة الجمعة طوال عصر الدولة على الرغم من اختلاف التاريخ إلا أن اليوم ظل ثابتًا مع مراعاة أنه إن كانت الاحتفالات تقام يوم الحادي عشر فغالبًا ما يكون يوم الأحد ليلة الاثنين. وفي عهد السلطان الأشرف برسباي (825 ه - 841هـ) غلب على الاحتفالات السلطانية أن تتم في ليلة الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول وربما تقدم ذلك يومًا أو يومين [1].

وفي واقع الأمر كان الاحتفال بالمولد النبوي في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول هي المحببة والغالبة على سلاطين دولة المماليك في مرحلة ما بعد السلاطين برقوق وفرج بن برقوق، ولعل ما يؤكد ذلك أن المصادر [2] حافظت على ذكر خبر الاحتفال بشكل سنوي تقريبًا في صيغة "...وفي ربيع عمل المولد النبوي على العادة..." ولم تشير إلى اليوم إلا في حالة كان الاحتفال في يومًا غير متعارف عليه، مثلما كان الحال سنة 842هـ والسلطان الظاهر جقمق (742 - 857هـ) حديث عهد بالحكم، فأمر بإقامة الاحتفالات بين يديه في القلعة ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع.

ثم عاد في العام الثاني مباشرة إلى إقامة الاحتفالات بالحوش وفي اليوم المعروف والمحبب لدى العامة وهو ليلة الثاني عشر من ربيع الأول[3]، ويمكن

(1) المقريزي: السلوك،ج 4 ق2 صـ905، 998؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج 3 صـ372.
(2) المقريزي: السلوك، ج 4 ق3 ص 1090؛ ابن تغري بردي :النجوم،ح15 صـ263؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس، ج 4 صـ27.
(3) ابن الصيرفي :نزهة النفوس ج4ص 153 وكذلك حوادث سنة 847هـ؛ ابن تغري بردي: النحو م ح 15 صـ357.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

تفسير ذلك في إطار أن جقمق كان لا زال داخل القصر، لكن عندما ثبت حكمه سار على نهج أسلافه في التقرب إلى الرعية ومراعاة المزاج العام للاحتفالات بإقامتها في الحوش في الموعد المتعارف، وظل على هذا الحال في إقامة الاحتفالات في النصف الأول من ربيع الأول باقي مدة حكمه، ولم تشر المصادر إلى تجاوزه النصف الأول من الشهر.

وفي عهد السلطان الأشرف أينال (858هـ - 865هـ) عُملت الاحتفالات السلطانية للمولد في موعدها في النصف الأول من الشهر[1] باستثناء عام 862هـ الذى أُحتفل فيه السلطان بالمولد في يوم الخميس سابع عشر[2] وعام 864هـ والذي احتفل فيه السلطان بالمولد في يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول[3].

وتشير المصادر إلى الاحتفالات في عهد السلطان الظاهر خشقدم (865 - 872هـ) تمت طيلة مدة حكمه في ليلة الحادي عشر أو الثاني عشر من ربيع الأول [4] عدا سنة 871هـ التي بكر فيها السلطان بالاحتفالات وإقامتها في يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول[5].

وبمراجعة المصادر نجد أن السلطان الأشرف قايتباي (873هـ - 901هـ) حافظ على أن تكون احتفالات المولد النبوي الشريف في ليلة الثاني عشر من

(1) ابن اياس: بدائع ج 2 صـ 318 - 319، 323،364، 338؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج 1 صـ415،447؛ النجوم ج16ص155؛ عبدالباسط ابن خليل: الروض الباسم، ج2ص9.

(2) ابن تغري بردي: النجوم ج 16 صـ116.

(3) ابن تغري بردي: النجوم ج 16 صـ136.

(4) ابن تغري بردي: حوادث الدهور ج 3 صـ416، 485، 510؛النجوم ج 16 صـ274، صـ283، صـ291؛عبدالباسط بن خليل: الروض الباسم ج 2 ص106، 151،ج3ص63؛ نيل الأمل ج 6 صـ135 156، 229؛ ابن اياس: بدائع ج 2 صـ390، 402، 414.

(5) ابن تغري بردي: النجوم ج 16 صـ296.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

ربيع الأول طيلة فترة حكمه، ولم نعثر على دليل يشير عكس ذلك سوى في عام واحد هو عام 887هـ حيث أقيمت الاحتفالات في يوم الأحد الخامس عشر [1] وحتى عام 901هـ وهو آخر عام أقام فيه الأشرف قايتباي احتفالات المولد النبوي[2]، لا يوجد في المصادر ما يشير إلى تغيير موعد الاحتفالات عن ليلة الثاني عشر من الشهر، وذلك على اعتبار أن المصادر لا تشير إلى الأمر إلا إذا تغير عن المعهود[3]، ونفس الأمر بالنسبة للسلطان الغوري (906هـ – 922هـ) إذ لا يوجد أية رواية تفيد أن الأشرف قانصوه الغوري خالف ليلة الثاني عشر من الشهر في الاحتفال بالمولد، بل نصت المصادر على ذلك صراحة في كل عام بأن الاحتفالات كانت في يوم حادي عشر [4].

الخلاصة لا نجد قبل السلطان الظاهر برقوق موعد محدد لاحتفالات المولد النبوي السلطانية، فإليه يعود تحديد ليلة الجمعة الأولى من كل شهر، ثم تطور الأمر إلى أن أعتاد السلاطين على إقامة الاحتفالات في ليلة الثاني عشر من الشهر، إن لم يحدث مع يغير اليوم تبكيراً أو تأخيراً، إلا أن الأصل كان ليلة الثاني عشر. لكن على الرغم من ذلك وجدت حالات ذكرتها المصادر إلى إقامة المولد النبوي في غير شهر ربيع الأول بدافع الظروف السياسية الطارئة، مثلما كان الحال صفر سنة 813هـ، "...وفي حادي عشر عجل السلطان بالمولد النبوي الشريف في غير

(1) ابن الصيرفي: علي بن داود الجوهري، إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، هيئة الكتاب (القاهرة)، 2000م، صـ334.

(2) ابن اياس: بدائع ج 3 صـ317.

(3) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج 3 صـ681؛ عبدالباسط بن خليل: الروض الباسم ح4 صـ17، 151؛ نيل الأمل ج 6 صـ396؛ ابن اياس: بدائع ج 3 صـ 21، 38، 53، 63، 90، 108، 119، 130، 145، 164 – 165، 181 – 182، 193، 200، 206، 216، 226، 239، 248، 260، 269، 280، 285، 294، 298، 306، 317.

(4) ابن اياس: بدائع ج 3 صـ449، ج 4 صـ20، 41، 58، 66، 81، 96، 116، 132، 157، 184، 218، 261، 306، 309، 371، 447، ح5 24 – 25.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

شهره لأجل سفره إلى الشام"[1]. كما كان للظروف السياسية والفتن دخل في ذلك -كما سيأتي. كما تكرر الأمر سنة 904هـ حيث تمت الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف في شهر جمادى الأولى، يقول ابن إياس في حوادث السنة وفيه جمادى الأولى صنع السلطان مولداً في غير وقته بالحوش السلطاني[2]، ولعل ذلك كان محاولة من السلطان الظاهر قانصوه الأشرفي (904 – 905هـ) لتدعيم سلطته التي استمرت بضعة أشهر وخلعه الأمراء متقربين إلى العامة.

- مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي في مصر زمن المماليك

في واقع الأمر ليس لدينا نصوص تفيد بصورة الاحتفال بالمولد النبوي في العصر المملوكي قبل السلطان برقوق، وإن كان من المؤكد أنها اتسمت بالبساطة وعدم التكلف، وبداية من عصر برقوق وُضِع لاحتفالات المولد النبوي طقوس مميزة سواء في شخصية الحضور، أو في مراسم الاحتفال.

فمنذ هلال ربيع الأول وحتى نهاية الشهر كان المجتمع المصري (الحاكم والمحكوم) يقيمون الموالد احتفالاً بالذكرى ويجتهد الجميع في إعداد ما يلزم الاحتفال بالمولد النبوي، فعلى المستوى الرسمي كانت التجهيزات تجرى على قدم وساق لأن السلطان برقوق كان يقيم الاحتفال في ليلة أول جمعة من الشهر، وهناك خلع لابد من تجهيزها وأسمطة طعام وحلوى ودعوة لكبار الفقهاء والمنشدين إلى غير ذلك من التجهيزات، وتستمر التجهيزات حتى إذا ما كان يوم الاحتفال يُكون المكلفين بنصب الصوان أي الخيمة التي سوف يجلس فيها السلطان والمنشدين وقارئ القرآن... وكل من له دور، وكانت العادة أن تبدأ الاحتفالات بعد صلاة الظهر مباشرة [3] ويستمر طوال الليل.

(1) ابن اياس: بدائع ج 1 ق2 صـ804.
(2) ابن اياس: بدائع ج 3 صـ408.
(3) ابن حجر: انباء الغمر ج3 صـ365.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

وكان المتبع في زمن السلطان الظاهر برقوق في هذه الاحتفالات (والتي يتضح أنها يغلب عليها الجانب الديني/ الاحتفالي) أنه عندما يستقر السلطان في صدر المجلس (أو الخيمة أو المدورة) أن يكون جالساً على يمين السلطان شيخ الإسلام وعن يساره قضاة القضاة الأربعة وشيوخ العلم، في حين يأخذ الأمراء أماكنهم على مسافة من السلطان، ويبدأ الاحتفال بتلاوة القرآن فيتعاقب المقرئون، وهم قراء الجوق الذين يقرؤون القرآن بالمقامات، وكلما فرغ أحدهم من تلاوة الجوقة المخصصة له، ينعم عليه السلطان، وبعد قراءة الجوف يأتي دور المنشدين، ثم يليهم الوعاظ واحداً بعد آخر، وكلما فرغ أحدهم من الوعظ، أنعم عليه السلطان برقوق بالمال والأمراء بالحرير، ويستمر ذلك حتى صلاة المغرب، فإذا صلى الحاضرون، تمد أسمطة الطعام يليها أسمطة الحلوى، وطوال الليل يكون الإنشاد والسماع[1].

وقد أمدنا المقريزي[2] بتفاصيل ذلك حين نعرض لخبر حوش القلعة وهو نفسه ما أمدنا به أبو المحاسن ولكن أبو المحاسن زاد من روايته لخبر صورة احتفالات المولد زمن برقوق في القلعة فقال[3]: "... وفي 2 ربيع أول سنة 800هـ عمل السلطان المولد النبوي على العادة مراسم وحضر السلطان بمخيمه بالحوش السلطاني، وحضر القضاة والأمراء ومشايخ الاحتفال العلم والفقراء، فجلس الشيخ سراج الدين عمر البلقينى عن يمين السلطان وتحته الشيخ برهان الدين إبراهيم بن رقاعة، وجلس على يسار السلطان الشيخ المعتقد أبو عبد الله المغربى، ثم جلس القضاة يميناً وشمالاً على مراتبهم، ثم حضر الأمراء فجلسوا على بعد

(1) المقريزي: السلوك ج3 ق2 صـ890 – 891؛ ابن حجر: انباء الغمر ج2 صـ21؛ ابن اياس: بدائع ج1 ق2 صـ494.

(2) انظر بالتفصيل :المقريزي: الخطط، ج1 صـ372 – 373.

(3) ابن تغري بردي: النجوم، ج12ص73

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

من السلطان، والعساكر ميمنة وميسرة فقرأت الفقهاء، فلما فرغ القراء وكانوا عدة جوق كثيرة، قام الوعاظ واحداً بعد واحد، وهو يدفع لكل منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة، ومن كل أمير شقة حرير خاص وعدتهم عشرون واحداً...". وأنعم أيضـًا على القراء لكل جوقة بخمسمائة درهم فضة وكانوا أكثر من الوعاظ، ثم مد سماط جليل يكون مقداره قدر عشرة أسمطة من الأسمطة الهائلة، فيه من الأطعمة الفاخرة ما يُستحى من ذكره كثرة، بحيث إن بعض الفقراء أخذ صحنـًا فيه من خاص الأطعمة الفاخرة فوزن الصحن المذكور فزاد على ربع قنطار[1].

ولما انتهى سماط الطعام مدت أسمطة الحلوى من صدر المخيم إلى آخره، وعند فراغ ذلك مضى القضاة والأعيان وبقى السلطان في خواصه وعنده فقراء الزوايا والصوفية، فعند ذلك أقيم السماع من بعد ثلث الليل إلى قريب الفجر، وهو جالس عندهم ويده تُملأ من الذهب وتُفرغ لمن له رزق فيه والخازن دار يأتيه بكيس بعد كيس، حتى قيل أنه فرق في الفقراء ومشاع الزوايا والصوفية في تلك الليلة أكثر من أربعة آلاف دينار هذا والسماط من الحلوى والفاكهة يتداول مدة بين يديه، فتأكله المماليك والفقراء[2] وتكرر ذلك أكثر من عشرين مرة ثم أصبح السلطان ففرق في مشاع الزوايا القمع من الزهراء لكل واحد حسب حاله وقدر فقراته، كل ذلك خارج مما كان لهم من الرواتب عليه في كل سنة[3].

كما زاد في أمر الاحتفالات بدعوة المداحين للاحتفال، واجتمع في كل سنة ليلة المولد "... المداحين لمدح النبي ﷺ مثل علم الدين سلمان القرافي المداح... وكان يأخذ في هذا اليوم ألف درهم... "[4]. وفي بعض السنين أبطلوا قراءة القرآن

(1) ابن تغري بردي: النجوم ج12 ص73
(2) يقصد بالفقراء هناء الصوفية (الباحث)
(3) ابن تغري بردي: النجوم ج12 ص74
(4) ابن الفرات: تاريخه، 1/ 9 صـ26.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بالأجواق لأجل التنهيك[1] مع إقامة" السماع بإبراهيم بن الجمال وأخيه خليل المشبب وأعوانه بالدف" [2]. ثم زادت المراسم أمراً آخر وهو أنه إذا مضى الثلث الأول من الليل تأتى طوائف الصوفية طائفة بعد طائفة لكل منها شعارها وأعلامها، حيث كثرت فرقها في مصر على عصر المماليك، وكانت طوائف الصوفية تقوم بالذكر الذى يصحبه التغني بحب الله أو الموسيقى مما يقضى بهم إلى الرقص، حيث يستمر ذلك إلى بقية الليل [3]. وبطبيعة الحال، كان عدد القراء في زيارة من سلطان إلى آخر، حتى استقر الأمر على أن يكون قراء القرآن في المولد ثلاثون قارئ ومثلهم يكون عدد الوعاظ [4].

وينقل السخاوي أن المؤرخ ابن الجزري حضر إحدى هذه الاحتفالات ووصفها بقوله : "... ولقد حضرت ليلة من مولد النبي من سنة خمس وثمانين وسبعمائة، عند الظاهر برقوق رحمه الله بقلعة الجبل، فرأيت ما هالني، وحزرت ما أُنفق في تلك الليلة مع القراء والحاضرين وغيرهم، نحو عشرة آلاف مثقال من الذهب العين ما بين خُلع، ومطعوم ومشروب ومشموم وشموع، وغير ذلك، وعددت في هذا المجلس خمساً وعشرين جوقة من القراء الصيتين (المشهورين) لم ينزل واحد منهم إلا بنحو عشرين خلعة من السلطان والأمراء..."[5].

وهكذا نلحظ من روايات المصادر التي رصدت أمر احتفالات المولد النبوي أنها لم تعتن بها قبل زمن برقوق إلا مرتين وبصورة عابرة، وقد يكون سبب الإهمال

(1) التنهيك هو نوع من التغني أو الإنشاد شاع استعماله في العصر المملوكي.
(2) ابن الصيرفي : نزهة النفوس، ج1 صـ168.
(3) عبد المنعم ماجد: نظم ورسوم دولة سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة) 1979م، ج2 صـ161 – 163.
(4) ابن حجر: انباء الغمر، ج4 صـ208.
(5) السخاوي: التبر المسبوك ج1 صـ155 – 156.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

في تداول الخبر بين المصادر المعاصرة هو أن الاحتفالات ابتدأت بصورة من البساطة متمثلة في جلوس السلطان بقلعة الجبل في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول، وحوله كبار الفقهاء، وإحياء الذكرى بقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات، ثم يعد للحاضرين سماطًا يأكلونه، وينصرفون من غير زيادة على ذلك[1].

هذه الطقوس الاحتفالية البسيطة ما لبثت أن تغيرت، وشهدت تطوراً سريعًا ومستمراً من سلطان إلى آخر، بل إنها تطورت من سنة إلى أخرى في زمن برقوق نفسه، وقد رصد ابن الفرات ملمح من ملامح زيادات السلطان برقوق في طقوس الاحتفال، التي نقلناها عن المقريزي وأبو المحاسن سابقًا، وذكر من هذه التطورات التي زادها برقوق سنة 790هـ ما نصه :"وفيه حضر إبراهيم ابن الجمال رئيس المغنيين وشقيقه خليل رئيس المشيبين وعملا السماع بحضرة السلطان كما جرت عاداتهما في موالد السلطان واخلع عليهما" [2]. وهكذا صارت الطقوس الاحتفالية في تزايد وتطور إلى أن بلغت ذروتها في عهد السلطان قايتباي، ثم السلطان الغوري، فإن كان برقوق هو أول من نقل الاحتفال من الضيق إلى الاتساع ومن المحدود إلى الجماهيرية والعلن، فإن من جاء بعده زاد من هذه الشرارة وطورها واستمر هذا التطور مع الحفاظ على حضور "...الأمراء والقضاة ومن عادته الحضور..."[3]، واستحداث السماعات بالمغاني وآلات الطرب [4]، وحافظ من جاء بعده على هذا التطور في طقس الاحتفال، وكلما تقدمت الدولة في العمر تقدمت في شكل الاحتفالات الخاصة بها، إلا أن ذلك مر بسلسلة من التعديلات كما أشرنا فمثلاً

(1) السيوطي، حسن المقصد، صـ41؛ ابن اياس: بدائع ج1 ق1 صـ587 ج1 ق2 صـ136.
(2) ابن الفرات: تاريخه، ج9 ق1 صـ26.
(3) المقريزي: السلوك ج3 ق3 صـ986؛ ابن اياس: بدائع ج1 ق2 صـ558.
(4) ابن حجر: انباء الغمر ج1 صـ351؛المقريزي: السلوك ج3 ق2 صـ576.

لم تكن الاحتفالات الخاصة بالمولد النبوي في عصر قايتباي مثلما كانت عليه في عصر الأشرف شعبان، إنما زاد الاحتفال بحسب اجتهاد السلاطين "...كما وقع ذلك في غيره من الفنون والملاعيب، فإن مبدأ كل أمر ليس كنهايته.." وإنما شرع كل سلطان في اقتراح نوعـًا من أنواع الاحتفال ولا سبيل إلى غير ذلك [1].

وهذا يعنى أن ما ذكره ابن إياس عن مظاهر الاحتفالات الخاصة بالمولد في زمنه لم تحدث مرة واحدة وإنما تطورت من وقت لآخر حسب رؤية السلطان، وتتضح هذه الصورة جيداً من تغييرات المصادر المعاصرة التي انتقت تغيراتها متناسبة مع كل مرحلة، فحين كانت الاحتفالات في مراحلها الأولى اكتفت المصادر بقولها "عمل السلطان المولد النبوي الشريف" [2]. وفي عصر برقوق زادت المصادر "عمل السلطان بالمولد على عادته.."[3] لأن برقوق كان له عادات وتقاليد متبعة في احتفالات المولد قد ذكرتها المصادر في تغيراتها وفي زمن ولده فرج قال المؤرخون: "عمل السلطان المولد النبوي على عادة أبيه.." [4] أي سار على نفس استعدادات ورسوم والده برقوق في إحياء الذكرى الشريفة، وفي المرحلة التالية درجت المصادر على قول "...عمل المولد السلطاني كما هي العادة في عمله كل سنة...." [5].

- سماط المولد:

عد سماط المولد أساس من أساسيات الاحتفالات ووضح ذلك في تعبيرات

(1) ابن تغري بردي: النجوم ج7 صـ311.
(2) المقريزي: السلوك ج3 ق2 صـ575ج3 ق3 صـ986؛ ابن اياس: بدائع ج1 ق1 صـ587.
(3) المقريزي: السلوك ج3 ق2 صـ828؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس ج1 صـ168، 375، 400.
(4) المقريزي: السلوك ج3 ق3 صـ986؛ ابن اياس: بدائع ج1 ق2 صـ558.
(5) المقريزي: السلوك ج4 ق2 صـ680؛ ابن اياس: بدائع ج2 صـ96 - 152؛ ابن حجر: انباء العز ج3 صـ268، 330؛ عبدالباسط بن خليل: الروض الباسم ج1 صـ404.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المصادر التي حافظت على ذكر خبر السماط،وكانت العادة أن يمد سماط الطعام بعد صلاة المغرب[1]، يليه أسمطة الحلوى السكرية من الجوارشات والعقائد ونحوها فتؤكل ويتخطفها الحاضرون[2]، وحافظت المصادر على التعرض لخبر السماط إذا ما حدث إضافة في رسومه المعهودة أو التقليل منها وتشير المصادر لذلك صراحة، مثلما كان الحال سنة 830هـ التي رصدت المصادر ما حدث فيه من تطور ذاكرين أنه في ربيع أول "عمل المولد بالقلعة، وعمل في سماط المولد عشر كباش حتى عد ذلك من النوادر..." [3]،كناية عن تواضع السماط عما هو معتاد، وفي سنة 842هـ يشير عبد الباسط ابن جليل إلى أنه "عمل المولد النبوي للسلطان أو كان حافلاً، وزاد فيه زيادات حسنة من كثرة الأسمطة والحلاوات..."[4]. وكثيرة هي تعبيرات المصادر التي اهتمت بخبر سماط المولد مثل " ومد السماط المعظم ثم الشراب المليح"[5] أو " وعمل فيه السماط الزايد في التناهي والإمعان من أحسن الألوان وأطيب الطعوم"[6]وكذلك " كان وقتًا حسنًا وأسمطة جليلة"[7] " وعملت المدة العظيمة والمشروب"[8]

(1) بطبيعة الحال كانت هناك استثناءات مثلما كان الحال سنة 829هـ حيث " مد السماط بعد العصر... وكانت العادة... أن يمد السماط بعد المغرب..."ابن حجر: انباء الغمر ج3 ص365.

(2) المقريزي: الخطط ج3ص372-373؛ السلوك ج4ق2ص738

(3) عبدالباسط بن خليل: نيل الأمل ج4 صـ210؛ المقريزي: السلوك 214 صـ838.

(4) نيل الأمل ج5 ص56؛ وينظر: ابن تغري بردي: النجوم ج15 صـ263؛ حوادث الدهور، ج1 صـ415، 447،؛ ابن اياس: بدائع ج2 صـ318 - 319، 323.

(5) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج1ص375

(6) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج4ص27وينظر أيضًا: لمقريزي: السلوك، ج4ق3ص1090 ابن تغري بردي: النجوم ج15ص263.

(7) المقريزي، السلوك ج4ق3ص1090

(8) ابن الصيرفي: نزهة النفوس ج4ص153

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

"وكان مولدًا عظيمًا إلى الغاية وسماطًا ملوكيًا وعظمة زائدة"[1] أيضًا "ومد السماط العظيم على العادة"[2] و" مد السماط على العادة فكان أمرًا عظيمًا"[3]، وكذلك "وكان مولدًا عظيمًا وسماطًا حافلًا وهيئة عظيمة"[4]

على أية حال، ظل المؤرخون يعبرون عن بهجة احتفالات المولد بجمل مثل " وكان حافلاً" [5]أو "وكان له يوما مشهود" [6] أو كان للسلطان "مولداً حافلًا" [7]، وكذلك "وكان مولداً حافلاً جداً" [8] و"وكان يومًا حافلًا"[9]، وهي التعبيرات التي ذكرها المؤرخون في عصر كل سلطان مما يدل على الاهتمام والتطور، من جانب السلاطين المماليك أجمع، حيث لم تكن تعبيراتهم تلك مقصورة على سلطان معين بل تحدثوا بها حين تعرضوا لذكر الخبر طوال الدولة.

ولعل كلمات "حافلاً مشهوداً، عظيمًا، حافلاً جداً،...، وغيرها من الكلمات التي استخدمتها المصادر طوال العصر للدلالة على صورة العناية بالاحتفالات والتي ظلت تستخدم طوال عصر الدولة (إلا إن ظهر ما يعكر صفو ذلك) والتي أوردناها بنصها من المصادر، شاهد على ما كانت تمثله احتفالات المولد النبوي من أهمية للشعب المصري الذي زادت ثقته في حكامه عن طريقها، ومن جانبهم

(1) ابن الصيرفي : إنباء الهصر ص21

(2) ابن الصيرفي: انباء الهصر ص140

(3) ابن الصيرفي: انباء الهصر ص213

(4) ابن الصيرفي: انباء الهصر ص 334

(5) ابن حجر: ابناء الغمر ج4 صـ137.

(6) المقريزي: السلوك ج4 ق3 صـ1164؛ ابن اياس: بدائع ج2 صـ220.

(7) ابن تغر بردي: حوادث ج1 صـ203؛ ابن اياس : بدائع ج2 صـ278.

(8) ابن اياس: بدائع ج2 صـ290.

(9) ابن اياس: بدائع ج 2،ص 338.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تنافس سلاطين المماليك في إدخال طقوس جديدة على هذه الاحتفالات وظلت في تطور مستمر طوال العصر الدولة.

على أية حال، كانت الخطوة الكبرى في مجال تطور احتفالات المولد النبوي الرسمية في عهد السلطان قايتباي وبالتحديد في ربيع أول سنة 888هـ[1] حيث كان السلطان "...شرع في عمل خيمة كبيرة مدورة برسم المولد الشريف، وقيل إن مصروفها ثلاثة وثلاثون ألف دينار، فنصبها في ذلك اليوم بالحوش..." وقد أطلق عليها السرادق النبوي، وقال المعاصرون أنه حين تنصب "...هذه الخيمة صارت السموات السبع ثمانية..."[2].

ولعل من الغرائب النادرة أن نعرف أن السلطان قايتباي قد أعد سرادقًا خاصا بالمولد النبوي يضم آلافا من القطع المطرزة المبطنة بالحرائر والديباج، وقد حليت بمختلف الزخارف والرسوم، وكتب عليها نماذج متعددة من آيات القرآن وأحاديث الرسول وقلائد الأبيات بخطوط أنيقة مختلفة الألوان والحجوم، وإذا كان الفن الزخرفي قد بلغ روعته في هذا العصر كما يلحظ من يشاهد آثاره الناطقة في دار الآثار العربية وفي مساجد السلاطين ومزارات الأولياء فإن هذا السرادق الحافل قد جمع من آيات الفن الإسلامي ما جعله حديث الناس في الشرق والغرب[3]. فقد كان هذا السرادق النبوي يشبه إيوانا فخمًا متسع الجوانب... متعدد الأرجاء، وهو على هيئة دائرة فخمة ذات أبعاد وأطوال تعلوه قبة شاهقة تنهض على أربعة

(1) ابن اياس: بدائع ج3 صـ200.

(2) الحسيني :حسين بن محمد (معاصر للغوري) نفائس المجالس السلطانية، تحقيق ونشر عبدالوهاب عزام (ضمن كتاب : مجالس الغوري) مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة) 2010م صـ89.

(3) محمد رجب البيومي : من تاريخ المماليك: مصر تحتفل بالمولد النبوي، مقال بمجلة الأزهر، عدد ربيع أول 1428هـ الجزء السادس السنة 80، ص 293.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

أساطين وقد زينت سماؤها بالمصابيح البلورية ذات الألوان المتعددة من أبيض وأحمر وأخضر فإذا تقابلت أنوارها نسجت للناظرين أبدع حلة من الضياء أما الطنافس والأرائك والنمارق والبسط فمما يخلب ويروع، وقد رتبت ترتيبًا بديعًا يرعى المقامات والمراسيم فالكراسي الذهبية لرجال الصف الأول من الحكام والرؤساء والكراسي الموشاة بالفضة لمن يليهم من صدور الأعيان ووجهاء القوم أما بقية المقاعد فقد كساها المخمل الناعم والديباج الوثير فأضحت رمزًا للبهجة والترف الحضاري الجميل، وقد جرت العادة أن ينصب هذا الإيوان الفخم في الليلة الأولى من ليالي ربيع الأنوار، ولا يقوم بتشييده وإعداده غير ستمائة بطل من أبطال الأسطول المصري قد دربوا تدريبًا كاملًا على إحكامه وإتقانه مع جمهرة من المهندسين وأرباب الفن والذوق[1].

أما مراسم الاحتفال في المدورة زمن قايتباي،فقد جرت العادة على أن يحضر الناس إلى السرادق كل ليلة من الليالي السابقة لليلة الأخيرة دون ترتيب، وإذ ذاك يسمعون الترتيل والوعظ، ويقومون بالذكر والأدعية ويتناولون الخفيف من الطعام والشراب ، أما الليلة الثانية عشرة فإنها تقليدها المتبع، ومنهجها المرسوم، إذ تقام الزينات في الشوارع والميادين، وتمر المواكب غاصة بالقراء والمنشدين، وتدوي الطبول في كل ساحة ثم تتوجه الجموع إلى السرادق، وفق ترتيب خاص، إذ يتقدم الموكب الأول الخليفة العباسي ومعه القضاة الأربعة وأصحاب المناصب الدينية في الدولة من علماء وفقهاء ثم يأتي في الموكب الثاني وفيه علية القوم من أمراء المماليك وقواد الجيش ووراءهم عظماء الدولة من أرباب الوظائف وحكام الأقاليم وأصحاب الحسبة والالتزام وفي الموكب الأخير رجال الشعب من العامة على ترتيب في الأقدار ومراعاة لمكانة كل رجل واستحاقه. أما طوائف المتصوفة

(1) ابن إياس، بدائع، ج3ص200.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وأصحاب الطريق فيظلون في الساحة الواسعة ينشدون ويقرءون حتى ينزل السلطان فيصافح رجال الموكب، ويسامر الضيوف من السفراء والأجانب، ثم يأذن لمن بالخارج من العامة أن يأخذوا أماكنهم في هدوء، فيهرع معهم المتصوفة إلى منتصف السرادق يرتلون وينشدون[1].

ثم يبدأ الاحتفال الرسمي على نحو يقرب من النحو الفاطمي إذ يرتل القرآن الكريم أولا، ثم يستمع الحاضرون إلى الوعظ الديني متجهًا إلى سيرة الرسول مولدًا وبعثة وغزو وجهادًا، انتصارا والتحاقًا بالرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه، ثم تمد الأسمطة الزاخرة بالأطعمة، فلا يتخلف أحد من الحاضرين عن تناول أطايب الطعام ولذائذ الشراب، ولك أن تقدر ما ينفق على هذا الحشد الزاخر من مال وما يذبح من حيوان، وما يبذل من هدايا، وما يخلع على العلية من تحف وأوسمة وما يفرق على المحتاجين من صدقات، بل إن الدراهم والدنانير كانت تنثر نثرًا على الجموع. وينتهي الحفل الساهر مع الفجر المشرق في فرحة غامرة وسرور عميم[2].

وكما مر – كانت المواقيت التي تحدد لإتمام مراسيم الاحتفال بالمولد تتم عادة من بعد الظهر حتى فجر اليوم التالي لكن حدث أن تم الاختصار فيها في بعض السنين، مثلما حدث سنة 829هـ[3]، وسنة 843هـ إذ عمل فيهما المولد "وفرغ وقت العشاء سواءً"[4]. يقول ابن حجر[5] : "ففي يوم الخميس سابع ربيع أول "عمل

(1) ابن إياس، نفسه، نفس الجزء والصفحة.؛ محمد رجب البيومي : من تاريخ المماليك: مصر تحتفل بالمولد النبوي، مقال بمجلة الأزهر، ص 293.
(2) ابن إياس، نفسه؛ محمد رجب البيومي، نفسه.
(3) ابن حجر : انباء الغمر صـ365 ج3.
(4) المقريزي: السلوك ج4 ق3 صـ1164.
(5) ابن حجر انباء الغمر ج4 صـ137.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المولد النبوي وابتدعوا به من بعد الخدمة، ومد السماط بعد العصر وفرغ بين العشاءين، وكانت العادة أن يبدأ به بعد الظهر ويمد السماط الغرب ويفرغ عند ثلث الليل..."، ومثلما كان سنة 842هـ[1] التي انفض فيها الحفل بعد صلاة المغرب" وسنة 847هـ[2] التي فرغ فيها المولد بعد العشاء، وكذلك سنة 874هـ[3].

- الأعمال المصاحبة للاحتفالات

يمكن إيضاح الأعمال المصاحبة لاحتفالات المولد النبوي على النحو الآتي: أعمال إدارية، عسكرية، منصب أمير الحج، الأعمال الخيرية، الديون، السجن، خلع وظيفة.

أ- وظائف عسكرية:

صاحب مراسم احتفالات المولد تقليداً للوظائف فجرت العادة أن يجلس من خلع عليه بوظيفة جديدة على رأس ميمنة السلطان [4]، وكذلك الإنعام بتقدمة الإمارة من رتبة لرتبة، مثل سنة 868 هـ فبينما السلطان يحتفل مع الحضور بالمولد النبوي "أنعم السلطان على سبطه الشهابي أحمد بن العيني بتقدمة ألف وقرر في إمرة الحج..." [5].

ب- تقليد أمير الحاج:

ومن ناحية أخرى، استغل المماليك احتفالات المولد النبويفي المحافظة

(1) ابن الصيرفي: نزهة النفوس ج4 صـ27؛ ابن تغري بردي: النجوم ج15 صـ23وانظر أيضًا مثال مشابه عند : المقريزي: السلوك ج4 ق3 صـ1090.

(2) ابن حجر :إنباء الغمر ج4 صـ208.

(3) ابن الصيرفي : إنباء الهصر صـ140، وكان لذلك أسباب إما عبث الجلبان أو فساد البدو أو فتن الأمراء وسيأتي تفسيرها لاحقًا.

(4) ابن اياس: بدائع ج3 صـ53، 449؛ عبدالباسط ابن خليل: الروض الباسم ج3 صـ 179 - 180؛ نيل الأمل ج6 صـ286؛ ابن تغري بردي: النجوم ج16 صـ360 .

(5) ابن اياس: بدائع ج2 صـ414.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

على إعلان السيطرة المملوكية على الحرمين، وهو ما يساعد على التأكيد على المحافظة على لقب السلطان بأنه خادم الحرمين الشريفين، إذا كانت احتفالات المولد النبوي أحد أوجه الدعاية المنشودة في أوساط الرعية، والظهور أمام جمهور المصريين، أنه بذلك خادم الحرمين الأول وخديمهم، وقد تمثل ذلك في تخصيص المماليك ليلة الاحتفال بالمولد النبوي لتعيين أمير الحاج ومن ثم الإعلان عن تجهيز القافلة، وقيادة حجج العالم الإسلامي وتأمينهم، علاوة على حماية الحرمين وخدمتهم وتيسير سبل العيش لأهلهما، والاهتمام بتسهيل حركة الحج إليها والتدخل برحمتهم من جور أشراف الحجاز وعربان الطريق المفسدين[1].

وهذا يعد احتفال المماليك بالمولد النبوي، والربط بين الذكرى النبوية وأمر رعاية الحرمين والحجيج شكل مهم من أشكال الواجهة الدينية التي كانت حلقة الوصل بين الحكام من المماليك وعامة الشعب بها للدين من سلطان روحي على العامة.

ففي ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وحين يكون الأمراء مجتمعين هم ومقدمي الألوف لخدمة السلطان والاحتفال معه في تلك الليلة، وعندما يقرر السلطان تعيين أحد الأمراء في إمارة الحج، تكون له حينئذ إشارة لطيفة، وهى أنه إذا دار المشروب يبدأ بالسلطان، وعندما ينتهي السلطان من شرب ما تيسر له، يشير إلى الساقي بإعطاء باقي مشروبه إلى من عينه أميراً على الحاج في تلك السنة، وعند وصول المشروب إليه يفهم الإشارة، ويقوم على أقدامه مسرعًا لتقبيل يد السلطان، وتهنئة الأمراء باستقراره في هذا المنصب الجليل[2].انفرد الجزيري بنقل

(1) للمزيد : مصطفى وجيه مصطفى، احتفالات الحج المصرية زمن سلاطين المماليك، دار عين (القاهرة) 2014م ص18 حيث توجد مناقشة تفصيلية حول هذا الموضوع.

(2) الجزيري: درر الفرائد صـ287.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تلك المعلومة صراحة، وهو ما نقله عن دفاتر والده في نهاية عصر الغوري، ولكن مصادر العصر كانت تكتفي بالإشارة إلى تعيين أمير الحج في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي دون ذكر تفاصيل [1].

– الأعمال الخيرية

وكان هناك أمر أخر أضفى على احتفالات المولد معنى سياسياً ظاهرا، علاوة على الجانب الديني والاحتفالي. وهو ما صاحب الاحتفال بالمولد النبوي من الإعلان عن الأعمال الخيرية للسلطان وخاصة فيما يتعلق بالحرمين، وهو الأمر الذي لم تغفله المصادر[2]، حيث نقل المعاصرون في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي سنة 885هـ، وبعد أن تكامل المجلس بالقضاة الأربعة والأمراء، وانتهى أمر السماط، حضر كاتب السر ابن مزهر، وأبو البقاء ابن الجيعان وخشقدم الزمام، وخلفهم ستة أطباق على رءوس ستة طواشية، فحطت بين يدي السلطان بحضرة القضاة والأمراء، وكشفوا عنها فإذا فيها ستون ألف دينار ذهب عين، فأخذ كاتب السر يقول في المجلس العام إن السلطان لما حج في العام الماضي، رأى أهل المدينة المشرفة في فاقة زائدة من عدم الأقوات، فنذر السلطان الأشرف قايتباي على نفسه أن يفعل بالمدينة المشرفة خيراً يكون مستمراً من بعده، وقد رصد لذلك مال من حل ماله من دون مال بيت مال المسلمين ليشتري به ما يوقفه بعه على فقراء المدينة من ضياع وأماكن وربوع، وغير ذلك، مما يصنع بالمدينة في كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك، كما يفعل بمدينة الخليل عليه السلام "فارتفعت له

(1) ينظر: ابن اياس: بدائع ج2 صـ364، 414، ج4 صـ58، 66، ج3 صـ135، صـ181 – 1821؛ الجزيري: درر الفرائد صـ287.

(2) ابن اياس: بدائع ج3 صـ164 – 165؛ ابن الصيرفي: انباء الهصر صـ478؛ عبدالباسط بن خليل: نيل الأمل ج7 صـ343؛ السخاوي: النيل التام صـ363.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الأصوات بالدعاء في ذلك المجلس.." [1].

هذا الحرص من السلطان قايتباي في إعلان ما رصده من أعمال خيرية بالمدينة الشريفة مع تعيين أمير الحاج في احتفاله بليلة المولد النبوي، مرجعه الغطاء الديني الذي حافظ المماليك على رونقه فالمصادر تشير إلى أن السلطان قايتباي نذر في نفسه إبان تأدية فريضة الحج على إقامة عمل خيري بالمدينة النبوية، ورغم ذلك لم يعلن منه إلا إبان احتفاله بالمولد النبوي، وهنا يظهر المغزى السياسي العميق إلى جانب المغزى الديني، ويستند هذا المغزى السياسي إلى مكانة خاتم السنين والمرسلين عند جماهير المسلمين، وهو الأمر الذي تكونت منه أرضية قواعد السياسة المملوكية التي أرسبت في هذا المجال، كما في مجالات أخرى عديدة، من قبل السلاطين المماليك.

على أية حال، كان هناك أعمال خيرية أخرى من جانب سلاطين المماليك حافظوا على الإعلان عنها إبان احتفالات المولد النبوي، ومنها الإفراج عن بعض المساجين وخاصة من حبس منهم على دين، قبل سنة 835هـ التي احتفل فيها السلطان برسباي بالمولد النبوي الشريف في موعده، وبينما الحضور يتابعون مراسم الاحتفال "...رسم السلطان بخلاص من سجن على دين..." [2]. كما كانت تصدر أوامر السلاطين في احتفالات المولد النبوي بتفرقة القمح من المخازن السلطانية لمشايخ الزوايا لكل واحد حسب حاله وقدر فقرائه، كل ذلك خارج عما كان لهم من الرواتب في كل سنة [3].

(1) ابن اياس: بدائع ج3 صـ164 – 165؛ ابن الصيرفي: انباء الهصر صـ478؛ عبدالباسط بن خليل: نيل الأمل ج7 صـ343؛ السخاوي: النيل التام صـ363.
(2) ابن اياس: بدائع ج2 صـ140.
(3) ابن تغري بردي: النجوم ج12 صـ74.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

– مشاركة الضيوف الأجانب الاحتفالات :

وبطبيعة الحال كانت احتفالات المولد النبوي أكثر روعة وأبهة وبهجة إذا ما كان في مصر سفير، أو وزير أو مبعوث من قبل أحد الحكام، واللافت للنظر أن كتاب الأخبار كانوا يتفهمون الأمر ودونوه، وقد أفاد المقريزي[1] في حوادث سنة 823 هـ أن احتفالات المولد النبوي في العام المذكور كانت ليلة الجمعة سابع شهر ربيع أول، وكان المولد حافلاً وحضر الأمراء "...والقضاة ومشايخ العلم وأهل الدولة، ورسل ابن عثمان، وابن الفنزي، وكان وقتًا جليلاً..."، وهنا المقريزي يفيد بوجود رسل من عند سلطان بني عثمان والتي كانت علاقة العثمانيين والمماليك في ذلك الوقت طيبة ويسودها تبادل الهدايا ونصرة المسلمين، ثم أشار إلى وجود ابن حاكم قبرس، والتي كانت تدين بالولاء منذ عام 830هـ لدولة سلاطين المماليك[2]. وفي عام 864هـ عمل السلطان احتفالات المولد النبوي بالحوش السلطاني على عادته في الفخامة والترتيب، وكان في الحضور حاكم الفرنجي ابن صاحب قبرس، وشاهد ما يقوم به السلطان والمماليك من ترتيب في الحفل ونفقات وتوسيعات وخلع وقرارات، وقد فسر ابن تغرى بردى[3] السبب قائلًا "... ولعل السلطان ما أحضره في هذا المجلس إلا ليريه عز الإسلام وذل الكفر...". وفي سنة 890هـ كانت احتفالات المولد النبوي بالقلعة، ونصب الخيمة العظيمة "السرادق الأشرفي، بالحوش، وكانت الاحتفالات على جانب كبير من الفخامة بسبب وجود ابن ملك التجار أحمد بن محمود بن كاوان، في مصر ودعوة السلطان

(1) المقريزي: السلوك ج4 ق1 صـ524.

(2) ينظر التفاصيل عند : صالح بن يحيى (ق9هـ)، تاريخ بيروت، نشر لويس شيخو (بيروت)1927م ص221-224.

(3) ابن تغري بردي: النجوم ج16 صـ136.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

له لحضور احتفالات المولد النبوي، وفي نهاية الحفل أكرمه السلطان وخلع عليه [1]. ويفيد ابن إياس في حوادث سنة 915هـ وسنة 916هـ [2]أن السلطان الغوري طور في طقوس الاحتفالات بسبب وجود سفراء ابن عثمان فقال ابن إياس ربيع الأول سنة 915هـ "... في يوم الجمعة حادي عشر عمل السلطان المولد النبوي، واجتمع الأمراء والقضاة الأربعة على العادة، وحضر فرقد بيك بن عثمان،.... وفي ذلك اليوم لبس السلطان الشاش والقماش، ولم يكن عادة أن السلطان يلبس الشاش والقماش في المولد، وإنما فعل ذلك لأجل ابن عثمان، وأظهر السلطان في ذلك اليوم غاية العظمة بخلاف كل سنة..." هذه العبارة الأخيرة التي ذكرها ابن إياس يُغنينا عن شرح عدة صفحات للأمر إذ يؤكد على أمور منها أن:

- احتفالات المولد في حضور السفراء أو شخصيات أجنبية كانت تتميز بجودة وترتيب وتطوير أكثر من الاحتفالات المعتادة في كل سنة على الرغم من فخامتها في كل سنة أيضـاً.
- أن الاهتمام باحتفالات المولد في حضور سفراء الدول كان يؤدى بالسلطان إلى فعل أمور لم يكن يفعلها قبل ذلك، وهذا التطور في الرسوم مرده سياسي بحت وليس ديني كما أوضح ابن إياس.
- حرص السلطان على حضور الأمراء الكبار الحفل في حضور السفراء كما وضح في خبر ابن إياس سنة 916هـ فرقد بك ابن عثمان كان حاضراً في المولد، وكان المولد حافلاً "وحضر.. وسائر الأمراء المقدمين..."[3] وكأن السلطان جعل من الحفل عرض عسكري، بسبب تطور العلاقات السياسية

(1) عبدالباسط بن خليل: نيل الأمل ج7 صـ413؛ ابن اياس : بدائع ج3 صـ216.
(2) ابن اياس: بدائع، ج4 صـ184.
(3) ابن اياس: بدائع، ج4 صـ184.

بين المماليك والعثمانيين آنذاك، كما يظهر أمام سفراء العالم الإسلامي مقدار العناية بمظاهر الدين وسنين الأولين والعناية بذكرى سيد المرسلين وخاتم النبيين خاصة مع وجود الخلافة وحماية الحرمين.

- احتفالات مصاحبة:

أ- مولد خوند

ومن جهة أخرى، ظهرت في مصر زمن سلاطين المماليك في العقود الأخيرة احتفالات أخرى للمولد ولكن كان هذا الاحتفال طارئـًا، وهو أنه في صبيحة اليوم التالي للمولد يعمل السلطان احتفال آخر للمولد ولكن باسم زوجته، ويرجع الفضل في ابتداع ذلك إلى السلطان قايتباي فكان ذلك في ربيع أول سنة 867هـ، فبعد ما عمل السلطان المولد النبوي في القلعة على العادة، أصبح السلطان من غده فعمل مولداً آخر لزوجته لخوند شكرباي الأحمدية، ولم يحضره القضاة ومقدمي الألوف وعد عمله من النوادر [1]. وتكرر ذلك في العام التالي أي سنة 868هـ إذ عمل المولد في القلعة على العادة ثم عمل في ثانية مولد خوند أيضـًا على العادة التي استجدها السلطان [2]، ويشير أبو المحاسن في حوادث سنة 869هـ أن السلطان بعدما انتهى من عمل المولد السلطاني عمل مولد خوند الأحمدية زوجة السلطان من الغد بالحوش[3]، وباستثناء هذه السنوات الثلاث لا نجد خبر عن احتفالات المولد النبوي الخاصة بـ"خوندات" السلاطين والتي عدها المؤرخون من النوادر.

(1) ابن تغري بردي: النجوم ج16 صـ274؛ عبدالباسط بن خليل: نيل الأمل ج6 صـ156؛ الروض الباسم ج2 صـ151،؛ ابن اياس: بدائع ج2 صـ402.

(2) عبدالباسط بن خليل : نيل الأمل ج6 صـ181؛ ابن تغري بردي: النجوم ج16 صـ283؛ ابن اياس: بدائع ج2 صـ414.

(3) ابن تغري بردي: حوادث ج3 صـ485.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ب- مولد الخليفة

على أية حال كان هناك احتفالاً آخر طارئًا ابتدعه أيضًا السلطان قايتباي ضمن سلسلة احتفالات المولد، وهو "مولد الخليفة" والذى ظهر سنة 889هـ، ففي ربيع أول منها رسم السلطان بعمل مولد عند مشهد السيدة نفيسة (رضي الله عنها (، ورسم للخليفة-المتوكل الثاني بن المستعين- بأن يحضر به، والقضاة الأربعة وأعيان الناس، واجتمع هناك قراء البلد قاطبة ومد هناك أسمطة حافلة، هو أول من أحدث هذا المولد بالمشهد النفيسي وصار يقال له مولد الخليفة، وكان من العادة أن يعمل السلطان احتفالات المولد السلطانية بعد مولد الخليفة [1]، وهو ما تكرر سنة 890 هـ[2].

وعدا ذلك لا نجد خيراً لمولد الخليفة بعد عهد قايتباي، وهو ما يمكننا أن نقول أن مولد خوند ومولد الخليفة انفرد بهم قايتباي في سنواته الأخيرة، حيث بلغ عهده شوطًا كبيراً في الاحتفال بالمولد النبوي، وطوال عصر الغوري حتى نهاية الدولة لا نجد خبر غير خبر الاحتفال السلطاني بالمولد.

ويغلب على الظن أن الروح المملوكية هي التي هيأت ظهور مثل هذه الحفلات والرسوم في البلاط المملوكي، فمن الجدير أن نذكر هنا أن الدولة المملوكية كانت دولة بحاجة إلى شرعية متجددة، فكانت الاحتفالات بالنسبة للمماليك مناسبة لتأكيد شرعيتهم، حيث كان معظمها يقام عادة في الأعياد الدينية فقد عرف المماليك كيف يصبغون الأعياد بصبغة إسلامية، وكان هذا دليلاً قويًا على طابع المماليك الجديد في الاحتفالات. ومن ناحية أخرى، نلاحظ أن ثراء مصر كان سببًا في ظهور احتفالات المماليك ورسومهم، وحرصهم على مشاركة العامة

(1) ابن اياس: بدائع ج3 صـ206.
(2) ابن اياس: بدائع ج3 صـ216.

فيها، وهو الذي أحدث تغييراً في حياة سلاطين المماليك، فكان حب البذخ يجد سبيله إلى احتفالاتهم بالمواسم والأعياد، ولقد كان من الأغراض الرئيسية للسياسة المملوكية توطيد سلطتهم في المنطقة العربية بكل الطرق الممكنة، وقد تهيأ الشعب المصري لأن تناله بسهولة أبهة هذه الاحتفالات، فكانت وسيلة ناجحة جداً للتأثير فيه. فجميع احتفالات المماليك كانت مطبوعة بطابع خاص من الأناقة والبذخ.

المبحث الثاني

احتفالات العامة

يمكن إبراز مظاهر احتفالات العامة (الشعبية) على النحو الآتي :

كان عامة الناس يترقبون أيضـًا الاحتفال بالمولد النبوي، فيعدون الولائم لذلك، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور ويزيدون في العبرات ويعتنون بجراءة مولده الكريم، كذلك أعتاد كثير من الناس إحياء الذكرى الكريمة في بيوتهم، وتطرف بعضهم في هذه الحفلات فجاءوا بالمغاني وآلات الطرب وتسابقوا في اللعب بالدف والشبابه وأقيمت أمثال هذا الاحتفال بالمولد النبوي للنساء خاصة فتكثر البدع والمخالفات، وجرت العادة أن المدعوين إلى مثل هذه الحفلات "ينقطون" صاحب الدار ببعض الدراهم من باب المجاملة، على أن يردها لهم في إحدى حفلاتهم أو أفراحهم المقبلة [1].

ولكن يجب التأكيد هنا على أن معلومات كتاب الأخبار عن احتفالات العوام بالمولد النبوي تعد قليلة،وفي أحيان كثيرة تصل إلى حد الندرة، ولا تشير إلى احتفال العامة إلا إذا ارتبط بحادثة، مثلما تناقل كتاب الأخبار خبر احتفال بعض أهالي القاهرة بالمولد النبوي سنة 790هـ، حيث ذكروا أنه في ليلة الخميس ثالث

(1) سعيد عبدالفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، (القاهرة)، 1992م، صـ199.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

عشرة ربيع أول، عمل بعض أهل مصر مولداً بإبراهيم ابن الجمال وأخيه وصبيانه، فلما قاموا إلى السماع سقط البيت عليهم فمات ابن الجمال وآخرون (وكان إلى ولدى ابن الجمال المنتهى في صناعتهما) [1]. وكما مر علينا فإن ابنا الجمال هما من كان يحيون احتفالات المولد السلطانية وبما أن العامة كانوا يفعلون الأمر نفسه، فإن العامة كانوا يحاكون السلطة في احتفالات المولد.

والراجح من المصادر أن اهتمام العامة بالمولد النبوي وإقامتهم الاحتفالات انتشرت بصورة كبيرة، يؤكد ذلك ابن الحاج ما شاهده ورواه سنة 738هـ وانتقاده لكثير من الطقوس التي صاحبت الاحتفالات مع التأكيد على أنه لم ينكر احتفالات العامة بالمولد النبوي ولكنه اعترض على بعض الأمور التي صاحبت هذه الاحتفالات.ولفت الانتباه إلى ضرورة أن يكون الاحتفال بالشهر مرتبط بزيادة الأعمال الزاكيات والصدقات إلى غير ذلك من القربات. فقال: "... أنه إذا دخل هذا الشهر العظيم يسارعون فيه إلى اللهو واللعب بالدف والشبابة، ويا ليتهم عملوا المغاني ليس إلا، بل يزعم بعضهم أنه يتأدب فيبدأ المولد بقراءة الكتاب العزيز، وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالهنوك والطرق المهيجة لطرب النفوس فيقرأ عشراً..." [2]. ويتحسر ابن الحاج ذاكرًا أنه يا ليت ذلك لو كان يفعله سفلة الناس ولكن عملت البلوى، فنجد بعض من يُنسب إلى شيء من العلم أو العمل يفعله وكذلك بعض من ينسب إلى المشيخة أي من هم في تربية المريدين وكل هؤلاء داخلون فيما ذكر[3]. ويفهم من حديثه أن بعض الأهالي كانوا يقيموا المولد بدون مغاني وسماع فبعد أن انتقد ما يصاحب احتفالات المولد من المغاني وغير ذلك

(1) المقريزي، السلوك ج3 ق2 صـ576؛ابن حجر: انباء الغمر، ج1 صـ351؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس ج صـ167 – 168.

(2) ابن الحاج: المدخل إلى الشرع الشريف، المكتبة التوفيقية (القاهرة) د.ت ج2 صـ5.

(3) ابن الحاج: المدخل ج2 صـ6.

قال "...وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع، فإن خلا منه، وعُمِل طعاماً فقط، ونوى به المولد، ودعا إليه الإخوان، وتسليم من كل ما تقدم ذكره..." [1]، (ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر بخيل)

وهذا النص الذى ورد عند ابن الحاج له دلالات هي :

- تبدأ الاستعدادات للاحتفال بالمولد منذ بداية الشهر ربيع أول.
- محاكاة العامة للسلطات الحكومية (سلاطين وأمراء) في فخامة الاحتفالات وعظمتها.
- تقتصر الاحتفال بالمولد عند البعض على إعداد الولائم ودعوة الأقارب والأصحاب للطعام.
- أن ابن الحاج لم يذم المولد، بل ذم ما يحتوى عليه من محرمات ومنكرات[2].

- دوافع العامة:

تتلخص دوافع العامة في عدة أمور منها : أن بعض العوام كان يفعل المولد لغرض اقتصادي وهو أن له فضة (نقوط) عند الناس متفرقة كان أعطاها في بعض الأفراح أو المواسم، ويريد أن يستردها ويستحى أن يطلبها بذاته، فيعمل المولد حتى يكون ذلك سبباً لأخذ ما اجتمع له عند الناس [3] ومنهم من يعمل المولد لأجل جمع الدراهم، وهم على قسمين : القسم الأول أن تكون له دنيا ويتظاهر بأنه من الفقراء المساكين فيعمل المولد لتزيد دنياه بمساعدة الناس له. "... ووجه آخر وهو أنه يطلب بذلك ثناء الناس عليه والنفس تجد المحامد كثيراً، وهذا فيه

(1) ابن الحاج: المدخل، ج2 صـ10.
(2) هذا الرأي هو ما رواه : السيوطى: حسن المقصد، صـ61. في مناقشته لحديث ابن الحاج عن المولد.
(3) ابن الحاج : المدخل، ج2 صـ24.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ما فيه، القسم الثاني منه، وهو أن يكون له مال إلا أنه ممن يخاف الناس من لسانه وشره فيعمل المولد حتى يساعده الناس تقية على أنفسهم وأعراضهم... القسم الثاني من التقسيم الأول وهو أن يكون ضعيف الحال فيريد أن يتسع حاله فيعمل المولد لأجل ذلك. الثاني منه أن يكون من الفقراء لكن له لسان يُخاف منه ويُتقى لأجله فيعمل المولد حتى يحصل له من الدنيا ممن يخشاه ويتقيه حتى أنه لو تعذر من حضور المولد الذي يفعله أحد من معارفه لحل به من الضرر ما يتشوش به وقد يؤل ذلك إلى العداوة، أو الوقوع في حقه في محافل بعض ولاة الأمور قاصداً بذلك حظ رتبته بالوقيعة في، أو نقص ماله إلى غير ذلك مما يقصده من لا يتوقف على مراعاة الشرع الشريف..." [1].

– موالد النساء[2]:

والمدهش في احتفالات العامة أنه كانت هناك موالد خاصة بالرجال وأخرى للنساء، وينكر ابن الحاج في المدخل، حضور النساء المولد، وتأثرهم بموالد الرجال، لذلك حاول التقليد، وابتدعوا احتفالات مولد النساء، فبعد أن أنكر المحدثات والمنكرات في مولد الرجال اعطانا صورة عن موالد النساء وانتقدها من جهة أن بعض الرجال يتطلع عليهن من بعض الطاقات ومن السطوح، أضف لذلك أنهن اقتدين بالرجال في الذكر جماعة برفع أصواتهن كما يفعل الرجال"... وأصوات النساء فيها من الترخيم والنداوة ما هو فتنة في الغالب في الواحدة فكيف بالجماعة فتكثر الفتنة في قلوب من يسمعهن الرجال أو الشبان وأصواتهن عورة فإن كان البيت الذى يُعمل فيه المولد على الطريقة أو على السوق زادت الفتنة وعمت البلوى لكثرة من يسمع أو يرى ذلك في الغالب. كما أشار أن النساء في موالدهم

(1) ابن الحاج: المدخل ج2 صـ24.
(2) ابن الحاج: المدخل ج2 صـ11 – 14.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يصفقون بالأكف كما "...أن بعضهن يرقصن.... [1] والمدهش أن أنهن لا يجتمعن للمولد إلا بحضور من يزعمن أنها شيخة على عرفهن وقد تكون وهو الغالب فمن تدخل نفسها في التفسير لكتاب الله عز وجل فتفسر وتحكى قصص الأنبياء (صلوات الله عليهم) وتزيد وتنقص... [2]. ورغم انتقادات ابن الحاج فإن نقده يعطينا صورة عن اتجاه النساء لتقليد الرجال في احتفالاتهم.

– الموالد في المقابر[3]:

وفي إطار تعدد أماكن احتفالات العوام بالمولد كانت المقابر إحدى الأماكن التي حرص المصريون من العامة على احياء ذكرى المولد فيها، حيث كان هناك فريق من عامة القاهرة :"... آل أمرهم إلى الخروج إلى المقابر وهتك الحريم هناك بسبب اجتماع الرجال والنساء والشبان مختلطين على الواعظ أو الواعظة وتنصب لهم المنابر ويصعدون عليها يعظون ويزيدون وينقصون ويتمايلون كما قد علم من أفعال الوعاظ وزعقانهم بتلك الطرق المعروفة عندهم والهنوك المذمومة شرعًا التي لا تليق بالمؤمنين مفتونة قلوبهم وقلوب من أعجبهم شأنهم ويتمايلون مع كل صوت ويرجعون بحسب حال ذلك الصوت مع التكسير والضرب بأيديهم وأرجلهم على المنبر والكرسي وإظهار التحزن والبكاء وهو خالٍ من البكاء والخشية وقد يكون عنده شيء من ذلك وهو عرى (عريان/ جاهل) عن التوفيق فيه"[4].

(1) ابن الحاج : المدخل صـ12.
(2) ابن الحاج: المدخل، ج2، صـ12.
(3) لم تكن المقابر أو القرافة خاصة بالأموات بل كانت متنزهًا لأهل القاهرة، وعنها ينظر ابن بطوطة، الرحلة ص 31-33..
(4) ابن الحاج: المدخل، ج2 صـ15 – 16

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

– صفات المغنون:

ومن جهة ثانية أعطانا ابن الحاج الصفات التي أعتاد العامة على أن تكون في المغنى الذي يحيى ذكرى المولد : "...أن يكون المغنى شاباً نظيفاً الصورة حسن الكسوة والهيئة أو أحد من الجماعة الذين يتصنعون في رقصهم، بل يخطبونهم للحضور فمن لم يحضر منهم ربما عادوه... وهم (المغنون) يأتون إلى ذلك الاحتفال شبه العروس التي تجلى... وهؤلاء عليهم العنبر والطيب يتخذون ذلك بين أثوابهم ويتكسرون مع ذلك في مشيهم إذ ذاك وكلامهم ورقصهم[1].

– أجازة المولد

نظرًا لأهمية الاحتفال بالمولد النبوي في مصر المملوكية، كان بعض المعلمين والفقهاء يعطون تلاميذهم عطلة من الدراسة في هذا اليوم، (وهو نفس الأمر الذي تتبعه الحكومة المصرية في الوقت الحالي) ويشير الأدفوي لذلك في كتابه الطالع السعيد بأن أبا الطيب محمد بن إبراهيم السيتي المالكي نزيل قوص أحد العلماء العاملين "كان يجوز بالمكتب في أيام الاحتفال بالمولد النبوي ﷺ فيقول: "يا فقيه هذا يوم سرور أصرف الصبيان فيصرفنا"[2].

– مناقشات الفقهاء

لعل الرسالة اللطيفة التي أعدها السيوطي بعنوان "حسن المقصد في عمل المولد" والتي جرى فيها على إثبات أهمية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف موضحاً أن الاختلاف بين الفقهاء في ذلك كان اختلافاً في كيفية الاحتفالات، وما جاء به فيها من أقوال المؤرخين والفقهاء وآرائهم في عمل المولد وما يستحدث

(1) ابن الحاج، المدخل، ج2 ص 24.

(2) ينقل :السيوطى: حسن المقصد، صـ67. عن الأدفوي في الرسالة التي خصها لمناقشة أمر المولد.

فيه من مغاني وسماع،... وغير ذلك، دليل على انتشار احتفالات المولد بين عامة القاهرة بالخصوص، لأن الفتاوى كلها جاءت متعلقة بأحوال العامة في المولد.

ومن ناحية أخرى، نلحظ من رسالة السيوطي أن احتفالات العامة بالمولد لم تنقطع أبداً ففي رسالته جاء السيوطي بقول الشيخ تاج الدين اللخمي في عمل المولد، وكان صيغة السؤال الذى أورده السيوطي على لسان اللخمي كالتالي قال اللخمي "أما بعد فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذى يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه المولد"[1].

ويلحظ في صيغة السؤال أن الأمر يتعلق باحتفالات العامة وليس السلطة، ومما يؤكد أن المناقشات كلما كانت بصدد احتفالات العامة، أن السيوطي أيضاً جاء برأي ابن حجر في ذلك فقال "...وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصه : أصل عمل المولد بدعة... ولكنها مع ذلك فقد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن، وتجنب ضدها، كان بدعة حسنة وإلا غلا" [2].

وبعد أن ذكر أدلة على جواز عمل المولد والاحتفال به وقال "... وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة، والإطعام، والصدقة، وإنشاء شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير، والعمل للآخرة وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك، فينبغي أن يقال : ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضى السرور بذلك اليوم، لا بأس بإلحاقه به[3].

(1) السيوطي: حسن المقصد صـ46 – 47.
(2) السيوطى: حسن المقصد صـ63.
(3) السيوطى: حسن المقصد، ص 64.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ومن المؤكد أن حديث ابن حجر كان خاص باحتفالات المولد التي يقيمها العامة لأن ابن حجر كان ممن يدعوهم السلطان لحضور الاحتفال الرسمي السلطاني بالمولد النبوي، لأن شيخ الإسلام والفقهاء كانوا أساس الحضور في احتفالات السلطان، ولم تغفل المصادر ذلك وذكرت صراحة في الاحتفالات "... وكان المشار إليه في المجلس العلامة الشهاب ابن حجر..."[1]، ولكن في الوقت نفسه يدل هذا النقاش في مسألة احتفالات المولد على كثرة حفلاتها وانتشارها وشيوعها بين العامة، كما يدل على اختلاف طقوس الاحتفالات بين العامة أنفسهم.

المبحث الثالث

العوامل المؤثرة على احتفالات المولد النبوي

وإذا سأل سائل لماذا أصر المماليك على هذه الاحتفالات واجتهدوا في تطوير طقوسها، مع أن سببها لا يمت إلى العقيدة وإلى شعائر الدين بصلة، فالراجح أن دافع المماليك من وراء هذه الاحتفالات هو ضمان الولاء والبراء،حيث كان هذا الاحتفال بمثابة عيد قومي، وذلك بسبب طبيعة المصريين وميلهم للمرح والسرور؛ حتى قال بن بطوطة: "إن أهل مصر ذو طرب وسرور ولهو "[2].وهو هنا يشير إلى حقيقة هامة مؤداها أن احتفالات أهل مصر في ذلك الزمان كانت كثيرة من ناحية، كما تمكننا من التعرف على جانب من جوانب حياة المصريين اليومية في عصر سلاطين المماليك من ناحية أخرى،ودور الحكام في إقامة الاحتفالات وتحديد الأعياد والمبالغة في الاهتمام بمظاهرها الصاخبة في محاولة لتغطية الواقع المرير وحجب أنين شعوبهم وهى ترزخ تحت وطأة الظلم والفاقة.

(1) ابن اياس: بدائع ج2 صـ200.
(2) ابن بطوطه :رحلة،ص53.

وعلى الرغم من كل هذا الاهتمام من جانب المماليك، فإن الباحث في التاريخ عامة، والتاريخ الاجتماعي بخاصة، يجد أن لا شيء يسير على وتيرة واحدة، فثمة أسباب لابد أن تؤدي إلى حوادث معينة تعكر من صفو الظاهرة، وتؤدي إلى خلل ما في بعض الاتجاهات. وفي موضوعنا هنا على سبيل المثال نجد تأثير الظروف السياسية من فتن وحروب،والظروف الأمنية، لاسيما الخاصة بفساد الجلبان، علاوة على الظروف الطبيعية مثل الطاعون والرياح في الموضوع لتؤثر كلها بالسلب، في بعض الأحيان،على احتفالات المولد النبوي. ويمكن إيجازها في :

– فتن الأمراء:

كانت فتن الأمراء وصراعاتهم صورة من صور الاضطراب التي أثرت سلبًا على جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية زمن المماليك البرجية بالخصوص، مع العلم أن الاضطراب السياسي الداخلي لم يكن ظاهرة مقصورة على عصر الجراكسة، وإن كان هو اللون الغالب فيها، وإنما كان ظاهراً طوال العصر. ويفسر أحد المعاصرين[1] ذلك في ضوء المفاهيم السياسية للدولة " والتي جعلت العرش من حق الجميع، وهو الأمر الذي بمقتضاه تنافس أمراء المماليك على عرش السلطنة الذي اعتبره حقًّا للأقوى، وبين الآونة والأخرى كان بعض الأمراء الطموحين يترجمون طموحهم إلى عمل عسكري في شوارع القاهرة التي تتحول إلى ميدان قتال لجيوش المماليك المتحاربة"، وقد تمتد على مدى عدة أيام تضطرب خلالها الأحوال، وتموج البلاد بالفوضى والفزع، وسرعان ما تخلو الطرقات من روادها؛لتكون ميداناً لقتال فرسان المماليك الدموية[2].بعد تراجع

(1) قاسم عبد قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار الشروق (القاهرة)، 1994م.، ص72

(2) ابن أيبك : أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت. 709هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج8 تحقيق أولرخ هارمان، (القاهرة) 1971م، ص 348؛ المقريزي: السلوك، ج1 ص803؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج10 ص159، ج11 ص174

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

قوة السلطة المركزية لدولة سلاطين المماليك في العقود الأخيرة من عمرها، وتلاشي عدد كبير من مظاهرها، لما ساد الدولة من اضطراب أواخر عصر البرجية وكانت الدولة كلها تنهار فكان من الطبيعي أن تتأثر الاحتفالات.

مثال ذلك ما حدث سنة 813هـ من التعجيل باحتفالات المولد في غير شهره، وعملها السلطان فرج بن برقوق في الحادي عشر من صفر "...لأجل سفر السلطان إلى الشام..."[1] بسبب فتن الأمراء ضده وخروج الشام عن طاعته، وقد بيّن المقريزي[2] وضع الفتن والثورات في عصره قائلاً : "...هذا مع تواتر الفتن واستمرارهم بالشام ومصر، وتكرار سفره إلى البلاد الشامية، فما من سفره إلى الشام..، فيخرب... ثم يعود وقد تأكدت أسباب الفتنة وعادت أعظم ما كانت... وقتل في الفتن بمصر مدة أيامه خلائق لا تدخل تحت حصر...". وهو ما يبين الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت عليها البلاد في أوقات الفتن. وهو الأمر الذي يستحيل معه أن تقام الاحتفالات بشكلها المعتاد الطيب في مثل تلك الظروف. وفي ربيع أول سنة 872هـ يقول ابن إياس[3]: "...عمل السلطان المولد النبوي وكان غير حافل...". بسبب تربص كل طرف للآخر من الأمراء.

على أية حال، كان لاستمرار الوضع المتردي في سنة 904هـ [4] أن زادت الظروف السياسية المتمثلة في فتن الأمراء ومكائد كل طرف للآخر، في قلة من

(1) المقريزي: السلوك ج2 ق1 صـ134؛ ابن اياس: بدائع ج1 ق2 صـ804.

(2) المقريزي: السلوك، ج4 ص226 – 227؛ وحتى ابو المحاسن نفسه بالرغم من دفاعه الكثير عن الظاهر فرج يقول عن ايامه "...ثم وقع فتن كثيرة بين الأمراء الظاهرية، وتداول ذلك بينهم سنين عدة، وأفنى بعضهم بعضا قتلا وحبسا. وخربت غالب بلاد مصر في تلك الايام واستمر ذلك وزاد.." ابن تغري بردي : مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب (القاهرة)، 1997م.، ج 2 ص 123

(3) ابن اياس: بدائع ج2 صـ460.

(4) ابن اياس: بدائع ج3 صـ400 – 401.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

حضر من الأمراء الكبار، تلك التربة الخصبة للجلبان لممارستهم أذاهم في حق الناس، حيث يشير ابن إياس أنه بينما كان الاحتفال بالمولد"...وقع في ذلك اليوم من المماليك الجلبان في حق الأمراء والفقهاء ما لا خير فيه، فرجموا الأمراء من الطباق بالحجارة، ورموهم بالماء المتنجس بالأقذار، وخطفوا عمائم الفقهاء وكان يوماً مهولاً..."[1]. وفي سنة 878هـ كان للظروف السياسية دوراً مهماً في قلة الحضور الرسمي من قبل الأمراء للاحتفالات لأن بعضهم خرج في تجريدة عسكرية لردع فساد العربان، لذلك لم يحضر الاحتفالات من الأمراء المقدمين سوى ثلاثة أنفار[2]، وهو نفس الحال في سنة 891هـ لم يكن في احتفالات المولد غير ثلاثة أمراء مقدمين لأن كان أكثر الأمراء غائباً في تجريدة ابن عثمان [3] وتكرر نفس الأمر وتسببت الحملات العسكرية ضد ابن عثمان سنة 894هـ في قلة حضور الأمراء لاحتفالات الحج حيث "...وكان غالب الأمراء مسافر في التجريدة بحكم النصف عن العادة..." [4].

– فساد الجلبان:

مما سبق يتبين أن حوادث وفتن الأمراء كانت لها تأثير ملحوظ على الاحتفالات، بيد أن هذه الحوادث العنيفة والفتن زاد معدل وقوعها في الشطر الأخير من العصر، وزاد معها اضطراب الأسواق والخلل الاقتصادي بعدما صارت الاضطرابات السياسية هي نغمة الحياة اليومية بمصر وغدا الاستقرار – السياسي أو الاقتصادي– نغمة استثنائية تستحق التسجيل!! مع الأخذ في الاعتبار أن القلاقل التي كانت تحدث في الدولة الأولى كانت بفعل الأمراء ولكن في الدولة الثانية كانت بفعل المماليك

(1) نفسه، نفس الجزء والصفحة.
(2) ابن اياس: بدائع ج1 صـ90.
(3) ابن اياس: بدائع ج3 صـ226.
(4) ابن اياس: بدائع ج3 صـ260.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

أنفسهم؛ وذلك بسبب خلل نظام تربية المماليك في عصر البرجية عما كان سارياً منذ بداية الدولة، إذ درج السلاطين منذ أواخر الطور الأول للدولة على شراء المماليك بعد سن البلوغ وهم الذين عرفوا باسم "الأجلاب" أو "الجلبان" وكان من نتيجة ذلك انهيار نظام تربية المماليك الذي كان يشكل ركناً من أركان النظام السياسي آنذاك، وانهارت رابطة الأستاذية التي كانت تربط المماليك بأستاذهم، كما تفككت عُرَى رابطة الخشداشية التي كانت تجمع بين المماليك من أبناء الطائفة الواحدة. وكان من نتيجة رفع السلطان برقوق الحظر على نزول المماليك من ثكناتهم في القلعة والسكن بالقاهرة أن ضعفت الرقابة عليهم وقلت فرصة السيطرة على حركتهم(1). وهو الأمر الذي زاد من معدل التدهور السياسي الداخلي بفعل النفوذ المتنامي للمماليك الجلبان وعدم قدرة السلطان والأمراء على ردعهم، ومن ثم تكررت حوادث الشغب والاضطراب التي كانوا يثيرونها، فضلاً عن حوادث نهب الأسواق وخطف البضائع والاعتداء على الناس في الشوارع والأسواق، وكانت النتيجة الطبيعية لمثل هذه الأمور دائماً أن يسري الفزع في النفوس وتضطرب البلاد وسكانها بالفوضى والخوف، وتتعطل حياة الناس اليومية(2). فقد كانت من أكثر الأمور التي أثرت على احتفالات المولد النبوي، وقللت من بهجتها في بعض الأوقات، هي حوادث فساد المماليك الجلبان، والذين زادت شرورهم في الطور الثاني من عمر الدولة بحكم تغير نظام المماليك نفسه، فبعد أن كان يؤتى بالملوك طفلاً في عمر الصغر، ويتعلم القرآن واللغة ثم القتال، تغير هذا الأمر وأصبح المعتاد هو جلب المماليك في سن البلوغ، ليس هذا فحسب بل تغير أمر السكن

(1) قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار عين (القاهرة)، 2007م.،ص298؛ نفسه، دراسات في تاريخ مصر، ص73

(2) المقريزي: السلوك، ج3 ص608، 613؛ ابن الصيرفي نزهة النفوس: ج1 ص203، ج2 ص161؛ ابن تغري بردي :النجوم، ج12 ص320؛ ابن اياس،بدائع، ج1 ق2 ص587

بعد أن كانوا في الطباق، سمح لهم بالسكن في القاهرة، ونتج عن هذا أن العسكر المملوكي (الأجلاب) يحكم احتكارهم للسلاح اعتدوا على موظفي الدولة بدأ من الوزير نفسه إلى آخر موظف، وبطبيعة الحال كان تعرضهم للناس أدهى وأمر، ولم تخفي المصادر ذلك، فإن مرت احتفالات المولد دون أذاهم ذكرت المصادر ذلك وحمدت وشكرت، وفي هذا المنحنى فإننا نملك عشرات النصوص الدالة على اعتداءات الأجلاب على الناس في الاحتفالات[1]، وإذا كان ابن إياس ذكر أن أول حوادثهم قد وقعت عام 877هـ[2]، فإن ابن الصيرفي وعبد الباسط ابن خليل أشاروا في حوادث شوال سنة 832هـ أنه برز أمر سلطاني بمنع الناس من عمل الولائم والأعراس لكثرة فساد جلبانه وإثارة آذاهم حتى اشتد البلاء بالناس وعظم الضرر[3]. كما أن المصادر لم تشير إلى خبر احتفالات المولد في هذه السنة، ولعل ذلك يؤكد رواية ابن الصيرفي وعبد الباسط بن خليل، وبالضرورة فإن ذلك أدى ذلك إلى إعاقة بعض جوانب الحياة الاجتماعية آنذاك. فعلى سبيل المثال أشار ابن حجر في حوادث سنة 843هـ، إلى حرص السلطان على انتهاء احتفالات المولد في غير أوانها وانتهى الحفل "... وفرغ وقت العشاء سواءً، ورجعنا وخرج الناس، والأسواق مفتحة والليلة مقمرة جداً ولله الحمد..."[4].

هذا النص إن كان لا يمكن فهمه إلا بفهم الحالة التي صارت عليها الدولة جراء الجلبان والذين كان يزداد شرهم إذا لم يكن السلطان حازمًا، أوضحه ابن حجر

(1) ابن حجر: إبناء الغمر، ج3، ص 402؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج14، ص 326 – 327؛ ج16، ص 123 – 126.

(2) ابن إياس: نفسه، ج3 ص82.

(3) ابن الصيرفي: المصدر السابق، ج3 ص161؛ عبد الباسط ابن خليل: المصدر السابق، ج2 ق4 ص257

(4) ابن حجر: انباء الغمر، ج4 صـ137.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

نفسه في حوادث سنة 847هـ، حيث قال أنه في يوم الأحد تاسع شهر ربيع أول "... عمل المولد السلطاني، وكان مختصراً في كل أحواله، بحيث إن عدد القراء انحط من ثلاثين إلى عشرة، وكذلك الوعاظ، وفرغ بعد العشاء، وتوجه الناس إلى منازلهم سالمين من عبث المماليك.."[1].

هذا النص إن كان يفيد إلى حرص الناس على المشاركة ومشاهدة احتفالات المولد السلطاني، فإنها في الوقت نفسه تؤكد على أن تعديات الأجلاب أصبحت أصل في ذلك الزمان وليس فرعـًا. وكلما تقدمت الدولة في العمر صار تعدى الجلبان وتجاوزتهم أصلاً ثابتـًا في الحياة اليومية، وهو ما يرويه بحسرة أحد المؤرخين ذات الأصول المملوكية وهو أبو المحاسن ابن فئة أولاد الناس الذي يروى في أحداث سنة 870هـ[2]، "... وفي يوم الأحد ثالث عشرة عمل المولد بالحوش على العادة وقاسى الناس من الأجلاب شدائد من خطف العمائم والشقق الحرير المنعم بها على القراء والوعاظ وأصبح السلطان من الغد فأبطل مولد زوجته خوند بالحوش وجعله بتربته بالصحراء مخافة أن يقع لها كما وقع له.."[3].

ولم يكن حال احتفالات المولد سنة 871هـ بأحسن حال من العام السابق، إذا قاسى ممن حضروا المولد شدائد من الأجلاب، فقد كانت احتفالات المولد في العام المذكور في يوم الأحد من ربيع الأول ".... لكن أفحش الجلبان من مماليك السلطان فيه، وأمعنوا في الأذى والتشويش على الناس، ما بين نهب سماط، وضرب للخلف، وغير ذلك من الأذى، وقاسى الناس منهم الشدائد التي لا تعد

(1) ابن حجر: انباء الغمر ج4 صـ208؛ السخاوي: التبر المسبوك ج1 صـ155.
(2) ابن تغري بردي: حوادث ج3 صـ510.
(3) عبد الباسط بن خليل: الروض الباسم ج3 صـ63، نيل الأمل ج6 صـ؛ ابن تغري بردي: النجوم ج16 صـ291،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ولا تحصى..."[1]،وقد عبر أبو المحاسن عن تلك الحالة ومقت الناس معيشتهم على لسان مؤرخيهم قائلًا :"... وأما السلطان فإنه كان في هذه الأيام في أمر عظيم... من سوء سيرة مماليكه الأجلاب وفعلهم بالرعية تلك الأفعال القبيحة وأيضًا وقوع فتنة فيما بينهم...فخاف السلطان من قتال يقع بينهم ويفني بعضهم بعضًا. قلت ما أحسن هذا لو وقع ودام إلى أن يفنوا جميعًا ويريح الله المسلمين منهم، وما ذلك على الله بعزيز..."[2]، مما يدل على مقدار الأذى الذي سببه الأجلاب للرعية في الاحتفالات والحياة العامة.

وعلى ذلك؛ أصبح أمراً معتاداً استهلال كتاب الأخبار حوادث السنين بقولهم: "استهلت متتابعة الحوادث المظلمة والبواعث المؤلمة المحتملة لمجلدة والمطولة في الصحف المخلدة" أو "استهلت بما بها من النكايات العامة في الرعايا، لاسيما ذو الولايات والغنية بشهرتها عن الروايات" [3] أو أبيات شعرية يتحسر فيها الناس على المعيشة بمصر بسبب الجلبان مثل:

وماذا بمصر من المؤلمات فذو اللُب لا يرتضي يسكُن
فترك وجور وطاعون وفرط وغلاء وهم وغم والسّراجُ يدخن[4]

من أجل ذلك كله؛ نقرأ تشفيٍّ المصريين في موت الجلبان أثناء الطواعين على لسان مؤرخيه. فهذا عبد الباسط ابن خليل يقول :"... ضبط عدة من مات من الجلبان فكانوا زيادة على الألفين وأربعمائة "ذلك تخفيف من ربكم ورحمة..."[5].

(1) عبد الباسط بن خليل: الروض الباسم ج3 صـ119؛ نيل الأمل ج6 صـ253؛ ابن تغري بردي: النجوم 6 صـ296.
(2) ابن تغري بردي: حوادث الدهور ج3ص525
(3) السخاوي :المصدر السابق، ج3 ص1029، 1069
(4) السخاوي: وجيز الكلام، ج1 ص205
(5) عبد الباسط ابن خليل: نيل الأمل، ج2 ق6 ص82؛ بدائع، ج2 ص360

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وهذا أبو المحاسن يقول في وباء سنة 864هـ أنه مات "... من المماليك الأجلاب الإينالية، ستمائة وثلاثون مملوكـًا إلى لعنة الله وسقر، إلى حيث ألقت..."[1]، ومما لا شك فيه أن أقوال المؤرخين هي رصد لأقوال ومشاعر الناس الذين ضاقوا ذرعا بأفعال الجلبان فيهم، وإن كان الأمر هنا قاصرًا على تأثير المماليك الجلبان السلبي على احتفالات المولد.

- الطاعون:

وما دمنا تحدثنا عن أثر الظروف السياسية على احتفالات المولد النبوي، فلابد أن نتحدث عن تأثير الأوبئة[2] على الاحتفالات أيضـًا، فبحدوث الوباء يعظم القلق والاضطراب عند عامة الشعب، ويترتب على انتشاره موت عدد كبير من طبقات الشعب، فينشغل الناس بموتاهم ويترتب عليه عدم المشاركة في الاحتفالات أو مشاهداتها. مثلما كان الحال سنة 919هـ، إذ فقدت الاحتفالات بهجتها لأنه "كان الطعن عمالاً والناس في غاية النكد، ومات بالطاعون من العسكر ما لا يوصف..."[3].

ونلحظ أن المصادر لم تشر إلى تأثير الطاعون على احتفالات المولد في غير هذه السنة. ولكن رغم ذلك لا نغفل حقيقة تاريخية مهمة وهي أن الأوبئة

(1) ابن تغري بردي: النجوم، ج16 ص145

(2) لمزيد من التفاصيل عن الأوبئة والطواعين ينظر :

Aylon , the plague and its effect upon the mamluk Army " J.R.A.S" 1946 p. 69-100; Aylon , Regarding population Estimates in the countries of medieval islam " in his : Outsiders in the land of islam : mamluks , mongo and Eunuchs "variorum Reprints ,London 1988,p 16-18; Dols,the black death.p-p305-314

(3) ابن اياس: بدائع ج4 صـ306.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والمجاعات في ذلك العصر، لا سيما في شطره الثاني، كانت كثيرة ومترادفة بحيث لا يمكن أن نتتبع كلاً منهما على حدة، ولكنها جميعًا تشترك في كونها تحالفت مع ظلم الحاكمين وعبث العربان واللصوص والمماليك المفسدين لطحن جميع المصريين، والتضييق عليهم في احتفالاتهم[1].

– الريح[2]:

وفي نفس الصدد، أجبرت الرياح الشديدة سنة 891هـ على تغيير رسوم المولد، إذ كانت الرياح يوم المولد شديدة جداً بحيث سقطت المدورة المعدة لاحتفالات المولد، "...وما بها، بل وتمزق بعضها وقصف بعض عمدها، ولو لم يتبادر إلى طيها لتمزقت كلما... ثم مد السماط تحت دكة الحوش..."[3].

هذه كانت محاولة لرسم صورة احتفالات المولد النبوي والعوامل المؤثرة عليها زمن سلاطين المماليك.

الخاتمة:

بعد دراسة موضوع احتفالات المولد النبوي زمن سلاطين المماليك تبين أن :

– أن أصول الاحتفالات الخاصة بالمولد تعود لزمن الفاطميين والتي كانت بعض دوافعها سياسية.

(1) ينظر طواعين وأوبئة العصر بالتفصيل عند : قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر، ص 166.

(2) رصدت مصادر عصر المماليك أضرار أخرى سببتها الرياح للمصريين على المستوى الاقتصادي ينظر: ابن أيبك :كنز الدرر، ج8، 239؛ المقريزي: السلوك، ج2ص637، ج4، ص635؛ابن اياس: بدائع، ج2، ص374.

(3) السخاوي: الذيل التام، ص392.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

- فشل الدولة الأيوبية في استئصال شأفة احتفالات المولد النبوي على المستوى الشعبي، بالرغم من نجاحهم في القضاء على الاحتفالات الرسمية/ السلطانية.
- تفهم المماليك لطبيعة الشعب المصري المحبة للفرح والاحتفالات كانت سببًا أساسيًا في سعي المماليك للاحتفال بالمولد وتطوير طقوسه بين الفينة والفينة.
- تسببت الطريقة التي آل بها حكم مصر وبعض البلاد العربية إلى المماليك، في أن تلعبت الواجهة الدينية دورًا كبيرًا في اهتمام المماليك بالاحتفالات الدينية عامة ومن ضمنها الاحتفال بالمولد، وهو الأمر الذي كان ضمن محوري النظرية السياسية لدولة سلاطين المماليك القائمة على القوة العسكرية والشرعية. وقد تحقق للمماليك مرادهم بالمناورة السياسية الذكية من قبل سلاطين المماليك، إذ جعلوا دولة المماليك تبدو صاحبة الفضل على العالم الإسلامي بإحيائها الخلافة العباسية.
- كان الاهتمام باحتفالات المولد النبوي، باعتبارها شكل مهم من أشكال الواجهة الدينية أمرًا ضروريًا في بداية الحكم المملوكي، ومع تمكن المماليك في البلاد، أصبح هذا الأمر من المراسم الشكلية المعتادة.
- اهتم كتاب الأخبار بذكر خبر الأماكن التي كانت تقام فيها احتفالات المولد الرسمية/ السلطانية، وفرقوا بينهما جيدًا في تناولهم للخبر، محددين ثلاثة أماكن خصصت لاحتفالات المولد النبوي السلطانية وهم : [داخل القصر/ القلعة- الحوش السلطاني بالقلعة- الخيمة أو المدورة داخل الحوش السلطاني بالقصر] ويلحظ أن كل مكان من الأماكن يشير إلى تطور نوعي للاحتفالات في مرحلة معينة من مراحل دولة سلاطين المماليك.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

- تبين من قراءة مدونات كتاب الأخبار أن احتفالات بالمولد النبوي/ الرسمية كانت تتم في شهر ربيع الأول، ولكن ليس هناك موعد ثابت في شهر ربيع الأول خصص للاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، إذ كانت مواعيد الاحتفالات عرضة للتغيير لأسباب كثيرة، وكثيراً بدون سبب ظاهر.
- تنوع مراسم الاحتفال وتطورها من سلطان إلى أخر تلبية لرغبات السلاطين في الافتخار من ناحية، وترسيخً لمكانتهم عند العامة من ناحية أخرى.
- صاحب احتفالات المولد قرارات سلطانية إدارية متمثلة في ترقية بعض الأمراء أو تولية بعض الأمراء لمناصب جليلة كما في حالة أمير الحاج.
- تنوع احتفالات العامة بين احتفالات للرجال وأخرى للنساء، واختلاف الأماكن التى احتفل فيها العامة بين المنازل والمقابر والمساجد
- كان العنصر الأساس في تعكير صفو الاحتفالات في بعض السنين هم الجلبان. إذ لم تشر المصادر لأثر العوامل الطبيعية سوى مرات معدودة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

قائمة المصادر والمراجع

أولًا المصادر:

1. ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، (ت. 930هـ) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط3، دار الكتب والوثائق القومية؛ (القاهرة) ، 2008م.
2. ابن أيبك، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت. 709هـ) ، كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن المسمى "الدرة الزكية في الدولة التركية" تحقيق أولرخ هارمان، (القاهرة) 1971م.
3. ابن بطوطه: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت. 779هـ) ، رحلته، المعروفة بـ"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب السفار"، تحقيق محمد السعيد الزيني، المكتبة التوفيقية، (القاهرة) ، د.ت.
4. ابن تغري بردي: أبو المحاسن يوسف (ت. 874هـ) ، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج1 تحقيق فهيم شلتوت، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (القاهرة) 1990م، ج2، ج3 تحقيق، وليم بوبر، 1931، 1942
5. ـــــــــــ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأجزاء من 1 – 12 تحقيق القسم الأدبي بدار الكتب، ج13 تحقيق فهيم شلتوت (القاهرة) ، 1970م. ج14، تحقيق فهيم شلتوت وجمال محرز (القاهرة) ، 1971م. ج15 تحقيق إبراهيم طرخان، (القاهرة) 1971م. ج16 تحقيق جمال الشيال وفهيم شلتوت (القاهرة) ، 1972م.
6. ـــــــــــ، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب (القاهرة) ، 1997م.

7. الجزيري: عبد القادر بن محمد بن القادر (ت. 944هـ) ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، نشر حمد الجاسر، ط1 (الرياض) ، 1403هـ

8. ابن الحاج: أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، (ت. 737هـ) ، المدخل إلى الشرع الشريف، المكتبة التوفيقية (القاهرة) د.ت.

9. ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، (ت. 852هـ) إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة) ، 2009م

10. ابن خليل، عبدالباسط بن خليل بن شاهين الظاهري (ت920هـ) نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية (بيروت) 2002م.

11. ـــــــــــــ، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق فرج محمد سلام (رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة بنها) 2015م

12. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت681هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت) 1969-1972م

13. السبكي، تاج الدين عبدالوهاب (ت771هـ) معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي عمر النجار وغيره، ط3، مكتبة الخانجي (القاهرة) 1996م.

14. السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن بكر (ت. 902هـ) ، التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم ونجوى مصطفى، دار الكتب والوثائق، (القاهرة) ، 2007م.

15. ـــــــــــــ، الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، حوادث (745-850هـ) تحقيق حسن إسماعيل، دار ابن العماد (بيروت) د.ت

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

16. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت. 902هـ)، حسن المقصد في عمل المولد، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت) 1985م.

17. أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل، (ت. 665هـ) ، الذيل على الروضتين، تحقيق السيد عزت العطار، ط2، دار الجيل (بيروت) ، 1974م..

18. ابن الصباح: ابو عبدالله الصباح (النصف الثاني من ق الثامن الهجري) رحلته المعروفة بـ: أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، نشر وتحقيق محمد بنشريفة، ط1، دار ابي رقراق (الرباط) 2008م.

19. ابن الصيرفي، علي بن داود الجوهري (ت. 900هـ) ، نزهة النفوس في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، ط2، دار الكتب والوثائق، 2010م

20. ـــــــــــ إنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، هيئة الكتاب (القاهرة) 2001م

21. ابن طولون: الحسن بن حسين ابن احمد (ت923هـ) ، نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق احمد دهمان وغيره، ط1، دار الفكر المعاصر (بيروت) 1992م.

22. ابن الفرات ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المصري (ت. 807هـ) ، تاريخ ابن الفرات، الأجزاء 7 – 8 – 9، تحقيق قسطنطين رزيق، وغيره، المطبعة الأمريكية، (بيروت) ، 1942م.

23. ابن فهد نجم الدين عمر بن محمد بن محمد (ت. 885هـ) ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الأجزاء 1 – 3 تحقيق فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث 1984م

24. القلقشندي: أحمد بن علي القلقشندي (ت 820 هـ / 1417 م) صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، الأجزاء (1 – 14) ، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، (1913 – 1919) م

25. ابن المأمون: جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون البطائحي (ت 588هـ/ 1192م) . نصوص من أخبار مصر، حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمي، الفرنسي للآثار الشرقية، (د. ت)

26. المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت. 845هـ) ، ، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الاسلامي (بيروت) 1991م.

27. ـــــــــــ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، (القاهرة) ، 1996م

28. ـــــــــــ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط3، دار الكتب والوثائق، (القاهرة) ، 2009م

ثانيًا– المراجع:

1. إيمان عمر شكر، برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، ط1، مكتبة مدبولي (القاهرة) 2002م.

2. حسن أحمد البطاوي، ، أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك، ط1، دار عين (القاهرة) ، 2007م

3. زامباور: أدوارد زافون، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، مصر 1951م.

4. عبد الغني عبد العاطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ط2، دار المعارف، (القاهرة) ، 2002م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

5. عبدالوهاب عزام مجالس الغورى، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة) 2010م.
6. عبد المنعم ماجد، نظم ورسوم دولة سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة) 1979م
7. محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر: دراسة تاريخية وثائقية، ط1، دار النهضة (القاهرة) ، 1980م.،
8. سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، (القاهرة) ، 1992م، .
9. رشيدة عطا، شرعية الحكم في دولة المماليك، بحث بكتاب حكومة مصر عبر العصور، هيئة الكتاب (القاهرة) ، 2001م
10. محمد حسن محمد، الأبعاد الاجتماعية لظاهرة التصوف في مصر عصر سلاطين المماليك، دكتوراه باداب الزقازيق 1996م، اشراف قاسم عبده قاسم.
11. محمد رجب البيومي، من تاريخ المماليك: مصر تحتفل بالمولد النبوي، مقال بمجلة الأزهر، عدد ربيع أول 1428هـ الجزء السادس السنة 80، من ص 695-697.
12. مصطفى وجيه مصطفى، احتفالات الحج المصرية في عصر سلاطين المماليك، دار عين (القاهرة) 2014م
13. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار الشروق (القاهرة) 1993م
14. قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار عين (القاهرة) 2009م.
15. السندوبي، حسن: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق، مكتبة الاستقامة (القاهرة) 1948م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

16. Aylon , the plague and its effect upon the mamluk Army " J.R.A.S" 1946
17. Aylon , Regarding population Estimates in the countries of medieval islam " in his : Outsiders in the land of islam: mamluks , mongo and Eunuchs "variorum Reprints ,London 1988,
18. Dols, Michael W., The black death in the middle east (Princeton) ,N G ,1977
19. wiet, G ,CIA - Materiaux pour un corpus Inscriptionum Arabicum ler partie-egypte II ,le caire - IFAO 1929-30. ,
20. canard ,M, "Le ceremonial fatimide et le ceremonial byzantine - Essai de comparaison" Byzantion XXII,1951.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الوضع الاجتماعي والاقتصادي لليهود والمسيحيين ببلاد المغرب العربي الإسلامي من القرن السابع إلي القرن العاشر الهجريين / الثالث عشر إلي الخامس عشر الميلاديين

د/ ماجدة مولود رمضان الشرع [1]

ملخص البحث

شهدت بلاد المغرب العربي الإسلامي خلال تاريخها الطويل منذ القدم وحتى العصور الوسطي هجرات لليهود والمسيحيين في موجات بشرية متتالية، ساهمت وبشكل كبير في إحداث بيئة خاصة بهم تتماشي مع طبيعة حياتهم وأعرافهم وتقاليدهم الاجتماعية والاقتصادية، ومع ديانتهم اليهودية والمسيحية، في هذا البحث سيتم الحديث على الوضع الاجتماعي والاقتصادي ليهود ونصارى المغرب العربي الإسلامي، وفق تقسيمات تتناول في بادئ الأمر، إعطاء لمحة تاريخية عن الهجرات المسيحية واليهودية إلي بلاد المغرب العربي الإسلامي، ومن تم الحديث عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي لهم.

(1) الأستاذ المساعد في التاريخ الإسلامي/ قسم التاريخ/ كلية الآداب / جامعة طرابلس- ليبيا.

Research Summary

Throughout its long history, from the antiquity to the Middle Ages, the countries of the Arab Islamic Maghreb witnessed migrations of Jews and Christians in successive human waves, which contributed greatly to creating an environment of their own that is consistent with the nature of their lives and their social and economic traditions and traditions, and with their Judaism and Christianity. In this research we will talk about the situation The socio-economic development of the Jews and Christians of the Islamic Arab Maghreb, according to the divisions dealing primarily with giving a historical overview of Christian and Jewish immigration to the countries of the Islamic Arab Maghreb, and who were talking about their social and economic situation.

تميزت بلاد المغرب العربي الإسلامي خلال القرن السابع والعاشر الهجريين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين بوجود فئات مجتمعية تمثلت في اليهود والمسيحيين كان لهم الحضور الزمني والمكاني في المنطقة، إضافة إلي الحضور الاجتماعي والاقتصادي والي تمثل في استقرارهم في عد من مدن المغرب العربي الإسلامي من برقة شرقاُ وحتى سبتة غرباُ، ومن جربة شمالاُ حتى زويلة جنوباُ.

في هذا البحث سيتم الحديث على وضع الاجتماعي والاقتصادي ليهود ونصارى المغرب العربي الإسلامي وفق تقسيمات تتناول في بادئ الأمر عن إعطاء لمحة تاريخية عن الهجرات المسيحية واليهودية، ومن تم الحديث عن الحياة الاجتماعية من حيث السكن واللبس، وعادات الاحتفال أيضا سيتم الحديث عن الحياة الاقتصادية لديهم من حيث امتهانهم للزراعة والصناعة والتجارة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الخلفية التاريخية للتواجد اليهودي و المسيحي في بلاد المغرب:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي موجة من الهجرات اليهودية إليها، حيث كان دافع تلك الهجرات أسباب سياسية واقتصادية صرفة كان ذلك خلال القرون الثلاثة التي تلت الفتح العربي الإسلامي فقد جاءت هجرات يهودية كثيرة من شرق العالم العربي الإسلامي[1].

استقر اليهود في عدد من مدن المغرب بكل تقسيماته الأدنى والأوسط والأقصى، ففي المغرب الأدنى استقر اليهود في برقة[2]. قبل الفتح العربي الإسلامي وبعد الفتح الإسلامي أصبح يهود برقة يدفعون الجزيةّ في إبان العصر العباسي خاصة زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 – 193هـ/ 786 – 809 م) ومن بينها الجزية بلغت قيمتها قرابة خمسة عشر ألف دينار[3]، أبضا استقروا في عدد من المدن الداخلية والساحلية للبلاد المغرب العربي الإسلامي منها على سبيل المثال مدينة زويلة[4]، كما كان لم آثاراً في مدينة اليهودتين الواقعة على الطريق الساحلي بين برقة[5]. وطرابلس[6].

(1) ابن عبدا لحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1961م، ص 1961 م، ص 271 – قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة، 1993م، ص 11.

(2) برقة: مدينة كبيرة قديمة تقع بين الإسكندرية وأفريقية، تشتهر بتربتها الحمراء، افتتحها القائد العربي عمرو بن العاص سنة 21هـ – الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص 91.

(3) اليعقوبي، البلدان، طبعة ليدن، 1892م، ص 344 – عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي (22 – 462هـ / 642 – 1070م)، عين للدارسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، 2001م، ص 36.

(4) زويلة: مدينة كبيرة تقع في الصحراء وهي قريبة من المملكة الإسلامية كانم. الحميري، المصدر السابق، ص 295.

(5) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 36.

(6) طرابلس: طرابلس: مدينة ساحلية تعني بالمدن الثلاث. الحموي، معجم البلدان، مج 4، دار صادر، بيروت، 1977م، مادة طرابلس، ص 25.

ولم يقتصر التواجد اليهودي في مدينة طرابلس فحسب بل توجدوا في مدينة لبدة الساحلية كما سكنوا[1]. جبل نفوسة[2]. وجزيرة جربة[3]. واستقر اليهود كذلك في مدينة نفزاوة[4]. صفاقس[5]. ومدينة القيروان[6]. والمهدية[7].

أما بالنسبة للمغرب الأوسط فقد كان التواجد اليهودي فيه منحصراُ في عدد من مدنه، حيث تمثل وجودهم في مدينة تنس التي كانت تتمتع موقع جغرافي وأهمية اقتصادية مهمة جعلت اليهود يتخذونها كمستقر تجاري لهم ودفعهم للجزية نظير إقامتهم بها[8].

أيضا استوطن اليهود في قلعة بني حماد والتي تعتبر من أكبر القلاع بالمغرب الأوسط[9]؛ لأنها كانت مقصد التجار، وبها تحل الرحال من العراق والحجاز

(1) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889م، ص 86.
(2) جبل نفوسة: جبل عالي يمتاز بكثرة خيراته من الفواكه والكروم والخبز. الحميري، المصدر السابق، ص 578.
(3) جزيرة جربة: تقع في البحر وقريبة جدا من مدينة قابس الساحلية. الحميري، المصدر السابق، ص 158.
(4) نفزاوة: مدينة قريبة من القيروان، تمتاز بأسواقها الكثيرة. الحميري، المصدر السابق، ص 578.
(5) صفاقس: مدينة ببلاد المغرب الأدني " افريقية ". الحميري، المصدر السابق، ص 365.
(6) القيروان: مدينة قام ببنائها عقب بن نافع الفهري سنة 50 للهجرة. الحميرى، المصدر السابق، ص 486.
(7) الحموى، المصدر السابق، مج 2، ص 118.
(8) المصدر نفسه، مج2، ص 48 – عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 43.
(9) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د – ت)، ص 255.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ومصر والشام وسائر بلاد المغرب[1]. كما استقروا بمدينة وراجلان[2]. التي تعد مدخل بلاد السودان إلى المغرب الأوسط والأدنى[3]، إضافة إلي مدينة أشير[4]. التى تقع في جبال الأطلس[5].

كما أقاموا في مدينة تاهرت[6]. ونزحوا إليها منذ نشأتها، وتزايد وجودهم فيها بعد قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب سنة 296هـ / 909م، كما سكنوا[7]. مدينة تلمسان[8].

أما تواجد اليهود في المغرب الأقصى فقد فاق التواجد العددي لهم فيه مقارنة بتواجدهم في المغربين الأدنى والأوسط، حيث ذكر ابن خلدون أن المغرب الأقصى فاق نظيريه في جذب اليهود وخاصة قبائل "قندلاوة ومديونة وبهلولة وغياتة وبنو فازاز " اليهودية[9].

(1) البكري، المغرب في ذكر أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د-ت)، ص 49.
(2) وارجلان: مدينة صحراوية بالمغرب الأدني تمتاز بكثرة نخيلها وبساتينها. الحميري، المصدر السابق، ص 600.
(3) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (د - ت)، ص 224.
(4) أشير: مدينة بالمغرب الأوسط تم تأسيسها زمن الدولة الفاطمية، وقد مُنحت للأمير الزيري زيري بن مناد الصنهاجي، وتُسمي بأشير زيري. الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 254.
(5) الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 202.
(6) تاهرت: مدينة بالمغرب الأوسط. الحميري، المصدر السابق، 126.
(7) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 46 - 47.
(8) تلمسان: هي قاعدة المغرب الأوسط كانت في السابق مركز لسكن قبائل زناتة البدوية. الحميري، المصدر السابق، ص 135.
(9) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص 14.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تزايد اليهود في زمن الدولة المرابطية، حيث فرض عليهم السلطان يوسف بن تاشفين الجزية[1].

تعتبر مدينة سبتة معبراً إلى بلاد المغرب الأقصى، حيث استقر فيها اليهود قبل الفتح الإسلامي لها؛ وذلك فراراً من ملاحقة القوطيين لهم في شبه جزيرة إيبرية (بلاد الأندلس)[2] كما استقروا في مدينة فاس وازداد عددهم حيث كان مقصد من كل الأنحاء " ووصفها البكري بقوله: " بأنها أكثر بلاد المغرب يهود"[3]. كما كان هناك يهود في مدينة سجلماسة التي جذبتهم إليها تجارياً؛ وذلك لوقوعها على خط التجارة مع بلاد السودان، حتى بات التبر[4]. بها أمكن منه بغيرها لكونها باب لمعدنه"[5].

أما فيما يتعلق بالتواجد المسيحي فقد ظهرت المسيحية في شمال إفريقيا خلال القرن الثاني لميلاد، حيث لاقت قبولاً لدي سكان المنطقة خاصة الأغنياء الذين كانوا مستعدين لقبولها. حيث دخل كثير من البربر المسيحية ونشرها فيهم رهبان من مصر أو من إيطاليا نفسها وبنو الكنائس على طول الشريط الساحلي[6].

في منتصف القرن الثالث الميلادي بدأ تنظيم الكنيسة المسيحية الأفريقية بالانتشار من قبل القديس سيبريان[7]. ولكن انتشارها ظل محدودا خلال العصر

(1) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 48.
(2) البكري، المصدر السابق، ص 102 – عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 48.
(3) البكري، المُغرب في ذكر أفريقية والمغرب، ص 115.
(4) التبر: هو خام الذهب الغير مضروب. أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، بيروت، 1981م، ص 69.
(5) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 202.
(6) الماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989، ص 181 – 182 – شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي وآخرون، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر، (د – ت)، ص 22.
(7) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995م، ص 124.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

الوسيط؛ والسبب في ذلك السياسة العدائية التي انتهجتها الإمبراطورية الرومانية آنذاك ضد المسيحيين حيث عملت على محاربتهم أينما وجدوا[1] خاصة زمن حكم الإمبراطور ديسيوس (249 – 251م) الذي طلب في سنة 250 م من جميع رعاياه أن يعلنوا وطنيتهم والتمسك بالديانة الوطنية المتمثلة في عبادة الأباطرة إلى جانب آلهة روما، والتنصل من كل العبادات الأخرى خاصة المسيحية وترك كثير من النصارى ديانتهم حيث قال القديس سيبريان كلمته المشهورة في ذلك: " لقد كان عددهم أكثر من قوة إيمانهم "[2].

في عهد الإمبراطور الروماني دقلديانوس (284 – 305م) اشتد عنف الإمبراطورية الرومانية ضد المسيحيين الذين تشبثوا بدينهم، حيث أعلنوا العصيان بكافة أشكاله ضد السلطة الحاكمة بما في ذلك عدم ألالتزامهم بأدائهم الخدمة العسكرية[3].

في هذه الأثناء ظهرت عدد من التيارات الدينية المعارضة لسياسات أباطرة الرومان من أبرزها الدوناتية[4]، التي استعانت بالمغاربة ضد الرومان، وعرفت كنيستهم باسم كنيسة الفقراء، والتي كان لها بُعداُ اجتماعياً ودينياً[5]، فأصبح هذا التيار رمزاً للمقاومة الشعبية و إزداد انتشاره بزيادة انتشار البؤس والفقر بين الوطنيين الذين ثاروا ضد المحتلين والأغنياء ودعوا إلى المساواة وتحرير العبيد

(1) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، (د – ت)، ص 30.
(2) سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 124.
(3) المرجع نفسه والصفحة.
(4) تنسب إلي شخص يدعي " الدوناتوس " وهو من الأساقفة الذين رفضوا تعيين أسقفا جديداً لقرطاجنة.للمزيد أنظر: حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب،ص 29.
(5) سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 124.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وأرادت الدولة أن تقضي على الدوناتية ببريق الذهب عن طريق تعداد الفقراء وتوزيع الأموال عليهم، وعندما فشل هذا الإجراء تم استخدام القوة وظل هذا الصراع مستمراً حتى وفاة الدوناتوس سنة 355م[1].

وبعد انقسام روما إلى شرقية وغربية وانقسام المسيحية معها إلي كاثوليكية وأرثودسكية، تمكنت روما من قمع الحركة الدوناتية وأرغمت أتباعها للعودة إلى الكاثوليكية. أما الوندال فقاموا بمهاجمة الكنيسة الكاثوليكية والاستيلاء على ممتلكاتها ونشر المذهب الأريوسي، وكان من نتائج هجوم الوندال هذا تدهور الأوضاع الاقتصادية وعمت الاضطرابات السياسية منها، لكن البيزنطيين تمكنوا من قمع هذا المذهب سنة 535م، بعد ذلك ضعفت المسيحية وشهدت انقسامات داخل الكنيسة نتج عنها ظهور سلطتين متنازعتين حول بلاد المغرب، الأولى إدارية بالقسطنطينية والثانية روحية تستمد قوتها من روما، هذا ما دفع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع (652 – 685 م) إلي الدعوة لعقد مجلس ديني سنة 680م، نتج عنه تحالف البربر المسيحيين والبيزنطيين في شمال أفريقيا ضد المغاربة[2]، وظلت المسيحية في بلاد المغرب محل صراع حتى جاءت فترة الفتح العربي الإسلامي زمن الخلفاء الراشدين، حيث ساهم القادة العرب الفاتحين على نشر الإسلام في بلاد المغرب والذي خيرهم بين الإسلام أو دفع الجزية أو القتال[3].

وفيما يتعلق بمناطق تواجد المسيحيين في بلاد المغرب العربي الإسلامي تمثلت في بعض المدن منها برقة، طرابلس، و في بعض الواحات الليبية مثل واحة

(1) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 30.
(2) سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 129 – 132.
(3) الماوردي، المصدر السابق 181 – 182.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

البهنسي[1]، سرت[2]، وإجدابيا[3]، أيضاُ تواجدوا في بعض مدن السواحل التونسية مثل مدينة باجة[4].

كما سكنوا في عدد من مدن الجنوب التونسي مثل مدينة صفاقس وقابس[5] وسوسة التي وجد بها مساجد بجانب كل كنيسة[6]، وغيرهم من مدن المغرب الأدنى. كما استقرت الطوائف المسيحية الكاثوليكية الأرتودكسية درب عرف بزقاق الروم[7]، في المغرب الأوسط فسكنوا العديد من مدنه من بينها مدينة قسنطينة، و ميلة[8] كما سكنوا مدينة تبسا[9]، ومدينة باغاية[10].

أما بالنسبة للتواجد المسيحي ببلاد المغرب الأقصى يرجع تاريخه إلى القرن الثالث ميلادي،حيث انتشروا بمدينة سبتة[11] التي كانت بها كنيسة أيضا بمدينة

(1) البهنسي: واحة تقع بالقرب من مصر في الجهة الغربية. الحميري،المصدر السابق، ص 114.

(2) سرت: مدينة بالمغرب الأدني، تمتاز بكثرة أشجار النخيل والتوت والزيتون. الحميري، المصدر السابق، ص 312.

(3) اجدابيا: مدينة من مدن برقة تمتاز بالطبيعة الصحراوية والبحرية، بها قبائل لواتة كما يسكنها عدد من اليهود. الحميري، المصدر السابق، ص 11 – 12.

(4) سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 133.

(5) قابس: تقع في بلاد الجريد بجنوب أفريقية، تمتاز بإنتاج الحرير وكثرة أشجار التوت. الحميري، المصدر السابق، ص 450

(6) التيجاني، رحلته، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص 162.

(7) البكري، المصدر السابق، ص ص 14، 34،20.

(8) ميلة: مدينة بالمغرب الأوسط تقع بالقرب من قلعة حماد. الحميري، المصدر السابق، ص 568.

(9) تبسا: مدينة ببلاد أفريقية. الحميري، المصدر السابق، ص 129.

(10) باغاية: مدينة بالمغرب الأوسط . الحميري، المصدر السابق، ص 80.

(11) سبته: مدينة ساحلية بالمغرب الأقصى. الحميري، المصدر السابق، ص 303.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

طنجة[1] ومدينة فاس[2] في أواخر القرن السابع ميلادي وسمي أحد أبواب المدينة بباب الكنيسة بناه الإمام إدريس بن إدريس (174 – 213هـ/ 791 – 828 م)[3] وغيرها من المدن المغربية الأخرى التي رحلوا إليها قادمين من جنوب الأندلس[4].

الوضع الاجتماعي لنصارى ويهود في المغرب العربي الإسلامي السكن والألبسة والعادات والتقاليد في الأعياد:

وجدت تجمعات سكنية لليهود والمسيحيين في مختلف مناطق المغرب، حيث اختلطوا بالعرب فتأثروا بهم وأثروا فيهم، فالدين الإسلامي لم يفرض عليهم اعتناقه، بل ترك لهم حرية الخيار بين الإسلام أو دفع الجزية[5].

هذا وقد عاشت الجماعات اليهودية في بلاد المغرب نظام الجوار أو الحماية في كنف القبائل المغربية والعربية إذ عاشت أعداد من اليهود وسط هؤلاء وبين ظهرانيهم، ليكفلوا لهم الحماية، وظهر هذا في القيروان فقد عاش اليهود فيها منذ تأسيسها في حماية وأمن العرب، لم ينزلوا في أحياء خاصة بهم منذ الفتح الإسلامي

(1) طنجة: مدينة بالمغرب الأقصى. الحميري، المصدر السابق، ص391.

(2) فاس: مدينة بالمغرب الأقصى. الحميري، المصدر السابق، ص 434.

(3) يعتبر المؤسس الفعلي لدولة الأدارسة بالمغرب الأقصى. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 40.

(4) كمال أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996 م، ص40.

(5) الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج8، دار الغرب الإسلامي، الأوقاف والشؤون الإسلامية . بيروت، 1981م، ص 437.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للبلاد، ففي القيروان سكن العالم الشهير[1]. حنانيل[2]. عند أحد أبواب المدينة بجوار المسلمين، وفي قابس سكن اليهود العاملون بالزارعة خارج أسوار المدينة[3]. وامتزجوا بالمسلمين في الأحياء وبنوا مساكنهم بينهم شرط أن لا ترتفع أو تعلوا على منازل المسلمين ومساجدهم، إلا أن اليهود وبصفة عامة يميلون إلى حياة التجمعِ ويرفضون الاختلاط وهذا ما دفعهم للسعي من أجل إقامة أحياء خاصة بهم تدعى "الحارة" أو "حارة اليهود" والتي ترادف كلمة "الحومة" وتعني الحي والأماكن التي اختص بها النصارى سميت "ربض النصارى" أو "حومة، العلوج"[4]. .

وقد زعم اليهود أن معاملة العرب لهم – والتي وُصفت بالعنصرية – هي التي جعلتهم يسكنون في مساكن وأحياء ضيقة؛ ولكن هذه الحجة غير مقبولة، الدليل وجود شواهد تاريخية في بعض كتب النوازل والفقه المالكي أشارت إلي الحارة اليهودية على أنها منطقة تجمع سكاني حتى للمسلمين، حيث جاء في كتاب " البرزلي " أن ابن أبي زيد القيرواني سئل في فتوى تحتوي على كلمة الحارة فنفهم منها أنها تخص تجمع للمسلمين، ولذلك فهي لا تقتصر على اليهود بل وتضم حتى أحياء المسلين[5].

(1) بشير عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 112 – 114.

(2) حنابيل: هو ابن الرابي حوشيل مؤسس المدرسة الثلمودية بمدينة القيروان – أبراهام شتال، تاريخ يهود المغرب، وزارة التعليم، القدس، 1974. ص 58.

(3) بشير عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 112 – 114.

(4) إن وجود اليهود في الحارة أو النصارى في الربض داخل المجتمع الإسلامي لا يعني أنهم انعزلوا عن سكان البلاد، بل إن هؤلاء سكنوا بين ظهراني المجتمع العربي الإسلامي في المغرب . الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص259 مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2009م، ص 101.

(5) البرزلي، الجامع في مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ج3، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، 2004، ص 44.

أما فيما يتعلق بالألبسة والأزياء الخاصة باليهود والمسيحيين فقد حرص فقهاء المالكية بالمغرب العربي الإسلامي على ضرورة التمييز بين لباس المسلمين و أهل الذمة كأن يحملوا علامات خاصة ويلبسوا ألوانا خاصة، حيث تم إلزام اليهود زمن الخليفة السلطان المستنصر بالله الحفصي (647 – 675 هـ / 1249 – 1277م) سنة 648هـ / 1250مً بجعل الشكلة لليهود وهي عبارة شارة صفراء يتم وضعها فوق الحزام لا تحته ليعرفوا بها عند المشاهدة لأن اليهودي يشكل إذا أعطى بظهره[1].

ويذكر أن الشكلة كانت علامة خاصة باليهود المحليين أو الأهالي الشكليين، في حين تميز اليهود القادمين من الأندلس بلبس القلنسوات والمعبر عنها في المجتمع التونسي باسم الكبوسيين[2].

أما فيما يتعلق بزي النساء فاستعملت اليهوديات في تونس الملابس المطرزة بأشكال زخرفيه دينية مثل الشمعدان اليهودي ونجمة داوود ذات الأضلاع الستة ورسائل الجنيزة تشير إلى تشبه النساء اليهوديات بالمسلمات في ملابسهن مثل: ارتداء الثوب والحجاب والخمار والبرنس، وهي في الغالب ملابس للخروج. ولم يتقيد النساء اليهوديات بارتداء الملابس الداخلية[3]. فقد وردت لدى البرزلي مسألة مفادها هل يلزم نساؤهم زيـًا يعرفن به من المسلمات أم لا ؟ فأجاب إنما كلف رجالهم لاختلاطهم بالمسلمين في تصرفاتهم ومخاطباتهم وخصومتهم وبياعاتهم وما لا ينبغي أن يكون مستعليا فيه واليهوديات لهن علامات المشي بالأقراق أو حافيات[4].

(1) البرزلي، المصدر السابق، ج2، ص 44.
(2) روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية 15، ج1، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 437.
(3) بشير عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 123.
(4) البرزلي، المصدر السابق، ج2، 42 – 44.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

أما ملابس الأطفال فكانت زاهية الألوان، حيث كان أطفال اليهود في المدن قابس وجربة يرتدون صدرية بنفسجية اللون فوق ملابسهم تحميهم من البرد[1]، فمن جهة أخرى يبدو أن الإلزام بالزى كان في حدود المدن الكبرى وحواضر البلاد المغاربية ولكن الأرياف والمناطق النائية عن مركز السلطة كان من الصعب تمييز اليهودي فيها عن الساكن المحلي، ففي الجنوب المغرب الأدنى وتحديداً في المناطق الواقعة من الجنوب التونسي والغرب الليبي في قرية صرمان الليبية، ذكر لنا البرزلي أن يهود هذه القرية كانت ملابسهم مطابقة لملابس أهلها من عرب ومغاربة[2].

بالنسبة للمسيحيين فقد ذكر البرزلي في كتابه جامع مسائل الأحكام أن رجال النصارى لهم زى على رؤوسهم يلزمونه وقد كان بعضهم تزيي بزيهم، وكان اختلافهم عن زى المسلمين متمثلا في تعويض العمائم بالقلنسوة على خلاف القبط في البلاط الشرقية الذين كانوا يلبسون العمائم[3].

أما بالنسبة لنسائهم فيبدوا أنهن كن يلبسن لباسٌ خاصاُ بهن والذي كان مغايراُ لزى المرأة المسلمة[4].

أما العادات والتقاليد عند اليهود والمسيحيين فتتمثل في العادات والتقاليد في احتفالهم ببعض الأعياد الدينية، فمثلاً اليهود يحتفلون في البلاد الإسلامية بأعيادهم الخاصة بهم، والتي من أشهرها: رأس السنة العبرية، حيث يحتفل اليهود في هذا العيد بذكرى افتداء إسماعيل عليه السلام، وهم يعظمونه كتعظيم المسلمين لعيد الأضحى، ويرمزون إليه بعيد الخلاص والعتق من فرعون وموعد هذا العيد يوم من

(1) بشير عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 123.
(2) البرزلي، الجامع في مسائل الأحكام، ج2، ص 44.
(3) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
(4) روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، 478.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

شهر تشري[1]، ويدعى هذا العيد بالعبرية الحديثة، "روش هاشاناه " أي عيد رأس الشهر[2]، إضافة إلي عيد صوماريا يسمونه الكبور وفيه يصمون الصوم الكبير، حيث تصل ساعات صومهم فيه قرابة الخمس وعشرون ساعة[3]، أيضا هناك عيد آخر يُعرف بعيد المظلة أو عيد الظلل الذي يأتي في الخامس عشر من تشري ً يدوم سبعة أيام ابتداء وفي اليوم الثامن عيد الاعتكاف لدى الربانيين، يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخيل وأغصان الزيتون وتحت كل الأشجار التي لا يتناثر ورقها وذلك تذكاراُ للغمام الذي أظلهم الله به أيام التيه[4].

بالنسبة لأعياد المسيحيين فكانت لهم أسوة بغيرهم من اليهود والمسلمين حرية الاحتفال بشكل تام، ومن أعياد المسيحيين عيد ميلاد المسيح عيسي ابن مريم الذي يوافق الاحتفال به يوم 25 من شهر ديسمبر[5].

الوضع الاقتصادي لليهود والمسيحيين في المغرب العربي الإسلامي:

مارس اليهود والمسيحيين أنشطتهم الاقتصادية بمختلف أنواعها، حيث سُمح لهم بممارستها بما يتوافق مع سماحة الدين الإسلامي من تلك الأنشطة:

ا- الزارعة:

هناك إشارات تاريخية وفقهية تشير إلي امتلاك بعض أهل الذمة من اليهود والمسيحيين للأراضي الزراعية، فقد ذكر الونشريسي أن مسلم ابتاع جنة من يهودي

(1) شهر تشري هو سابع شهور السنة العبرية من الوجهة الشرعية على الرغم من أن المتعامل عليه بين اليهود أنه أول شهور السنة . للمزيد انظر: قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 74.

(2) كواتي مسعود، المرجع السابق، 112.

(3) القلقشندي، صح الأعشي في صناعة الإنشا، ج2، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م، ص426.

(4) المصدر نفسه والجزء ص 426 – 427.

(5) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج1، المطبعة الحسينية، القاهرة، (د- ت)، ص 90.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وحبسها فقام يهودي يدعي استحقاقها بحبس[1] إن هذه الفتوى تبين اكتساب اليهود للأراضي الخاصة بالزارعة؛ لأن كلمة جنة تدل على الأرض المستعملة للغراسة[2].

من المعلوم أن منطقة قابس سكنها كثير من اليهود وفرضت عليهم الدول المتعاقبة على حكمها الجزية، فمن المؤكد أن جزء منهم عمل الزارعة، حيث اشتهرت المنطقة بزراعة الزيتون والموز[3]، كما أن اليهود انخرطوا في الفلاحة وزارعة الأرض في مدينة القيروان التي اشتهرت بزراعة الفواكه والتمور[4]. أيضاً اشتغل يهود تونس بتربية دود الحرير " القز" على غرار ما كان أهالي المنطقة يتداولونه فكانت مدينة قابس مشهورة بكثرة شجر التوت لذا كان يربى فيها دود الحرير" وكان حريرهاً أطيب الحرير وأرقه[5].

يبدو أن نظام المشاركة في تربية دود الحرير كان معمولا به سواء بين اليهود أنفسهم أو بالمشاركة مع أحد المسلمين من ذوى الأموال، إذ يساهم الأول في علوفة دود الحرير بشراء ورق التوت وغير ذلك من، المؤونة المحتاج إليها، أو أن يشترك صاحب أشجار التوت مع المربي لدود الحرير ويقسمان المنتوج معاً[6].

كما تعامل اليهود بنظام المغارسة أو المزارعة فكان للملاك المسلمين المقيمين بالمدينة أراض زراعية يستخدمون فيها غيرهم من الفلاحين بما فيهم اليهود، فتصلهم نسبة معينة من المحاصيل[7].

(1) الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 438.
(2) مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 130.
(3) البكري، المصدر السابق، ص 17
(4) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 88.
(5) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 113.
(6) الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص 59 – 60.
(7) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 87.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كما أهتم اليهود بزراعة محاصيل زراعية ذات جدوى اقتصادية ومردود نقدي وافر، كزراعة الكروم التى تعد العصب الرئيسي لصناعة الخمور التي تخصص اليهود فيه، الأمر الذي دعا ببعض الفقهاء لإصدار فتوى بكراهة بيع أصول الكروم لليهود والمسيحيين لأنهم يصنعون الخمر من ثمارها[1] ومن المزروعات التي غلب عليها الطابع النقدي أيضا وجعلت اليهود يهتمون كثيراً على العمل فيها زراعة الدخن والذرة والقطن والكمون والكروياء والحناء[2]. كما حرصوا على زراعة التاكوت " النيلج " الذي يعتمد على عصارته في دباغة الجلود[3]. .

أما فيما يخص المسيحيين فإن نشاطهم محدود جداً مقارنة بنشاط اليهود الواسع؛ ذلك لأنهم استقروا في مناطق سهلية ساحلية هذا وفق ما نوه عليه القاضي عياض بقوله[4]: " تفرغوا لزراعة الزيتون والمتاجرة بالزيت، وقد رُوي أن مسيحي من الساحل كان يصنع أجود الزيوت في المنطقة، فجاءوا إليه لشراء الزيت لصالح "البهلول بن رشد" فلما علم المسيحي بذلك تنازل عن نصف الثمن، ولكن البهلول رفض كرم ذلك المسيحي، فسأل ولم ؟ فقال ذكرت قول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّه وَرَسُولَهُ﴾ فخشيت أن آكل زيت النصراني، فأجد له في قلبي مودة، فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير، فمن خلال هذه الرواية يتضح لنا طبيعة المهن التي امتهنها المسيحيين في بلاد المغرب العربي الإسلامي[5].

(1) الونشريسي، المصدر السابق، ج6،ص 69.
(2) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 90.
(3) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 207.
(4) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج 3، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ص 98.
(5) القاضي عياض، المصدر السابق، ص 98.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢ – الصناعة:

اشتغل اليهود في عدد كبير وكثير من الصناعات والحرف، وصلت إلي قرابة مائتين وخمسين حرفة احترفوها في مدينة تونس لوحدها مع تخصصهم في بعضها مثل صناعة الحرير التي سيطروا على مختلف مراحلها بالمنطقة بدء بتربية دود القز و اقتناء المواد الأولية وصولا إلى الصباغة وبيع الحرير وتوزيعه، بحيث تخصص اليهود في كل الأعمال الحريرية ابتداً من تفكيك غزله إلى نسجه وصباغته ً وعمل يهود قابس في هذه الصناعة، وبرعوا فيها حيث أضحت صناعة الحرير في قابس، تضاهي منتجات صقلية والأندلس أكبر مراكز الحرير في ذلك الوقت[1].

كما نشطت دباغة الجلود في مدن الغرب العربي الإسلامي مثل برقة التي سكنها اليهود وعمروا فيها " ديار لدباغة الجلود البقرية والنمور الواصلة من أوجلة[2]، وكذلك قابس التي كثر بها اليهود وعملوا بدباغة الجلود "، كما اشتهر اليهود بأعمال النسيج والحياكة وعادة ما يجتمع صناع هذه الحرف المرتبطة بالنسيج والملابس في سوق واحد[3].

كذلك أمتهن اليهود صناعة السلال التي استعملت بمختلف أشكالها في النقل البحري، حيث يعبأ فيها النحاس والزجاج وملح الأمونيا والكتب[4]، كما عًرف اليهود بصياغة المعادن الثمينة من ذهب وفضة وصناعة النحاس[5].

(1) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 96.
(2) الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 311.
(3) زبيدة محمد عطا، اليهود في العالم العربي دارسة تاريخية في قضايا الهوية، ج1، عين للدارسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، 2003م، ص 181.
(4) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 97.
(5) روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 442.

ذكرت رسائل الجنيزة المنشورة باللغة العربية بعض الصنائع التي عمل بها اليهود وأهمها صناعة الأقمشة المعروفة بالسوسية نسبة إلى مدينة سوسة التونسية التي تصدر إلى مصر(1).

أما الصناعات الغذائية، فهناك فتاوى وقوانين من جانب المحتسب تختص بمنع اليهود والمسيحيين من العمل فيها كبيع الخبز؛ لأنهم يلجئون فيها للغش والتدليس، مثل عمل الخبز وبيع الزيت والخل وغيرها وخلط القمح الرديء بالطيب وخلط العسل الجيد بالرديء والزيت القديم، ناقص الوزن بالجديد، ومزج اللبن بالماء وقيام الجزارين منهم بخلط اللحم السمين بالمهزول أو النفخ في اللحم(2)، كما أن ممارستهم لهذه المهنة ترك لدى العامة الارتياب والشك بالأمر(3).

أما بالنسبة للمسيحيين فقد تفننوا في صناعة الخمور المحرمة على المسلمين شرعاً(4) وعلى الرغم من السماح للمسيحيين بتناول أطعمتهم و أشربتهم وكل ما أبيح لهم في دينهم من لحم خنزير والخمر، فإن تجاوزاتهم جلبت لهم ولليهود مضايقات من المحتسبين والقضاة، مثلما حدث في القيروان من تكسير لقدورهم التي يعتق فيها الخمور(5).

٣ – التجارة:

تعتبر التجارة بشقيها الداخلي والخارجي مهمة لكلا الطرفين – اليهود والمسيحيين؛ فعن طريقها يكسبون قوتهم اليومي، وفي سبيل ذلك اتبعوا طرق وأساليب تجارية تحفظ لم حقوقهم المالية منها علي سبيل المثال نظام المقايضة الذى هو عبارة

(1) مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 127 – 128.
(2) كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 72.
(3) الجامع في مسائل الأحكام، ج1، ص 633.
(4) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 98.
(5) الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 418

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

عن البيع بالمبادلة أو المقابلة أي تبادل مادة بمادة وفي سبيل معادلة لثمنه كما وجد بعض اليهود المنتصبين في سوق الصاغة بمدينة تونس[1].

كان للتجار اليهود باع كبير في المعاملات المالية كأعمال الإقراض والربا تطبيقاً ما جاء به التلمود اليهودي بزعمهم حين قال "إذا أردت أن تقتل الأجنبي بغير أن يثبت عليك علامات القتل فاستعمل الربا"[2].

كم كانوا يقومون بعمليات الصرف والقرض الرهني، والتي كانت تعرف عندئذ بالكمبيالة باسمها الروماني " كمبيو " وكان الناس يلجئون إليها للحصول على خلاص الأسرى المسلمين فكان من الأفضل التوجه نحو أحد أرباب البنوك اليهود الذين لهم علاقات في أوربا للحصول على نتائج إيجابية أكثر سهولة[3].

وبخصوص دور التجار اليهود في التجارة الخارجية سواء البرية أو البحرية فهناك عوامل ساعدتهم في نشاطهم التجاري أبرزها امتلاكهم لرؤوس الأموال، إضافة إلى إتقانهم لمختلف اللغات العربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية[4]، كما شارك اليهود ف القوافل التجارية المتجهة إلى المشرق و بلاد السودان[5] وارتادوا هذه الطرق الموغلة في الصحراء[6].

أما بالنسبة إلى أهم المبادلات التجارية اليهودية فقد كانت مع مرسيليا الفرنسية وذلك في منتصف القرن الثالث عشر ميلادي إذ كان أولئك اليهود يرسلون النقود

(1) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 112.
(2) زبيدة محمد عطا، المرجع السابق، ص، 214 – 215.
(3) روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 443.
(4) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 153.
(5) فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7 – 9 هـ/ 13 – 15 م، رسالة دكتواره في التاريخ الوسيط، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008–2009م، ص 255.
(6) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 107.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفضية والجلود والحرير[1]، إضافة إلى التوابل الشرقية كالفلفل، القرفة، القرنفل، الزنجبيل، المسك والكافور ونباتات الصباغة والدهانات وكذلك النباتات الطبية والعقاقير، ومن بين الموارد المستوردة عن طريق التجار اليهود، ملح الأمونيوم والخامات التي تستعمل في تصنيع الجواهر كاللؤلؤ والأحجار الكريمة، إضافة إلى المواد الغذائية التي من أهمها السكر ومربى الورد[2].

أما الصادرات فكان لهم دور بارز في تصدير بعض المنتجات الزراعية مثل الزيت الصابون والشمع والزعفران، أيضا اللوز الفريك و الفستق بحيث يذكر البكري " أن قفصة كانت تصدر الصابون والشمع والزعفران " ويحمل إلى مصر والأندلس وسجلماسة "[3].

كما أهتم اليهود بتجارة الرقيق، وحققوا من ورائها أرباحًا طائلة، وقد أكد على ذلك المقدسي الذي نوه على مدى مشاركة اليهود في تجارة العبيد بقوله " يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان[4].

أما ما يتعلق بالتجار المسحيين فقد، كانت لهم مباني خاصة بهم يزاولون فيها تجارتهم وكانت تلك المباني تسمي " الفندق " و الدكاكين، لبيع السلعة خاصة أن نشاطهم التجاري كان يعود على الخزينة بالفائدة فقد كان من صالح الدولة أن تحميهم باعتبارهم مقوم من مقومات ثراء خزانة الدولة آنذاك[5].

(1) روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 443.
(2) مسعود كواتي، المرجع السابق، ص123.
(3) البكري، المصدر السابق، ص 41، 47.
(4) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1906م ص 239
(5) روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص ص 463 – 464 – 465 .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وبتزايد عدد التجار المسيحيين المقيمين بالبلاد المغربية تطور هذا الفندق ليصبح بناء يحيط به فناء واسع، إن انتشار تلك الفنادق في الشمال الإفريقي يعكس وجود طائفة مسيحية كبيرة بالمنطقة حيث ذكر الرحالة الحسن الوازن [1]. أنه يوجد بفاس وحدها مائتا بناية في غاية الإتقان، وفيها ما يشتمل على مائة وعشرين غرفة ومنها ما يشتمل على أكثر من ذلك [2].

في مدينة تونس أصبح الفندق مقراً للتمثيل السياسي والتجاري لهذه الطوائف ومدافعاً عن مصالحها ومعالجة قضايا التجار كل حسب انتمائه، وأرتبط هذا المكان بوجود نمط معين في حياتهم لوجود كنيسة صغيرة وحانة لشرب الخمر وفرن للخبز ومقبرة خاصة بها بهذا البناء سور يفصل الفندق عن الخارج[3].

تعد صناعة الخمور من أهم مورد لمداخيل القنصل عند كل الطوائف ولا سيما وأنها تباع بالجملة والتفصيل، ولذلك نجد أن التعامل بالممنوعات التي كانت مباحة داخل القصور السلطانية دفع بالفقهاء لمحاولة منع المسلمين من الاختلاط بالتجار المسيحيين و إصدار فتاوى تحرم السفر إليهم والاتجار مع مراكز صناعة الآلات الحرب وكذا التجارة بالأخشاب والخيول والنحاس وكل ماله علاقة بالتجهيز العسكري في بلاد المسيح الذين كانوا بدورهم خاضعين إلى قرارات الحظر الصادرة عن الكنيسة بخصوص تلك الإمدادات للمسلمين[4].

(1) الوزان، وصف أفريقيا، ج1، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 231.
(2) المصدر نفسه الصفحة.
(3) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
(4) روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 267.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الخاتمة:

صفوة القول حول ما عُرض سابقـًا يلاحظ بأن اليهود والمسيحيين عملوا على تأكيد وجودهم الزماني والمكاني في بلاد المغرب العربي الإسلامي من خلال توزعهم واستقرارهم في عدد من مدنه، إضافة إلي حرصهم على احترام الوجود الإسلامي بالمنطقة والمتمثل في المسلمين الذين سمحوا لهم بممارسة طقوسهم الدينية والاجتماعية ومعاملاتهم لاقتصادية دون التعدي والتدخل في شؤون المسلمين وبما يتفق على ما جاء الدين الإسلامي حول كيفية التعامل مع أهل الذمة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

1. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد) ت 1160م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د – ت).
2. البرزلي (أبو القاسم ن أحمد البلوي)ت 841هـ / 1438م، الجامع في مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ج3، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، 2004م.
3. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن أيوب) ت 1094م، المغرب في ذكر أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د –ت).
4. التيجاني (أبو محمد عبد الله بن أحمد) ت 675هـ / 1276م، رحلته، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م.
5. ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت 820هـ/ 912م، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889م.
6. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ن خلدون الحضرمي) ت 1332هـ / 1406م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص 14.
7. الحموي (ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله) ت 622هـ/ 1225م، معجم البلدان، مج 4، دار صادر، بيروت، 1977م.
8. الحميري (أبو عبد الله محمد عبد المنعم) ت 900هـ / 1495، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2،

1984م.

9. ابن أبي زرع (أبو الحسن بن أبي زرع الفاسي) ت 726هـ/ 1326م، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972م،

10. ابن عبدا لحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله) 257هـ / 870م، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1961م

11. أبو الفدا (عمد الدين إسماعيل) ت 732هـ/ 1332م، المختصر في أخبار البشر، ج1، المطبعة الحسينية، القاهرة، (د- ت)، ص 90.

12. القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن عمرو بن موسي السبتي) ت 544هـ/ 1149م، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج 3، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

13. القلقشندي (شهاب أبو العباس أحمد بن على) ت 821هـ/ 1418م، صبح الأعشي في صناعة الإنشا، ج2، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م.

14. الماوردي (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب) ت 450هـ/ 1058م، الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989 م.

15. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (د - ت).

16. المقدسي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر) ت380هـ م/ 990م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1906م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

17. الوزان (الحسن بن محمد الفاسي) ت 1554م، وصف أفريقيا، ج1، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

18. الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيي) ت 1508م، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج8، دار الغرب الإسلامي، الأوقاف والشؤون الإسلامية . بيروت، 1981م.

19. اليعقوبي (أبو يعقوب بن واضح) ت 274هـ/ 897م، البلدان، طبعة ليدن، 1892م.

ثانياً: المراجع العربية والمُعربة:

20. أبراهام شتال، تاريخ يهود المغرب، وزارة التعليم، القدس، 1974م.

21. حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، (د – ت).

22. روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية 15، ج1، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

23. زبيدة محمد عطا، اليهود في العالم العربي دارسة تا ريخية في قضايا الهوية، ج1، عين للدارسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، 2003م.

24. سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995م.

25. شارل أندري جوليان تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي وآخرون، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر، (د – ت).

26. عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي (22 – 462هـ/ 642 – 1070م)، عين للدارسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، 2001م.

27. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة، 1993م.
28. كمال أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996 م.
29. مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2009م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

30. فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7 – 9 هـ / 13 – 15 م، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008–2009م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مسندم في كتابات الرحالة الغربيين

د. علي عفيفي علي غازي[1]

الملخص

يُمثل استقراء وتحليل ما ورد في كتابات الرحالة الغربيين ضرورة تاريخية، باعتبار أن ما كتبوه مصدرًا مهمًا، في ظل غياب التدوين لدى أهل شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، كما أنه في الوقت نفسه يُمثل رؤية الآخر، والتي دائمًا ما تكون أكثر دقة، لأنها ترصد الطبيعي والمألوف، وليس فقط الشاذ، والدخيل، رغم أنها قد تكون ناقدة أو غير محايدة في التحليل. انطلاقًا من تلك الرؤية يُحلل هذا البحث ما ورد عن منطقة "مسندم"، التابعة لسلطنة عمان، في كتابات ثلاثة عشرة من الرحالة الغربيين، مروا بها أثناء رحلاتهم في منطقة الخليج العربي، على مدار أكثر من أربعة قرون تمتد من بداية القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن العشرين، وهم: جسبارو بالبي، جوزيف سالبنكي، كارستن نيبور، ديفيد سيتون، روبرت تايلور، وليم بالجريف، صموئيل زويمر، جون لوريمر، كرستجي، بيرترام توماس، وليم ريتشارد وليمسون، يتر غلوب، جون بولوك.

الكلمات المفتاحية: مسندم، سلطنة عمان، الخليج العربي، الرحالة الغربيون.

(1) صحفي وأكاديمي مصري.

Musandam in the Writings of Western Travelers

Dr. Aly Afify Aly Ghazy(1)

Summary

Within the absence of historiography, "documented historical writings," in the Arabian Peninsula and the Arabian Gulf, the extrapolation and analysis of Western travellers' writings considered as a historical necessity. These travellers' accounts contain valuable information that recognized as valuable sources for the Arabian Peninsula and the Arabian Gulf. At the same time, they represent the perspectives and visions of the other, which are often accurate; because they described ordinary and unusual activities, traditions and habits, vents, and etc. However, they are, sometimes, prejudiced in their analysis and interpretations. In consequent to that, this study analyses the mentions, perceptions, and descriptions of the "Musandam" area, in the Sultanate of Oman, in the writings of Thirteen-western travellers, who travelled to the Arabian Gulf for the sixteenth to mid-twentieth century. Those travellers are Gasparo Balbi, Joseph Salbancke, Carsten Niebuhr, David Seton, Robert Taylor, William Palgrave, Samuel Zwemer, John Lorimer, Cursetjee, Birtram Thomas, William Richard Williamson, Peter Globe, and John Bulloch.

Keywords: Musandam, Oman, Arabian Gulf, Western Travelers.

(1) Egyptian journalist and Academic.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المقدمة

يتناول هذا البحث من خلال منهج البحث التاريخي التحليلي المقارن ما ورد عن منطقة "مسندم" في كتابات ثلاثة عشرة من الرحالة الغربيين، ممن جابوا شبه الجزيرة العربية والخليج العربي؛ لأهداف مختلفة، على مدار أكثر من أربعة قرون تمتد من بداية القرن السادس عشر الميلادي، وحتى منتصف القرن العشرين، ويهدف لطرح رؤية الآخر لمعرفة كيف رأى هؤلاء المنطقة، وبما وصفوها، وما كانت تمثله للبحارة في الخليج، وما تمتعت به من سمعة لدى البحارة العرب المحليين، بالإضافة لما يتردد عنها من شائعات لدى الأوروبيين من الرحالة والبحارة والعسكريين والسياسين والدبلوماسيين. ويأتي ذلك انطلاقًا من أهمية كتابات الرحالة كمصدر تاريخي مهم في ظل غياب التسجيل والتوثيق المحلي، وباعتبارهم عين الآخر الوافدة الراصدة المحللة الناقدة؛ بهدف تقديم الواقع كما شاهدوه في حينه؛ لنسترشد به في حاضرنا، وننير به مستقبلنا.

وفق ذلك يهدف البحث إلى تحليل ما ورد في كتابات هؤلاء الرحالة الغربيين، للتعرّف على وصفهم للمنطقة، جغرافيًا واقتصاديًا واستراتيجيًا واجتماعيًا. ومن هنا تأتي أهمية البحث في تسليط الأضواء على منطقة لم يُكتب عنها إلا القليل، ومعرفة كيف وصفها الرحالة، خاصة في ظل ندرة المصادر التي تناولتها، وهكذا يُمكن حصر إشكالية البحث في التساؤلات التالية: ما هي رؤية الرحالة الغربيين لمسندم؟ وهل تشابهت رؤاهم على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم؟ وهل اتفقت أم اختلفت في توصيفها وتوصيف عادات وتقاليد وقيم أهلها؟ وهل صدقت رؤيتهم أم أنه داخلها الخيال والأيديولوجيا الغربية المتأثرة بالكولونيالية والإمبريالية ضد كل ما هو شرقي؟ وللإجابة على هذه التساؤلات قسّم الباحث بحثه وفق منهجية تاريخية تتناول ما ورد عنها عند الأقدم من الرحالة فالأحدث. ويفتتح

البحث بمقدمة تُعرّف بمنطقة مسندم جغرافيًا واقتصاديًا، واستراتيجيًا، وعسكريًا، ثم يُحلل الباحث ما ورد عنها في كتابات ثلاثة عشرة من الرحالة الغربيين، مروا بها أثناء رحلاتهم في منطقة الخليج العربي، على مدار أكثر من أربعة قرون تمتد من بداية القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن العشرين، وهم: جسبارو بالبي، جوزيف سالبنكي، كارستن نيبور، ديفيد سيتون، روبرت تايلور، وليم بالجريف، صموئيل زويمر، جون لوريمر، كرستجي، بيرترام توماس، وليم ريتشارد وليمسون، يتر غلوب، جون بولوك. وأخيرًا يتضمن البحث خاتمة تستعرض النتائج التي توصلت لها الدراسة، ويختتم بقائمة للمصادر والمراجع، التي تُشكِّل حجر الأساس الذي استند إليه البحث.

تقع منطقة "مسندم" في أقصى شمال سلطنة عُمان، على مضيق هرمز، وتتمتع بتضاريس جبلية، وتتميز بأهمية اقتصادية كبيرة، إذ تشتهر، عبر التاريخ، بنخيلها الوارف، ويُقدِّر إجمالي عدد النخيل في المحافظة، وفق إحصاء عام 1969، بحوالي 167068 نخلة مُشكلًا ما نسبته 2,1 ٪ من أعداد النخيل في السلطنة. ويبلغ عدد أشجار النخيل المثمرة في المحافظة حوالي 132930 نخلة، ويبلغ متوسط إنتاجية النخلة المثمرة الواحدة حوالي 10.28 كجم، وتقدّر الإنتاجية الإجمالية للمحافظة من التمور بحوالي 1366 طنًا سنويًا، وهي تُشكِّل ما نسبته 0.8 ٪ من الإنتاج الكلي للتمور في السلطنة[1].

تُعدُّ رأس مسندم مفتاح الخليج العربي، والمتحكم في مدخله، وأهميتها الإستراتيجية أشبه بأهمية جبل طارق في البحر المتوسط. وهي منتهى منطقة رؤوس

(1) عادل رضا: عمان والخليج العربي؛ قضايا ومناقشات، (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1969)، ص 91.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الجبال، ومواجة لمضيق هرمز، بوابة الخليج العربي. ومن رأس مسندم يتمّ التحكم في المضيق أو إغلاقه؛ نظرًا لما تتمتع به من موقع جيوستراتيجي مهم جدًا[1].

وتبدأ السلسلة الجبلية، التى تُشكِّل العمود الفقري لعُمان من رأس مسندم، وتُعرف في الأدبيات الجغرافية باسم "رؤوس الجبال"[2]، وفي الواقع هي مرادف لإقليم الشحوح، وبداية ساحل الرؤوس عند خليج "دبا" في الخليج حتى رأس شعم مرورًا برأس مسندم، وشمالًا من جبل حريم، يتقلص الارتفاع العام للقمم تدريجيًا حتى تنتهي الجبال عند رأس مسندم في جرف مفاجئ[3]. و"رؤوس الجبال" قاحلة لا زراعة فيها، ويعمل الأهالي في حصاد التمور بمنطقة الباطنة، وصيد الأسماك من البحر[4].

وتشتمل المنطقة على عدة جزر منها: أم الغنم، ومقلب (جزيرة التلغراف). وبين مُسندم واليابسة مضيق "فك الأسد"، وعدة أخوار منها قوي، مالكولم، وإلفنستون وغيرها[5]. ويتحكم في مدخل الخليج مجموعة من ثلاث جزر منها جزيرتي "القيوين"، كما يُسميها الرحالة الأوروبيون، أما الرحالة العرب فيسمونها سلامه

(1) أنطوان متى: الخليج العربي من الاستعمار البريطاني للثورة الإيرانية 1798 – 1978، (بيروت: دار الجيل، 1993)، ص 22؛ سير روبرت هاي: دول الخليج الفارسي، يوسف الشاروني (ترجمة)، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004)، ص 21.

(2) محمد بن عبد الله بن حمد الحارثي: موسوعة عمان؛ الوثائق السرية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، ج1، ص 399.

(3) G. M. Lees, Reginald A. Smith and N. B. Kinnear: "The Physical Geography of South-Eastern Arabia", the Geographical Journal, Vol. 71, No. 5 (May 1928), P.445.

(4) محمد مرسي عبد الله: إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى 1793 – 1818، (القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1987)، ص 29، 30.

(5) لوريمر ج. ج.: دليل الخليج، القسم التاريخي، (الدوحة: ديوان أمير دولة قطر، د. ت.)، ج 7، ص 3853، 3854.

وبناتها[1]، والتى تقع في وسط المضيق إلى الشمال الشرقي من جزيرة مسندم، وتكمن أهمية هذه الجزر في كون المسافة التي تفصلها عن جزيرة لارك الفارسية هى الأضيق اتساعًا في المضيق، والتي على السفن جميعها الداخله والخارجة أن تمر خلالها. ولجزيرة أم الغنم، القريبة من شبه جزيرة مسندم أهمية عسكرية تتمثل في حماية الطريق البحري، وترتبط عمان بالخليج العربي عبر منطقة رأس مسندم، تلك القطعة الصغيرة من الأراضي العمانية[2].

1. جسبارو بالبي Gasparo Balbi (1550-1625)

تبدأ رحلة الجوهري الإيطالي، والرحالة البندقي، جسبارو بالبي، تاجر البلاط الملكي، عند مغادرته حلب في 13 ديسمبر 1579،وبعد يومين يصل إلى بيرة جك على الفرات، حيث يستقل مركبًا ينحدر به إلى الفلوجة. ومنها برًا إلى بغداد؛ لينزل في نهر دجلة حتى البصرة، التي يصلها في 21 مارس 1580، ويُغادرها بحرًا إلى هرمز، وبعد أن يرحل في الهند وسيلان وغيرهما، يعود في عام 1587 إلى البصرة، ومنها إلى بغداد عن طريق نهر دجلة فيصلها في 23 نوفمبر، ثم يتركها إلى حلب عائدًا إلى وطنه[3].

---

(1) جون كيلي: بريطانيا والخليج 1795 – 1870، محمد أمين عبد الله (ترجمة)، (عمان: وزارة التراث والثقافة، 1979)، ج1، ص 32.

(2) El MallakhRagaei: "Economic Requirements for Development Oman", Middle East Journal, Vol. 26, No. 4 (Autumn 1972), p.415.

(3) كاسبارو بالبي: رحلة الإيطالي كاسباروا بالبي إلى حلب– دير الزور– عنه– الفلوجة– بغداد سنة 1579، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2008)، ص 5–14؛ علي عفيفي علي غازي: "رحالة زارو الإمارات جسبارو بالبي"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 49، (أكتوبر 2016)، ص 28–31؛ علي عفيفي علي غازي: "رحالة زارو قطر (6) جسبارو بالبي"، مجلة الدانة، العدد 44، (سبتمبر 2015)، ص 68، 69.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يعود بالبي إلى وطنه فينكب على كتابة أخبار رحلته، في حوالي 159 صفحة، وينشرها في عام 1590 بالبندقية، واضعًا لها عنوانًا طويلا مشوقًا: "رحلة إلى الهند الشرقية للجوهري البندقي جسبارو بالبي، التي تحتوي على ما رآه خلال تسع سنوات بين 1579 إلى 1588، مع الحديث عن الضرائب والأوزان والمقاييس في كل المدن خلال تلك الرحلة"، ويذهب في إحصائه لقرى الساحل العربي للخليج فيذكر خصب Casab وكمزار Conzar وخور فكان Chorf، ثم مسندم Mesendenderadi، وليما Lima وكلباء Chelb. ويذهب بعد ذلك ليُعدد مواقع أخرى في عمان[1].

2. جوزيف سالبنكي Joseph Salbancke

يُطالعنا في مطلع القرن السابع عشر التاجر الإنجليزي جوزيف سالبانكي، أحد مؤسسي شركة الهند الشرقية البريطانية The East India company في عام 1600، بحسبانه الرحالة الأوروبي الأول، الذي قطع "سبخات" ورمال المنطقة الممتدة من قطر حتى ليما في شبه جزيرة مسندم على ظهر بعير مع قافلة في صحبة مجموعة من العرب في حوالي عام 1624[2]. وعلى الرغم من أننا لم نتمكن من الوصول إلى المصدر، الذي وردت فيه أخبار هذه الرحلة، إلا أننا يُمكن أن نعتمد هذه الرواية. فالطريق البري بين مسقط وقطر، الذي يحمل تجارة مسقط وعمان إلى الأحساء برّا، وإلى البحرين بحرًا، قديم ومشهور[3].

(1) Pedro Teixeira: The Travels of Perdo Teixeira, Translation by William F. Sinclair, (London: the Hakluyt Society, 1902), pp. 176, 177.

(2) سلوت، ب، ج، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية 1602-1784، عايدة خوري (ترجمة)، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1993). ص48.

(3) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: قطر الحديثة، قراءة في سنوات نشأة إمارة آل ثاني 1830-1916، (بيروت: دار الساقي، 2013)، ص 30.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

3. كارستن نيبور Carsten Niebuhr (1733-1815)

ينطلق الرحالة الدنماركي من أصل ألماني كارستن نيبور في بعثة علمية برعاية فريدريك الخامس، ملك الدنمارك (1746-1766)، إلى بلدان الشرق الأدنى، وجنوب الجزيرة العربية، وخاصة العربية السعيدة Arabia Felix، لتقصي الأخبار والمعلومات العلمية عنها، وسد النقص في المعارف عن جغرافيتها وأحوالها، وفي طريق الرحلة إلى الهند يموت جميع أفراد البعثة، ليعود نيبور عبر الخليج العربي وحده[1].

ويكتب عن رأس مسندم يقول "في مساء يوم العشرين (20 يناير 1765) رأينا رأس جاسك Jask الواقع على الشواطئ الفارسية، وبعد ظهر اليوم 21 كنا على ارتفاع 25 48 من القطب، كان كوه مبارك المسمى بومبارك Bombareck على الخرائط الأوروبية يبعد 3 وثلاثة أرباع الميل شرقًا باتجاه الشمال، ويقع عند 25 21 بعد ظهر اليوم 23 كان ارتفاع القطب من السفينة يبلغ 26 83، ومن جزيرة سلامة 26 82، لكن ربما لم يكن مرصدي هنا شديد الدقة؛ لأن رأس مسندم كان يُعيق نظري، إذ إن الجزيرة التي كانت عليه حجبت بعضًا من خط الشفق عني، في اليوم 24 وجدت ارتفاع القطب في جزيرة طنب، وكان 26 14 حتى في هذا الوقت كان الهواء شديد التقلب، فيهدأ أحيانًا ثم يكفهر الجو، وتُمطر أحيانًا، واستمر هذا المناخ المتغير إلى أن اقتربنا من بوشهر"[2].

(1) علي عفيفي علي غازي: "الخط العربي في كتابات الرحالة كارستن نيبور"، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني (2016)، ص 48-55؛ علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا الإمارات - كارستن نيبور"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 46، (يونيو 2016)، ص 26-29؛ علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا قطر (7) كارستن نيبور"، مجلة الدانة، العدد 45، (أكتوبر 2015)، ص 52، 53.

(2) كارستن نيبور: رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، عبير المنذر (ترجمة)، (بيروت: دار الانتشار العربي، 2007)، ص 84، 85.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

4. ديفيد سيتونDavid Seton

يُعرف القليل عن ديفيد سيتون، قبل أن يُرشح من قبل حاكم بومباي؛ ليخلف الدكتور بوجل Bogle، أول وكيل لشركة الهند الشرقية في مسقط، في بداية أكتوبر 1800، وقد أطراه حاكم بومباي بقوله: "إنه رجل مؤهل تأهيلًا جيدًا جدًا لتأدية واجبات المقيمية، مع معرفته بالمنطقة واللغات، ولطافته وأخلاقه وخبرته في معرفة شخصية المواطنين بوجه عام". وبعد أن يُزود سيتون بتعليمات تقضي بأن يتعاون مع وكلاء الشركة في كلٍ من بغداد والبصرة وبوشهر، يركب السفينة "جفرنر دنكان Governor Duncan" ويتجه إلى مسقط ليصلها في 2 ديسمبر 1800. ليعمل طوال السنوات الثمانية، التي قضاها في مسقط على إرساء قواعد النفوذ البريطاني في سلطنة عمان والساحل المهادن (الإمارات العربية المتحدة).

يقوم سيتون بجولات في الخليج العربي ما بين (1800-1809)، تبدأ في الأول من نوفمبر 1801، إذ يركب مع السيد سلطان بن أحمد البوسعيدي، سلطان مسقط (1792-1804)، سفينة السلطان "جنجافة" في رحلته من مسقط إلى جزيرة البحرين. ويطوّف بسواحل الخليج، ويُدّون مشاهداته. وتبدأ جولته من جزيرة مسقط، مرورًا بالسويدا، ثم صحار، موطن عائلة إمام مسقط، ويُبحر إلى ساحل مكران، فيمر من أمام رأس مسندم، أو رؤوس الجبال كما يُسميها العرب، الذين يعيشون على جوانبها، وهم من قبيلة الشحوح، ويُلقي مرساه عند جزيرة لارك، ويُبحر ليلًا إلى بندر عباس، وفي اليوم التالي يرسو عند جزيرة قشم، التابعة لأمير عربي من قبيلة بني مُعين يُدعى الشيخ عبد الله، كي يتزود بالماء. وينتقل إلى خصب، ويُسافر إلى الرمس، أول مكان تابع للقواسم، وعند الظهيرة يمر بجزيرة طنب الكبرى، وبالمساء يمر مقابل لنجة وشناص على ساحل فارس، ويذكر أن كلا المكانين تحت سيطرة الشيخ صقر بن راشد القاسمي، حاكم رأس الخيمة

(1777-1803)، ثم بلدة مغوه مقر قبيلة بني المرازيق، ويرسو مقابل جزيرة قيس، ويمر بهندرابي وشتوار وجزيرة الشيخ شعيب، التابعة للشيخ رحمة من قبيلة بني مُعين.

يرسو سيتون في يوم 9 نوفمبر 1801 أمام رأس مسندم، فيقول إن هذا الرأس البارز من اليابسة يُسميه العرب رؤوس الجبال، ويوجد على جانبه الشرقي خليج صغير باتجاه الغرب، حيث يلقاه خليج آخر من الغرب، ويمنع تلامسهما، ويحول رؤوس الجبال إلى جزيرة وجود تلة ضيقة عرضها حوالي مائة قدم. وتُسمى هذه الخلجان السندانات، ويعيش على جوانبها قبيلة تُسمى الشحوح، تتألف من ثلاثة آلاف رجل، يعتنقون الإسلام، ولكن ليس لديهم أئمة لأداء الصلاة جماعة على الإطلاق، ويعيشون على صيد الأسماك، تأتي قطعان الأسماك إلى الشاطئ فيراها رجل على التل، ويعرف من لون الماء اتجاه حركتها، فيوجه المراكب إليها بتلويح قطعة من النسيج يُدلهم بها على مكان وجود الأسماك، فيصطادونها ويُجففونها، ويبعثون بها إلى مسقط والبصرة، وإذا ما اضطر سوء الأحوال الجوية أية سفينة إلى اللجو إلى خلجانهم يستولون عليها... ومررنا بين حجر الزاوية ورأس مسندم، أو كما يقول العرب سلامة ورؤوس الجبال[1].

5. روبرت تايلور Robert Taylor

يكتب في عام 1818 الكابتن روبرت تايلور، القائد في الكتيبة الثالثة بمدفعية بومباي الوطنية ومساعد الوكيل السياسي في العراق مستخلصات موجزة تحتوي على معلومات تاريخية وغير ذلك من معلومات عن إقليم عُمان، ومسقط

(1) ديفيد سيتون: يوميات ديفيد سيتون في الخليج 1800-1809، سلطان بن محمد القاسمي (تحقيق)، (الشارقة: الخليج للصحافة والطباعة والنشر، 1994)، ص 27، 28، 31، 39، 45؛ علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا الإمارات - ديفيد سيتون"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 50، (نوفمبر 2016)، ص 32-34.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

والمناطق المتاخمة له، وجزر البحرين، وهرمز، وقشم، وخارج (شارك) وموانئ ومواقع أخرى في الخليج الفارسي، ونشرها توماس هيوز في عام 1856، فكتب يقول: "يُطلق الأهالي على الرأس أو النتوء الصخري البارز اسم مسندم. يتكون هذا الرأس من سلسلة من الجبال الصخرية، التي تمتد من حافته الشرقية عند خط عرض ً25 ْ53 شمالًا؛ لتنتهي عند البحر في اللسان الأرضي البارز، الذي يُعرف بالاسم ذاته. إن رأس مسندم كثير التعرجات مما يُهيء عددًا من المراسي الآمنة للسفن، وثمّة جزيرة كبيرة تقع مباشرة شمال شرق الرأس بصفة مباشرة عند خط عرض ً30 ً22 ْ26، ويفصل بينها وبين اليابسة خور يُسمى أسندم، يُشكل قناة لا يُمكن للسفن عبورها، فهي ضيِّقة جدًا، أما عمقها فهو، على كل حال، لا يقلّ أبدًا عن ست عشرة قامة. ومما لا شك فيه أن هذه القناة قد انشقت عن اليابسة الصخرية في فترة من فترات ثورة الطبيعة العارمة. ويُطلق الأهالي على هذا الرأس اسم رؤوس الجبال، بينما يُسميه الملاحون البريطانيون، رأس مسندم.

يشق رأس مسندم جون بحري يتوغل في الداخل لمسافة يوم. ويسكن أطراف هذا الجون فرع من قبيلة الشحيين، الذين يصل عددهم إلى ثلاثة آلاف رجل، وهم مسلمون، وإن كانوا غير ملتزمين بشكل كامل بطقوس الإسلام وشعائره، أو، في الحقيقة، فإنهم لا يتقيدون بأية تعاليم دينية. وقد عجز شيوخ الوهابيين خلال فترة طويلة عن تحويلهم لاتِّباع منهجهم في الممارسات الدينية، وفي القيام بالقرصنة، كما أنهم لم يؤدوا للوهابيين زكاة.

تختلف لغة الشحيين عن لغة القبائل الأخرى. وبما أن العديد منهم يمتاز بلون شعره الأحمر، فيُمكن أن نستخلص، بشكل أو بآخر، ونتفق مع ما يقوله العرب، أن لغة هؤلاء القوم هي خليط غير دقيق من لهجات أسلافهم البرتغاليين والدينماركيين طُعِّمت بمخزون غير نقي من اللغة العربية. كان لكلا هذين الشعبين

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

البرتغالي والدنيماركي مستوطنات في أسندم. كما كانت لهم أيضًا مستوطنات في خصب، وهو خليج يقع إلى الغرب من هذا الرأس، حيث كانت توجد صناعة مزدهرة لقماش من نوع خاص، لا تزال صناعته قائمة إلى الآن، ويُستعمل هذا النسيج منذ فترة طويلة على امتداد جانبي الخليج، يُعصبون به الرؤوس ويتحزمون به. ويُقال أيضًا أن خصب تضمّ جماعة من سلالة البرتغاليين يعملون في حرفة صيد السمك المتواضعة.

توجد ثلاث جزر، أو بالأحرى ثلاث صخور كبيرة جافة مجدبة إلى الشمال من رأس مسندم يُطلق عليها العرب اسم سلامة. تبتعد الجزيرة التي تقع في أقصى الشمال في خط عرض ً30 َ29 ْ26 شمالا على بعد عشرة أميال من الرأس إلى الشمال من الحافة الشرقية لخور أسندم، الذي يقع عند خط عرض ً30 َ22 ْ26 شمالًا. الماء في جوار هذه الجزر عميق، والقناة الفاصلة بينها وبين اليابسة واسعة وآمنة، إلا أن التيار هنا يجري بسرعة؛ بل يُمكن وصف سرعة جريانه بالخطرة. وتقع جزر الغنم قبالة خصب"[1].

6. وليم جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave (1826-1888)

بحكم أن الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف كان طبيبًا، ولندرة الأطباء في شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت أصبح مُقربًا إلى الصفوة ودوائر صنع القرار؛ ما

(1) Hughes Thomas (compiled and edited): Arabian Gulf Intelligence, Selections from the Records of the Bombay Government, concerning Arabia, Bahrain, Kuwait, Muscat and Oman, Qatar, United Arab Emirates and the Islands of the Gulf, Robin Bidwell (introduced), (London: The Oleander press, 1985).

توماس هيجز: مختارات من وثائق حكومة بومباي، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم (ترجمة)، حسن بن محمد بن علي آل ثاني (تقديم ومراجعة وتعليق)، (الدوحة: مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، 2017)، ص 31، 32.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

جعله قريبًا من الأحداث، وقضى بالجريف في الرياض فترة من الزمن تصل إلى قرابة الخمسين يومًا (1862)، ينتقل بعدها إلى الأحساء من دون أن يُكتشف أمره، ثم إلى البحرين، وقطر، حيث يزور رأس ركان، والبدع، والدوحة، والوكرة؛ ويتكلم عن بدو المناصير وبنو ياس، ويُغادر قطر إلى بر فارس على سفينة فارسية، ويتحدث عن صخور حالول، وينزل في جارك، ثم يُبحر إلى لنجة، ومنها إلى ساحل عمان، حيث يزور الشارقة وخورها وميناءها، ثم يصل بحرًا من السويق إلى صحار، ويزور رأس الخيمة، ورؤس الجبال، وشعم، وخصب، ويصل إلى رأس مسندم، ويرى صخور سلامة، ويزور هرمز، ووربه، وليمة وميناءها، ويزور قلحاط (قلحوط) وقطاع اللحي، والباطنة، والفجيرة، ثم يصل إلى مسقط، والظاهرة، والجبل الأخضر. وأخيرًا يُغادر مسقط إلى بندر عباس وبوشهر ثم البصرة، ومنها إلى بغداد، ثم يعود إلى ساحل البحر المتوسط ليُبحر في النهاية عائدًا إلى بريطانيا[1].

يقول عن رأس مسندم: "أبحرنا على أمل أن ندور حول رأس مسندم في الليلة نفسها، ولكن القدر كان يُخبئ لنا زيارة بعض الأماكن الأخرى عن طريق المصادفة، وكان الوقت متأخرًا فعلًا عندما وصلنا إلى اللسان، وشاهدنا أمامنا الممر البحري الضيق، الذي يجري بين الصخور البعيدة في رأس مسندم، والأرض الرئيسة التي يقع عليها الرأس، وهذا المضيق يُسمونه هنا "باب"، وهذا يُمثل منظرًا ساحرًا، وتوجد جروف مرتفعه على جانبيه، والماء ينساب من خلفه عميقًا أسود، والصخور هنا جرداء تمامًا، وصالحة جدًا لشطر المركب سيئة الحظ بكل أنواعها، إذا ما اصطدمت بها، ومن هنا، ومن اندفاع الموجات السوداء، التي لا تنتهي جاء

(1) علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا الإمارات – وليم جيفورد بالجريف"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 52، (يناير 2017)، ص 30–33؛ علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا قطر (2) وليم جيفورد بالجريف"، مجلة الدانة، العدد 39، (مارس 2015)، ص 60–61.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100081702225

الاسم مسندم، أو إن شئت فقل السندان، والاسم المناسب الذي يُطلق على هذه الرأس في بعض الأحيان، ولكن هذا ليس كل ما في هذا الأمر، نظرًا لأن هناك صخرة مربعة ضخمة من البازلت تبرز من وسط المياه في عرض البحر، ويزيد ارتفاعها على مائة قدم أو أكثر، وتقف وحيدة وسط الماء، وهذه الصخرة يُطلق عليها اسم "سلامة"، وهي طريقة لطيفة في التعبير عن الخطر، كما هو الحال في الأيومينات، في علم اللاهوت عند الإغريق، هذه الصخرة تشهد وتتسبب في كثير من حالات تحطم السفن، والواقع إن حالات تحطم السفن هنا بلغت من الكثرة حدًا جعل الناس يظنون أن الشيطان هو الذي وضع هذه الصخرة في هذا المكان عامدًا متعمدًا...، أخيرًا فإن ما بين صخور الرأس نفسها، وقمم الرأس مسندم المخيفة، وسلامة صاحبة الفأل السيء، هي وكل أسرتها الخائنة، التي تستحق بكل المعايير أن يُطلق عليها هذا الاسم، علاوة أيضًا على جزيرتي لارج وهرمز الصخريتين، واللتين لا تبعدان مسافة كبيرة عن صخرة سلامة الأم، في كل هذه المسافة فإن المضيق بعيدًا كل البعد عن الانفتاح أو السلامة، وبخاصة عند الملاحين العرب، يُضاف إلى ذلك أن التيارات القوية والمتقلبة، التي تكتسح ذلك المدخل الضيق، وكذلك العواصف المتكررة، التي تنشأ وتتولد فوق مرتفعات رؤوس الجبال، وفي عمان، أو التي تندفع هابطة من سلسلة مرتفعات الخليج الجبلية الموجودة خلف بندر عباس على الجانب المقابل من المضيق تزيد من أخطار هذه المنطقة"[1].

7. صموئيل مارينوس زويمر Samuel Marinus Zwemer، (1867-1952)

يبدأ الباحث والرحالة المبشر الأمريكي من أصل هولندي صموئيل مارينوس زويمر، أحد مؤسسي الإرسالية الأمريكية في البلاد العربية، نشاطه التبشيري كمبشر

(1) وليم جيفورد بالجريف: وسط الجزيرة العربية وشرقها، 2ج، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافه، 2001)، ج2، ص 371.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

بروتستانتي، في البصرة. وفي عام 1891، يقوم بأول رحلة تبشيرية له، وكانت إلى جدة، وفي العام التالي يقوم كذلك بأول رحلة إلى منطقة الخليج، عندما سافر إلى الأحساء والمناطق القريبة منها. ثم ينتقل مع زوجته إيمي إلى البحرين، ويظل بها حتى عام 1905، رئيسًا للبعثة التبشيرية، ويتخذ منها محطةً للتبشير، ويؤسس فيها مقرًا تابعًا للإرسالية الأمريكية في البلاد العربية. ويُطلق عليه أهالي البحرين "ضيف إبليس". وكانت طريقته الرئيسة للتبشير هي توزيع الكتب والحوارات الشخصية. وأنشأ معهد يُسمى باسم "معهد زويمر"؛ تخليدًا لأعماله في سبيل التبشير، وكان هدف المعهد الأول والأساس هو تنصير المسلمين. ويقود حملة تبشيرية بالمسيحية في المنطقة العربية، ويُلاقي رفضًا كبيرًا من المسلمين والمسيحيين، حيث رأى به الطرف الأول عدوًا يُحاول تغيير دين آبائهم وأجدادهم، أما الطرف الثاني فرأى به مبشرًا بعقائد ليست من عقائد أهل المسيحية في العالم العربي. وتؤكد كتابات ووثائق وتقارير المبشرين فشل مهمته فشلًا ذريعًا.

يُصدر زويمر دورية علمية فصلية بعنوان "العالم الإسلامي"، صدر منها 37 مجلدًا ما بين عامي (1911–1947)، وينشر 45 كتابًا، منها: الجزيرة العربية مهد الإسلام، نشر في نيويورك عام 1900، وله أيضًا مقالًا مهمًا يصف فيه رحلاته في سلطنة عمان، وساحل عمان المتصالح، بعنوان: ثلاث رحلات في شمال عُمان Three Journeys in Northern Oman، نشر بمجلة الجمعية الجغرافية بلندن، يتضمن أقدم صور معروفة لقصر الحصن في أبو ظبي عام 1902. وله مصنفات في العلاقات بين المسيحية والإسلام أفقدها بتعصبه وتضليله قيمتها العلمية منها: الإسلام في الصحراء العربية، عام 1943. إضافة إلى العديد من الدراسات التي نشرها في مجلة "العالم الإسلامي"[1].

(1) علي عفيفي علي غازي:"رحالة زاروا الإمارات – صموئيل زويمر"، مجلة الإمارات

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يكتب زويمر عن مسندم في مقاله الموسوم "عمان وشرق شبه الجزيرة العربية"، والمنشور في عام 1907، فيقول إن "هناك حكايات يتداولها الأهالي على المقاهي في شرق عُمان عن جنسٍ غامضٍ بشرتهم فاتحة اللون يعيشون في أعالي الجبال، يتجنَّبون الأغراب، ويتحدَّثون لغةً خاصة بهم، لا يتحدَّثها سواهم. وأعتقدُ أنني استطعتُ حلّ لغز تلك الحكايات الغريبة، التي طالما حيَّرت مَن يزور مَسقَط؛ ففي منطقة خصب القريبة من مُسَنْدَم تعيش قبيلة تتحدَّث لغةً، لا هي فارسيَّة ولا عربيَّة ولا بلوشيَّة، ولكنها أشبه ما تكون باللغة الحميرية، أو هي إحدى لهجات "المهرة"، التي وصفها "كارتر" في (صحيفة بومباي، يوليو 1847). فهم يتواصلون فيما بينهم بهذه اللغة، بينما يستخدمون اللغة العربيَّة عندما يتعاملون مع الأغراب[1].

كما يُشير كذلك في مقاله الموسوم "ثلاث رحلات في شمال عمان" والمنشور في عام 1902، إلى أن "هناك ثرثرة في منزل للقهوة في شرق عمان عن جنس غامض بين أناس ذوي بشره فاتحة يعيشون في مكان ما في الجبال، وهم يتجنبون الغرباء، ويتحدثون لغة خاصة بهم. أعتقد أنني قد وجدت حل للغز هذه القصة الغريبة، التي حيرت المسافرين إلى مسقط. ففي خصب، بالقرب من رأس مسندم، تعيش قبيلة ليست لغتها الفارسية أو العربية أو البلوشية، ولكن لغتها تشبه اللهجة المحلية الحميرية للمهرة Mahras، والتي وصفها كارتر Carter (جريدة بومباي، يوليو، 1847). هذه اللغة يستخدمونها في الحديث بين بعضهم البعض، على الرغم من أنهم يتحدثون العربية مع الغرباء. وتشبه بشرتهم معظم العرب، ودينهم الإسلام.

الثقافية، العدد 51، (ديسمبر 2016)، ص 32-35؛ علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا قطر (8) صموئيل زويمر"، مجلة الدانة، العدد 47، (يناير 2016)، ص 26-27.

(1) Zwemer S. M.: "Oman and Eastern Arabia", Bulletin of the American Geographical Society, Vol. 39, No. 10 (1907), pp. 597-606.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ولعل هذه هي القبيلة التي تُشير إليها الشائعات[1].

8. جون جوردن لوريمر John Gordon Lorimer (1870-1914)

تزداد الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية للخليج العربي، منذ أواخر القرن التاسع عشر، بسبب اشتداد التنافس الأوروبي؛ مما أدى إلى تزايد الاهتمام البريطاني بالمنطقة، وبالتالي ظهرت الحاجة لمسح شامل لها، إذ رأى اللورد كيرزون Lord Curzon، نائب ملك بريطانيا في الهند (1899-1904)، بعد جولة له في الخليج أواخر سنة 1903، ضرورة إعداد دليل جغرافي تاريخي؛ ليكون مرجعًا في متناول المسؤولين السياسيين البريطانيين في حكومة الهند. وفي شتاء (1904-1905) يُشكّل جون جوردن لوريمر، بتكليف منه، يعاونه جاسكين، المقيم المساعد في بغداد فيما بعد، والملازم جابرييل، الموظف السياسي في حكومة الهند، فريقًا من الباحثين السياسيين والعسكريين والجغرافيين، يرافقوه في جولة إلى سواحل الخليج؛ لجمع المعلومات عن مناطق الخليج وأواسط الجزيرة العربية، ويُسجلوا ويجمعوا ما أمكنهم، وامتدت عمليات المسح إلى أوسع التفاصيل.

ويُعدُّ لوريمر من أبرز الرحالة والمؤرخين والمبعوثين السياسيين البريطانيين، ومن الشخصيات التي لعبت دورًا في إرساء قواعد الإمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط. وهو أحد رجال حكومة الهند البريطانية، فقد كان موظفًا في سلك الخدمة المدنية الهندية، اختص بمنطقة الخليج العربي، ومن أبرز من وصفوها في بداية القرن العشرين، وقام بوضع كتابه دليل الخليج؛ بتكليف من حكومة الهند، في أربعة مجلدات ضخمة، تحوي قسمين، أحدهما تاريخي (1915)، والآخر جغرافي (1908). وأُعيدت الطباعة مرة أخرى في بومباي عام 1928. ثم ظهرت

(1) Samuel M. Zwemer: "Three Journeys in Northern Oman", the Geograph-ical Journal, Vol. XIX, No. 1 (1902), pp. 54-64.

طبعة إنجليزية أخرى في أيرلندا في حروف صغيرة جدًا تختلف في حجمها عن طبعة كلكتا. ولكن جميع النسخ كانت محجوبة عن أيدي الجمهور، ولم يُسمح بالإطلاع عليها، وظلت حبيسة ملفات حكومة الهند البريطانية وسجلاتها قرابة خمسين سنة، حتى سمح القانون الإنجليزي بتداوله ونشره بعد مرور الفترة القانونية، أي خلال منتصف القرن العشرين (تقريبًا 1958)، حين سمحت الحكومة البريطانية بنشره، فقامت حكومة دولة قطر بترجمته.

تقوم حكومة دولة قطر ممثلة في قسم الترجمة في ديوان أميرها بترجمة الدليل إلى اللغة العربية في أربعة عشرة مجلدًا، موزعة بالمناصفة بين قسميه التاريخي، الذي نشر لأول مرة عام 1967، والجغرافي المطبوع عام 1969، يختص كل جزء منها بجانب من الجوانب، مع اختزال عنوانه إلى "دليل الخليج". وطبع بمطابع علي بن علي بالدوحة، وينشر على نفقة سمو حاكم دولة قطر، وهو آنذاك الشيخ أحمد بن علي آل ثاني (1960-1972)، إلا أن الترجمة الأولى جاءت سريعة، وفيها الكثير من الأخطاء، ووجهت لها الكثير من الانتقادات، فأعيدت ترجمة هذا المؤلف مرة ثانية عام 1976 في عهد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (1972-1995). وأعيد طباعته في طبعة ثالثة سنة 2002 على نفقة الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير قطر (1995-2013)، لتُضاف إلى مآثره في اهتمامه بالتراث الثقافي والوثائق التاريخية.

تصدر ترجمة أخرى أشرفت عليها جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان تحمل عنوان "السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية"، تولت طباعته ونشره دار غارنت للنشر بلندن، عام 1995، وذلك في قسمين تضمن كل قسم 7 مجلدات. ووفرت هذه الطبعة النص الإنجليزي في مقابل النص العربي، في حيز مادي واحد يقع في مدى البصر والبصيرة، فجاءت كل صفحة عربية تقابلها صفحتها باللغة الإنجليزية. وصدرت ترجمة ثالثة عام 2013 عن الدار العربية

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للموسوعات بعنوان "دليل الخليج العربي وعمان ووسط الجزيرة العربية"، في 20 مجلدًا، القسم التاريخي يتكون من 10 مجلدات، من ضمنه مجلدًا حاصر (داخل علبة) يضم لوحات نسب وملوك وسلاطين وأمراء الخليج العربي. والقسم الجغرافي والإحصائي جاء في ستة مجلدات، وألحق بهم أربعة مجلدات للفهارس. وقد التزمت جميع هذه الطبعات العربية بما التزمت به الطبعة الإنجليزية الأصل في عرض الأحداث التاريخية، وأسماء الأماكن والقبائل بالأبجدية الإنجليزية مخالفة بذلك الترتيب المعجمي العربي، وعلى هذا الأساس دخلت المناطق والقبائل ذات الأسماء المبتدئة بحرف العين باللغة العربية جنبًا إلى جنب مع الأسماء المبدوءة بحرف الألف أول الحروف الإنجليزية.

يستمد هذا الدليل أهميته، من كونه لم يوضع في الأساس على أنه مؤلف تاريخي، وإنما وضع بتكليف من حكومة الهند البريطانية لأحد كبار موظفيها، ليُصبح سجلًا تاريخيًا جغرافيًا، سياسيًا، اجتماعيًا، اقتصاديًا، يكون في متناول الموظفين والمسؤولين الرسميين البريطانيين، الذين يُبتعثون لخدمة بلادهم في هذه المنطقة، ليكونوا، بعد الإطلاع عليه، على خبرة ودراية بها، كما أنه يُغطي فترة زمنية طويلة مهمة وممتدة، والمعلومات المذكورة في طياته مهمة في كل ما يتعلق بالنواحي السياسية والإدارية والجغرافية والتاريخية والاقتصادية والثقافية، وغيرها، وقد كتبه لوريمر معتمدًا على مصادر عدة أبرزها الدراسة الميدانية المباشرة، والمعاينات اليومية النابضة، التي كان يقوم بها بنفسه، أو يقوم بها بعض موظفي وممثلي الإنجليز، واعتمد على الوثائق الرسمية البريطانية المتمثلة بمستندات وزارة الخارجية البريطانية، كما وضعت حكومة الهند البريطانية تحت تصرفه كل سجلاتها ومعلوماتها ووثائقها، وتقارير السفارات والبعثات السياسية والعسكرية والتجارية، ومجموعة المعاهدات والاتفاقيات والمستندات. فضلًا عن كتابات

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الرحالة الأوروبيين حول المنطقة، واستفاد لوريمر من رحلات واستطلاعات كثيرة سبقته قام بها ضباط بريطانيون، كما استفاد من بعض المصادر العربية التي ترجمت إلى الإنجليزية في عصره، مثل كتاب "كشف الغمة"، الذي ترجمه الوكيل السياسي في الخليج، وكتاب "الفتح المبين لسيرة السادة البو سعيدين". بعد أن ترجمه المستشرق بادجر. وقد استطاع لوريمر أن يستفيد من ذلك في وضع معلوماته وبياناته وتدقيقها وتصنيفها على النحو الذي صدر به هذا الدليل الضخم.

والدليل في صورته النهائية عبارة عن موسوعة من أجزاء متعددة تتناول الحياة الطبيعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للسكان، ووصفًا للمنطقة وقبائلها وإماراتها ومشيخاتها وإحصائيات متنوعة. وعلى الرغم من أن المعلومات الواردة في القسم الجغرافي، قد تجاوزها الزمن، باستثناء ما يتعلق بالجغرافيا الطبيعية، إلا إنها مع ذلك تبقى لها وظيفتها ومصداقيتها، لأنها إطار توضع فيه الوقائع والأحداث، وعلى هذا لا يزال كتاب لوريمر من أهم المصادر التي يعتمد عليها مؤرخو المنطقة[1].

يقول لوريمر عن مسندم أنها "كانت في السابق تُدعى بالإنجليزية "مسلدم"، وهي محاذية للطرف الشمالي الشرقي للرأس البحري، رؤوس الجبال، الذي يفصلها عنه مضيق ضيق فقط. ويُمكن اعتبار أن مسندم هي مدخل الخليج، وتفصله عن خليج عمان، ويبلغ طول مسندم ميلين من الشمال إلى الجنوب، أما عرضها عبر طرفها الجنوبي، فلا يقل كثيرًا عن طولها، في حين أن أقصى ارتفاع لها يبلغ 875 قدمًا، وهي شديدة الانحدار من كل النواحي تقريبًا، والأماكن التي يجري

(1) علي عفيفي علي غازي: نخيل الخليج العربي في دليل لوريمر. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم (تقديم)، (بيروت: دار الرافدين للنشر، 2015)؛ علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا الإمارات – جون لوريمر"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 53، (فبراير 2017)، ص 26–28.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

النزول فيها من البر، ثلاثة أخوار صغيرة أو أربعة تقع على جانبها الشرقي. وثمة أطلال عند طرفها الشمالي، مؤلفة من كتل حجرية كبيرة لا ملاط بينها. أما العدد القليل من الرعاة المسؤولين عن رعي الماعز فهم عمومًا القاطنون الوحيدون في الجزيرة. وتنتهي مسندم في طرفها الشمالي بجرف صخري يبلغ ارتفاعه 100 قدمًا، ويُشكل رأس مسندم الشهير. أما سبر الأغوار الذي يجري قرب جزيرة مسندم على الجانبين الشمالي والشرقي فيُسجل عمقًا يبلغ 100 قامة، وهو عمق يفوق كثيرًا أي عمق نصادفه داخل الخليج. ويُسمى المضيق، الذي يفصل الجزيرة عن البر، فك الأسد أو الباب، ويبلغ عرضه 600 ياردة، وعمق المياه فيه 24 قامة، وهو خال تمامًا من العقبات، ويُمكن للبواخر المرور فيه بسهولة إذا ما حافظت على سرعة معقولة، لكن السفن العربية باستثناء قوارب التجديف تتجنبه نتيجة لتيارات المدود القوية، والرياح المربكة، والجروف، على كلا الجانبين عمودية الشكل، وهناك عمود صخري يُطلق عليه اسم "كشلو"، ويبلغ ارتفاعه 100 قدمًا يقوم على مسافة نصف ميل شمال الشمال الشرقي لرأس مسندم، وبينه وبين هذا الرأس ممر مائي سالك"[1].

9. كرستجي Cursetjee

يقوم الرحالة الهندي كرستجي، الحاصل على البكالريوس في الآداب من جامعة أكسفورد ببريطانيا، برحلة من بومباي إلى البصرة مع وصف شامل لموانئ وشعوب الخليج العربي، وشط العرب وأحوالهم وتاريخهم وعاداتهم، أثناء الحرب العالمية الأولى، في شتاء عام (1916-1917)، ويدون ملاحظاته الشخصية، وتفاصيل دقيقة عن المنطقة، ونشرها في العام التالي (1918) في بومباي، وقامت مطبوعات

(1) لوريمير ج. ج.: السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، (لندن، دار غارنت للنشر، 1995 (، ج2، ص 175.

بانوراما الخليج بالبحرين بترجمتها إلى اللغة العربية ونشرها في عام 1989، وكتابه بمثابة وثيقة تاريخية ذات قيمة ثمينة عن ماضي المنطقة، وشهادة مهمة عن الأوضاع السائدة آنذاك، ويتضمن سجلًا حافلًا بالمشاهدات والمعاينات، ويمثل وثيقة مدونة عن تراث المنطقة وتقاليدها وتاريخها وجغرافيتها، وعند حديثه عن الخليج العربي، يوضح اشتقاقه اللغوي، ثم وصفه الجغرافي، ثم التوقيت الذي استغرقته الرحلة منذ دخول سفينته من مضيق هرمز بين جزيرة قشم وصخور سلامة أو رأس مسندم، موضحًا أنها استغرقت تسعة عشر يومًا لأن الباخرة أخذت "مسارًا متعرجًا، حيث تقوم الباخرة بزيارة كل ميناء من موانئ الخليج العديدة كل يوم وآخر بالتناوب أو كل يومين أو ثلاثة أيام"[1].

10. بيرترام توماس Birtram Thomas (1892 - 1950)

يعتبر الرحالة الإنجليزي بيرترام سيدني توماس مستكشفًا محترفًا في عمان، وبين عامي (1924–1930) كان المستشار المالي لدى تيمور بن فيصل، سلطان عمان ومسقط (1913–1932). وفي عام 1930 أخذت توماس مهمة سياسية إلى جزيرة مسندم لهدف تحري "غيوم الحرب"، على حد قوله[2]. وقام بنشر الدراسات التمهيدية عن القبائل التي قابلها في رحلته الأولى، كما نشر في عام 1930 كذلك بعض الدراسات المهمة الخاصة باللغة التي يتحدثها الشحوح في شبه جزيرة مسندم، مع ترجمة لمفرداتها[3].

(1) سي. أم. كرستجي: أرض النخيل أو رحلة من بومباي إلى البصرة والعودة إليها 1916–1917، منذر الخور (ترجمة)، (المنامة: مطبوعات بانوراما الخليج، 1989)، ص 58.

(2) هلال الحجري: "مدخل إلى أدب الرحلات في عمان، دراسة وصفية للرحالة البريطانيين 1626–1970"، مجلة نزوى، العدد 35 (يوليو 2003).

(3) علي عفيفي علي غازي:"رحالة زاروا عمان 9 – بيرترام توماس"، مجلة التكوين، العدد 42، (أبريل 2019)، ص 70–72؛ علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا قطر (3) بيرترام

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022 5

إن اسهام توماس في التعريف بسلطنة عمان عامة، ومسندم خاصة، لا يُضاهيه أحد، فقد كانت اهتماماته واسعة، وقد اهتم بالقصص الشعبية المتداولة بين البدو، وكان لتوماس اهتمام كبير في علم الحيوان، وخبرة في التنبه إلى أخطارها، وكان مهتمًا أكثر بدراسة الناس القاطنين على حواف الرمال، والذين يعتبرهم من بقايا سكان الجزيرة العربية الأصليين، قبل أن ينزح الساميون إليها، فدرس لغاتهم، وقاده هذا البحث إلى زيارة منطقة مسندم، وقابل رجال الشحوح، الذين يعيشون في الكهوف، وقد وجدهم يعيشون في حفر يتراوح عمقها بين 12–14 قدمًا، ويصل طولها إلى 15 قدمًا وعرضها 12 قدمًا، جدرانها مبنية من الحجارة، وسقوفها من الخشب المغطى بالرمل، حتى إنه يصعب رؤيتها أو تمييزها، ووصف رقصاتهم الشعبية، حيث يقف اثنا عشر رجلا في حلقة، ويبدأ قائدهم يولول مغنيًا، فيردون عليه بصوت شبيهة بالنباح، وفي كل مرة يرمون سيوفهم في الهواء، ثم يلتقطونها بأيديهم العارية[1].

11. وليم ريتشارد وليمسون William Richard Williamson (1872-1958)

يقوم وليم ريتشارد ويلمسون، أو الحاج عبد الله ويلمسون، بجولة في الخليج العربي في عام 1925 بتكليف من شركة النفط الإنجليزية الفارسية؛ بهدف التفاوض مع شيوخ المشيخات حول اتفاقيات إمتيازات النفط في أراضيهم، فيزور البحرين وقطر ومسقط وعمان وأبو ظبي والشارقة وعدن، وهي الجولة التي كانت بالغة

توماس"، مجلة الدانة، العدد 40، (أبريل 2015)، ص 44، 45؛ محمد همام فكري: "عبور الربع الخالي رحلة بيرترام توماس"، مجلة أسواق الخليج، العدد 6،850) يناير 1994)، ص 40–41.

(1) روبن بدول: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، عبد الله أدم نصيف (ترجمة)، (الرياض: المترجم، 1989)، ص 199.

الخطورة بأهدافها ونتائجها، إذ إنها مهدت للشركات البريطانية أن تضع يدها منذ ذلك الوقت على منابع النفط في البلدان الواقعة على الخليج العربي، ووطدت أركان الاستعمار البريطاني فيها، وربطتها بمعاهدات جائرة طويلة الأمد. ولقد ترك ويلمسون وريقات قليلة دوّن فيها بعض وقائع تلك الجولة، تحتوي معلومات عن أوضاع بلدان الخليج العربي، وأحوال سكانها، وطريقة معيشتهم وحياتهم، وبعض الحوادث الطريفة التي رافقتها، ومن المناطق التي كتب عنها شبه جزيرة مسندم، إذ يقول: "ومن رأس الخيمة تقدمنا إلى كساب، وأماكن أخرى في شبه جزيرة مسندم، والتي لم نر فيها شيئًا مهمًا سوى من الناحية الجيولوجية. ويمتد في شبه جزيرة مسندم ساحل صخري وعر تتخلله خلجان عديدة، كانت تؤلف أماكن اختفاء فاخرة للقراصنة، ولهذا السبب سُمي هذا الساحل بساحل القراصنة، وعندما ذكر لنا أن الجزء الجنوبي من شبه جزيرة مسندم، أي مدينة "كلبا"، ومنطقتها ليست بصديقة لنا، عدنا أدراجنا إلى كساب، وركبنا الباخرة خوزستان في طريقنا إلى مسقط"[1].

12. بيتر غلوب Peter Globe

يُمضي عالم الآثار الدنماركي بيتر غلوب اثني عشر عامًا في التنقيب في أقطار الخليج العربي سعيًا وراء اكتشاف حضارة دلمون، التي ظلت مطمورة تحت الرمال حتى الخمسينيات من القرن العشرين، حيث بدأ عمله التنقيبي بالمنطقة برفقة بيبي مفتش متحف ما قبل التاريخ في مدينة أورهوس، في عام 1953 في أول بعثة دنماركية في البحرين. وفي عام 1956 بدأت أعمال التنقيب في دولة قطر، وفي عام 1958 شملت التنقيبات جزيرة فيلكا الكويتية، وقامت البعثة بسفرات بين أعوام 1962–1964 إلى منطقة الأحساء في المملكة العربية السعودية، وفي 1964

(1) عبد الله ويلمسون: رحلة إلى الخليج العربي، سليم أحمد خالد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2005)، ص 56، 57.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وصلت إلى عمان، وجزيرة ذيبة في المحيط الهندي[1]. ترجم له درويش مصطفى الفار بعض مقالاته المنشورة بمجلةKumal الدنمركية بين عامي 1956-1965 في كتاب بعنوان "صفحات عن ما قبل التاريخ في قطر"، نشر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث عام 2000[2].

نشرت مؤخرًا (2009) هيئة متاحف قطر مجموعة من الصور، التي صورها الدنمركيان: منتجة الأفلام يته بانغ، وعالم الأثنوغرافيا كلاوس فرديناند عضوي البعثة الدنمركية، التي ترأسها الدكتور غلوب؛ للتنقيب عن آثار عصور ما قبل التاريخ في قطر، وحمل الكتاب عنوان "البعثة الدنمركية إلى قطر عام 1959". حيث أمضى المصوران فترة شهرين ونصف الشهر في قطر زائرين ومسافرين مع قبيلتي المرة والنعيم، حيث قاما بالتقاط عدد كبير من الصور تربو على 2200 صورة، وصورا فيلم عن حياة الصحراء لمدة عشرين دقيقة عرض حركة البدو وقوافلهم، وعرض لأول مرة عام 1962. وهذه الصور محفوظة في المجموعات الأثنوغرافية الخاصة بمتحف موسكارد في مدينة أورهوس في الدنمارك[3].

يقول غلوب عن منطقة رأس مسندم، لقد "كان أحد هؤلاء الرجال عدا ذلك يحمل فأسًا برونزية ذات مقبض طويل، وهذه في حد ذاتها تحمل دلالات تاريخية قديمة. ولا تحمل هذه الفؤوس إلا من قبل أعضاء قبيلة الشحوح الآتين من

(1) غلوب ب. ف.: البحرين، البعثات الدنماركية في دلمون القديمة، محمد البندر (ترجمة)، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003)، ص 7، 10، 17، 18.

(2) نخبة من علماء الآثار الدنماركيين: صفحات عن ما قبل التاريخ في قطر، درويش مصطفى الفار (ترجمة)، (الدوحة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، 2000)، ص 15، 21، 35.

(3) يته بانغ وكلاوس فرديناند.: البعثة الدنماركية في قطر عام 1959، محمد البندر (ترجمة)، (الدوحة: هيئة متاحف قطر، 2009)، ص 3.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

المنطقة الجبلية المسماة رؤوس الجبال الواقعة في القسم الشمالي لقمة مسندم. وقبيلة الشحوح بعددهم الذي يبلغ من ثلاثة إلى أربعة آلاف نسمة ليسوا من العرب، ويتكلمون لهجة خاصة بهم، ويقطنون في بيوت من الحجر، ويمارسون صيد السمك، وجمع القواقع كحرف رئيسية. ويمكن الافتراض بأن هؤلاء هم من الأقوام الأسيوية، التي قدمت إلى مضيق هرمز قبل 4000 سنة، ووجدت لها في شبه جزيرة عمان مستقرًا لها. والصلة البعيدة بين شعوب العصر البرونزي في لورستان وفارس وبين شعوب العصر الحجري الغامض، الذي غزا شبه جزيرة جتلاند، والذي كان يحمل الفؤوس قبل 4000 سنة تكون محتملة.

إن التنقيبات في شبه الجزيرة المضطربة هذه، التي كانت شعوبها تعيش إلى يوم قريب بشكل منعزل تمامًا عن العالم الخارجي يمكن وبدون شك أن تحل اللغز المرتبط بأصل قبيلة شيحان. جلب لنا أحد الصبية ماء لغسل الأيدي، وفي الوقت المناسب برز رجلان يحملان طبقًا معدنيًا مطعمًا مدورًا ضخمًا مليئًا بالأرز الأبيض ولحم الماعز والسلطة الخضراء، ووضعاه في وسط البساط. وبعد ترديد الكثير من عبارات الشكر لله والبسملة، وبصفتي ضيف الشرف، فقد دعاني الوالي المضيف لتناول الطعام. وتقليديًا يختار هو قطعة من وسط اللحم ويضعها أمامي – باليد اليمنى دائمًا – وتتردد كلمات: "تفضل"، و"شكرًا"، و"عفوًا"، وشأني شأن غيري، فقد سمعت أن عين المعزة تقدم كتعبير عن التكريم والكياسة، مع أنني لم أر شيئًا كهذا يحدث في عمان. وإن كان نك هولبروك قد قدمت إليه عين معزة حين كان في شبه جزيرة مسندم، فرفض تناولها فما كان من مضيفه إلا رماها بعيدًا قائلا: "نحن أيضًا لا نُحبها"[1].

(1) غلوب ب. ف.: البحرين، البعثات الدنماركية، ص 240.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

13. جون بولوك John Bulloch

يكتب السفير البريطاني جون بولوك عن إقليم مسندم وقبيلة الشحوح يقول: "إلى الشمال من رأس الخيمة، وفي شبة جزيرة مسندم التابعة لعمان، يعيش شعب مختلف تمامًا، الشحوح، وينحدر هؤلاء من مهاجرين جاءوا في غابر العصور ربما من الهند، ويجري الآن تهيئتهم لمواكبة القرن العشرين. منذ بضع سنوات فقط كانوا لا يزالون يحملون فؤوسًا صغيرة حادة تُستعمل كأسلحة وكأدوات، واشتهروا بوحشيتهم تجاه أعدائهم وبلفتاتهم الكريمة تجاه المسافرين المسالمين. إذ كانوا دائمًا يوفرون الماء للمسافرين في نقاط معينة، كما أنهم كانوا شديدي التمسك بواجبات الضيافة العربية.

ويُضيف بولوك إن عمان شهدت "في الستينات ثورة في ظفار حظيت بتأييد حكومة اليمن الجنوبي. وارتعشت الامارات عندما قامت الجبهة الشعبية لتحرير عمان بتغيير اسمها في عام 1968 إلى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل. والأسوأ من هذا، من وجهة نظر الحكام، كان قيام الجبهة الشعبية الديمقراطية المدعومة من قبل المستشارين السوفيات والصينيين، وهي الجبهة التي خرجت إلى حيز الوجود عندما انشقت جماعة أكثر تطرفًا عن الجبهة الشعبية لتحرير عمان، وجعلت من شبه جزيرة مسندم، التي لا يفصلها عن دولة الامارات سوى الشارقة، ساحة لعملياتها. وشكلّت بذلك جبهة ثانية ضد قوات السلطان. لقد كانت هذه حربًا صغيرة وسرية ومميتة في نفس الوقت، خاضها جنود السلطان والضباط ورجال الكوماندوز والبريطانيون. وتمّ القضاء على الثورة في ظفار في نهاية الأمر".

ويُردد بولوك ما قرأه في الأدبيات البريطانية من أنه "لقرون عديدة كان رواد البحر من بين سكان ساحل عمان الشمالي وجزيرة مسندم، ومنعطف الشاطئ الممتد بين

رأس الخيمة وقطر ينهبون السفن التي كانت تمر عبر مضيق هرمز، مدخل الخليج الذي يبلغ عرضه 36 كيلومترًا، وكانت القرصنة تعتبر مهنة مشرّفة، بمثابة فرض جزية من قبل أناس لم يكن لهم الا أن يتطلعوا إلى البحر لضمان معيشتهم".

ويُحاول بولوك تبرير ما يقوم به سكان المنطقة في البحر بقوله "لم يكن انعدام فرص أخرى فقط، الذي جعل سكان الساحل يتجهون للقرصنة. فقد كانت هناك أيضًا عوامل جغرافية أخرى. فالساحل يمتد في الاتجاه الجنوبي الشرقي من رأس مسندم حتى الخليج، وهو مليء بالأخوار والمخاطر المرجانية المحجوبة الأسنة الرملية، التي تحمي مداخل الموانئ. وتمتد هذه الأخوار بين مرتفعات صخرية سوداء وهائلة في الجانب الشرقي لمسندم في خليج عمان، وفي أماكن أخرى من الخليج، فتنعطف وتلتوي، ثم تنفتح على ملاجئ سرية لا يمكن رؤيتها من البحر. وغالبًا ما كان ربابنة السفن الذين صدوا هجمات القراصنة يقولون في تقاريرهم إن سفن القراصنة قد اختفت في مكان ما عند الساحل".

ثم يذكر "تربط الآن شبكة من الطرق الممتازة الفجيرة. بالإمارات الأخرى. وهناك طريق ساحلي يمتد شمالًا حتى دبا الوقعة في الجانب الشرقي من شبه جزيرة مسندم وشعم الواقعة على الساحل الغربي. وحتى تلك الدرجة من التغلغل في جبال مسندم، التي تشبه سطح القمر كانت لا تتصور قبل سنوات قليلة عندما كانت العادة تقضي بأن يُطلق المرء رصاصة من بندقيته إن هو أراد أن يدخل إحدى قرى الشحوح. فكان الناس يخرجون لاستقبال ضيفهم غير المتوقع"[1].

(1) جون بولوك: الخليج، دهام موسى العطاونة (ترجمة)، (لندن: مطبوعات دهام موسى العطاونة، 1988)، ص 19، 126، 178، 179، 213.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الخاتمة

يتبين من استقراء علاقة مسندم بالرحالة الغربيين، ومن تحليل المتناثرات، التي وردت عنها بين ثنايا كتاباتهم، أن موقعها الجيوستراتيجي جعلها تحظى باهتمام جُل الرحالة الذين مروا بمنطقة الخليج العربي، كما تؤكد الدراسة التحليلية لنصوص هؤلاء الرحالة، والتي تناولت مسندم، أنهم كتبوا عن جوانب عديدة: جغرافيًا، ومناخيًا، واقتصاديًا، وتجاريًا، واجتماعيًا، وحظيت قبيلة الشحوح، سكان مسندم، باهتمامهم، فكتبوا عن عاداتها وتقاليدها، ولغاتها، بعضهم استحسنها، والبعض الآخر لم يُغفل الجوانب السياسية والجيوستراتيجية والاقتصادية لمسندم؛ بل إن بعضهم كان له دورًا في الاكتشافات الأثرية في أراضيها.

يتضح من تحليل ما ورد عن مسندم في كتابات الرحالة الغربيين أنها تُمثل منطقة جيوستراتيجية مهمة للبحارة في الخليج، إذ إنها بمثابة مفتاح بوابة الخليج؛ ويتوجب على من يعبر إليه أن يمر من خلالها، ومن ثم فقد مر بها جُل الرحالة، الذين مخروا عُباب مياه الخليج، ومن ثم كتبوا عنها، إلا أنها رغم ذلك تمتعت بسمعة غير حميدة، نظرًا لما كان يتردد عنها من شائعات في أوساط الأدبيات الأوروبية من كونها مقرًا للقراصنة، الذين يفرضون الجزية على كل من يمر بها، بالإضافة إلى أنها منطقة مليئة بالأخوار والتعرجات، والرؤوس والصخور المرجانية، والأسنة الرملية، والجروف المرتفعة على جانبي المجرى المائي، وسرعان جريان التيار المائي به وتقلباته؛ مما يجعلها منطقة خطرة؛ بل مصيدة للموت، إذ إن صخورها الجرداء بإمكانها شطر أي مركب تصطدم بها؛ خاصة في ذلك العصر الذي لم تكون السفن والبواخر العملاقة قد عُرفت، وكانت الملاحة لا تزال في طور الملاحة البخارية. ولعل اسم "مسندم" اشتق من ذلك، وأن اسم "رؤوس الجبال"، هو الاسم القديم والشائع بين البحارة العرب؛ إذ إن من عادة العرب إطلاق أسماء فأل حسن، كما في

مسمى "سلامة"، والتي تُطلق على جزيرة صخرية في عرض البحر؛ كانت تتسبب في كثير من حالات تحطم السفن.

تؤكد الدراسة اتفاق جميع الرحالة، الذين مروا بمنطقة مسندم، على أن سكانها هم عرب من قبيلة الشحوح، الذين يتحدثون لغة محلية خاصة بهم، ليست من العربية، وإن اختلفت تفسيرات الرحالة لها، من كونها من الحميرية القديمة، أو خليط ما بين الدنماركية والبرتغالية والعربية والإنجليزية وغير ذلك. ولعل المقصود هو اللغة المهرية، الشائعة في سلطنة عمان واليمن وجنوب المملكة العربية السعودية، ويتحدث بها حاليًا حوالي 100 ألف شخص، وذلك على الرغم من صعوبة تقدير العدد الحقيقي[1]، كما اتفقوا على أنهم يعيشون على صيد الأسماك، والتمور التي يجنونها من أشجار النخيل بمزارعهم، وأكدوا على كرم أهلها وشجاعتهم، وغير ذلك من الصفات الحميدة، التي لا يزال يتمتع بها سكان المنطقة حتى يومنا هذا، وهو ما يدعو الباحث إلى الاعتقاد بصدق رؤاهم عن عادات وتقاليد وقيم سكان المنطقة؛ فضلا عن وصفهم الدقيق لطبيعتها الجغرافية والجيولوجية والإستراتيجية.

(1) Janet C.E. Watson: "Travel to Mecca from Southern Oman in the Pre-motorized Period" Chapter 12of book: Venetia Porter and Liana Saif (Edited): The Hajj: Collected Essays, (London: The British Museum Press, 2013), pp. 96-97.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية ومعربة

1. أنطوان متى: الخليج العربي من الاستعمار البريطاني للثورة الإيرانية 1798 – 1978، (بيروت: دار الجيل، 1993).
2. إيان جاردنير: في خدمة السلطان رواية مباشرة لحرب ظفار، ليلى بنت عبدالله الحضرمية وسلطان سعيد البوسعيدي (ترجمة)، (مسقط: دار الخليجي لدعاية والاعلان والنشر، 2010).
3. توماس هيجز: مختارات من وثائق حكومة بومباي، عبدالعزيز عبد الغني إبراهيم (ترجمة)، حسن بن محمد بن علي آل ثاني (تقديم ومراجعة وتعليق)، (الدوحة: مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، 2017).
4. جون بولوك: الخليج، دهام موسى العطاونة (ترجمة)، (لندن: مطبوعات دهام موسى العطاونة، 1988).
5. جون كيلي: بريطانيا والخليج 1795 – 1870، محمد أمين عبد الله (ترجمة)، ج1، (عمان: وزارة التراث والثقافة، 1979).
6. ديفيد سيتون: يوميات ديفيد سيتون في الخليج 1800–1809، سلطان بن محمد القاسمي (تحقيق)، (الشارقة: الخليج للصحافة والطباعة والنشر، 1994).
7. روبن بدول: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة عبد الله أدم نصيف، (الرياض: المترجم، 1989).
8. سلوت، ب، ج، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية 1602–1784، عايدة خوري (ترجمة)، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1993).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

9. سي. أم. كرستجي: أرض النخيل أو رحلة من بومباي إلى البصرة والعودة إليها 1916-1917، ترجمة منذر الخور (المنامة: مطبوعات بانوراما الخليج، 1989).

10. سير روبرت هاي: دول الخليج الفارسي، يوسف الشاروني (ترجمة)، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004).

11. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: قطر الحديثة، قراءة في سنوات نشأة إمارة آل ثاني 1830-1916، (بيروت: دار الساقي، 2013).

12. عبد الله ويلمسون: رحلة إلى الخليج العربي، سليم أحمد خالد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2005).

13. عادل رضا: عمان والخليج العربي؛ قضايا ومناقشات، (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1969).

14. علي عفيفي علي غازي: نخيل الخليج العربي في دليل لوريمر. تقديم أ. د. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، (بيروت: دار الرافدين للنشر، 2015).

15. غلوب ب. ف.: البحرين، البعثات الدنماركية في دلمون القديمة، محمد البندر (ترجمة)، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003).

16. كارستن نيبور: رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، عبير المنذر (ترجمة)، (بيروت: دار الانتشار العربي، 2007).

17. كاسبارو بالبي: رحلة الإيطالي كاسباروا بالبي إلى حلب- دير الزور- عنه- الفلوجة- بغداد سنة 1579، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2008).

18. لوريمر ج. ج.: دليل الخليج، القسم التاريخي، ج7، (الدوحة: ديوان أمير دولة قطر، د. ت.).

19. لوريمير ج. ج.: السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، ج2، (لندن، دار غارنت للنشر، 1995).

20. محمد بن عبد الله بن حمد الحارثي: موسوعة عمان؛ الوثائق السرية، ج1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007).

21. محمد مرسي عبد الله: إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى 1793 – 1818، (القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1987).

22. نخبة من علماء الآثار الدنماركيين: صفحات عن ما قبل التاريخ في قطر، درويش مصطفى الفار (ترجمة)، (الدوحة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، 2000).

23. وليم جيفورد بالجريف: وسط الجزيرة العربية وشرقها، ج2، (المجلس الأعلى للثقافه، القاهرة، 2001).

24. يته بانغ وكلاوس فرديناند.: البعثة الدنماركية في قطر عام 1959، محمد البندر (ترجمة)، (الدوحة: هيئة متاحف قطر، 2009).

ثانيًا: باللغات الأجنبية

25. Hughes Thomas (compiled and edited): **Arabian Gulf Intelligence,** Selections from the Records of the Bombay Government, concerning **Arabia, Bahrain, Kuwait, Muscat and Oman, Qatar, United Arab Emirates and the Islands of the Gulf,** Robin Bidwell (introduced), (London: The Oleander press, 1985).

26. Janet C.E. Watson: "Travel to Mecca from Southern Oman in the Pre-motorized Period" Chapter 12of book: Venetia Porter and

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

Liana Saif (Edited): **The Hajj: Collected Essays,** (London: The British Museum Press, 2013).

27. Pedro Teixeira: **The Travels of Perdo Teixeira,** Translation by William F. Sinclair, (London: the Hakluyt Society, 1902).

ثالثًا: مقالات في دوريات باللغة العربية

28. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زارو الإمارات جسبارو بالبي"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 49، (أكتوبر 2016).

29. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زارو قطر (6) جسبارو بالبي"، مجلة الدانة، العدد 44، (سبتمبر 2015).

30. علي عفيفي علي غازي: "الخط العربي في كتابات الرحالة كارستن نيبور"، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني (2016).

31. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا الإمارات – كارستن نيبور"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 46، (يونيو 2016).

32. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا الإمارات – ديفيد سيتون"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 50، (نوفمبر 2016).

33. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا قطر (7) كارستن نيبور"، مجلة الدانة، العدد 45، (أكتوبر 2015).

34. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا الإمارات – وليم جيفورد بالجريف"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 52، (يناير 2017).

35. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا قطر (2) وليم جيفورد بالجريف"، مجلة الدانة، العدد 39، (مارس 2015).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

36. علي عفيفي علي غازي:"رحالة زاروا الإمارات – صموئيل زويمر"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 51، (ديسمبر 2016)

37. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا قطر (8) صموئيل زويمر"، مجلة الدانة، العدد 47، (يناير 2016).

38. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا الإمارات – جون لوريمر"، مجلة الإمارات الثقافية، العدد 53، (فبراير 2017)

39. علي عفيفي علي غازي:"رحالة زاروا عمان 9 – بيرترام توماس"، مجلة التكوين، العدد 42، (أبريل 2019).

40. علي عفيفي علي غازي: "رحالة زاروا قطر (3) بيرترام توماس"، مجلة الدانة، العدد 40، (أبريل 2015).

41. محمد همام فكري: "عبور الربع الخالي رحلة بيرترام توماس"، مجلة أسواق الخليج، العدد 6،850) ينابر 1994).

42. هلال الحجري: "مدخل إلى أدب الرحلات في عمان، دراسة وصفية للرحالة البريطانيين 1626–1970"، مجلة نزوى، العدد 35 (يوليو 2003).

رابعًا: مقالات في دوريات باللغات الأجنبية

43. El MallakhRagaei: "Economic Requirements for Development Oman", **Middle East Journal**, Vol. 26, No. 4 (Autumn 1972).

44. G. M. Lees, Reginald A. Smith and N. B. Kinnear: "The Physical Geography of South-Eastern Arabia", **the Geographical Journal**, Vol. 71, No. 5 (May 1928).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

Samuel M. Zwemer: "Three Journeys in Northern Oman", **the** .45 **Geographical Journal,** Vol. XIX, No. 1 (1902).

Zwemer S. M.: "Oman and Eastern Arabia", **Bulletin of the** .46 **American Geographical Society,** Vol. 39, No. 10 (1907).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

جرائم التعذيب الاستعماري لليبيين خلال فترة الاحتلال الإيطالي (1911 - 1930م)

د/ وفاء الضاوي محمد[1]

ملخص البحث

مارس الإيطاليين أبشع أنواع التعذيب في حق المواطنين الليبيين بغية القضاء عليهم، بهدف القضاء على المقاومة وحتى يسهل عليهم التحكم بمقدرات البلاد واستغلال مواردها، وقد برر أعماله الوحشية بأنها ردة فعل طبيعية بعد خسارته أمام صمود المجاهدين واستماتتهم في الدفاع عن بلادهم، الأمر الذي دفع بالإيطاليين إلى ابتكار أساليب جديدة تمثلت في إتباع سياسة التجويع والتشريد والاعتقال والنفي، وقطع طرق الإمداد والتموين والإمداد للمجاهدين، وعملت على معاقبة كل من يحاول مساعدة الثوار أو يشاركهم في الحرب ضدهم، وهذا ليس بغريب على شعب هدفه السلب والنهب.

وبناء على ما تقدم تم تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث شملت جوانب موضوع الدراسة، وخاتمة تضمنت نتائج البحث، يليها قائمة بالمصادر والمراجع.

---

(1) محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر / قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة طرابلس- ليبيا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

Colonial torture of Libyans during the period of the Italian occupation (1911-1930 AD)

Research summary

The Italians practiced the most heinous torture against the Libyan citizens in order to eliminate them, with the aim of eliminating the resistance and making it easier for them to control the capabilities of the country and the exploitation of its resources. New methods consisted of adopting the policy of starvation, displacement, arrest, and exile, and cutting the supply and supply routes of the Mujahideen, and it worked to punish all those who are trying to help the rebels or participate in the war against them, and this is not strange for a people whose aim is looting and pillaging. Based on the foregoing, the research was divided into an introduction and four topics that covered aspects of the subject of the study, and a conclusion that included the results of the research, followed by a list of sources and references.

مقدمة

لقد قامت ايطاليا بتنفيذ مخططها الاستعماري البربري منذ أن وطئت أقدامها الأراضي الليبية، لكنها فوجئت بمقاومة مستميتة من قبل سكان البلاد بالرغم من أسلحتهم المتواضعة حيث تمكنوا من زعزعة أمن القوات الايطالية وإلحاق الهزائم بهم.

وكان ضعف الحكم العثماني في ولاية طرابلس، انعكاساً طبيعياً لما ساد الدولة العثمانية من فساد وفوضى واضطراب، ويرجع السبب في ذلك إلى السياسة التي اتبعها الولاة العثمانيين في حكم البلاد وفرضهم للضرائب المجحفة التي اثقلت

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

كاهل السكان، يقابله ضعف شخصية بعض الولاة وعدم قدرتهم على إدارة أمور الولاية بصورة تتناسب وطبيعة عملهم، مما أدى إلى انتشار الرشوة والمحسوبية، وبالتالي اختلال الأمن والنظام فيها، مما جعلها عرضة للتدخل الخارجي والطمع في مقدراتها، ولكن مع ذلك فقد واجه الليبيون حركات استعمارية كثيرة رغم إمكانياتهم البسيطة وأسلحتهم المتواضعة، فصدو التوسع الفرنسي في غرب البلاد وجنوبها الغربي، ومن بعد في شرقها ضد الاستعمار الإنجليزي، يلي ذلك المقاومة الكبيرة داخل البلاد ضد الاستعمار الايطالي الذي كان يعمل على إعادة أمجاد روما القديمة، والقضاء على حالة البطالة التي انتشرت في البلاد، وذلك بإيجاد أسواق جديدة لتصريف المنتجات الايطالية، وبالفعل تحركت ايطاليا نحو ليبيا وبدأت باتباع سياسة التغلغل السلمي وعملت على ارسال البعثات الكشفية للتعرف على البلاد وايجاد نقاط الضعف للتدخل من خلالها في شؤون البلاد، كما اتخذت من الجالية الايطالية دريعة لتدخل البلاد بحجة حماية ممتلكات الايطاليين في ليبيا الأمر الذي دفعها إلى انشاء بنك روما سنة 1907 لتدخل البلاد اقتصادياً ومن ثم عسكرياً، ولكنهم فوجئوا بمقاومة مستميتة من قبل المجاهدين الليبيين رغم امكانياتهم البسيطة وتخلى العثمانيين عنهم، و كانت المقاومة بقيادة احمد الشريف، ومحمد سوف المحمودي واحمد المريض، وعبدالنبي بالخير وسليمان الباروني، ليأتي الدور البارز الذي قاده شيخ الشهداء عمر المختار الذي أفشل مخططات المحتل، حيث حكمت عليه المحكمة العسكرية الايطالية بالإعدام شنقاً وتم تنفيذ الحكم في حقه في السادس عشر من سبتمبر عام 1931 م.

لهذه الأسباب قمت بدراسة هذا الموضوع، لأنه لازال يحتاج إلى الكشف عن دوافعه والعوامل التي حركته والنتائج التي ترتبت عليه، كما ان الدراسات السابقة اقتصرت على دراسة المقاومة الليبية كانت جزئية وسرد للوقائع الحربية دون

انتباه للنتائج التي ترتبت عليها والمتمثلة في السجن والقمع والاعدام وعمليات النفي والتهجير، والتي راح ضحيتها الاف المدنيين من الشباب والشيوخ والنساء والاطفال الذين أبعدوا عن وطنهم إلى معتقلات الجزر الايطالية.

أهمية الموضوع:

تتجسد أهمية هذا الموضوع من حيث كونه يشكل خطوة مهمة للتعرف على أهمية هذه المرحلة التجي غطتها المقاومة، وردود الفعل تجاهها، والآثار التي ترتبت عليها. كما يكشف عن الجرائم التي ارتكبت في حق الليبيين من قبل الاحتلال الايطالي، وذلك بجمع المعلومات من مصادرها ووضعها في قالب واحد يسهل الرجوع اليها.

منهجية البحث:

لقد تم اتباع قواعد منهج البحث التاريخي، فجمعت المادة التاريخية من مصادرها، واعدت تركيبها واجتهدت في تفسيرها للوصول للعلة من وراء وقوع الحوادث بالشكل الذي وقعت به.

وبناء على ما توفر لدينا من معلومات، تمت هيكلة البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث يليها خاتمة تضمنت نتائج البحث، ومن تم قائمة المصادر والمراجع.

حيث تم تقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، فتناول المبحث الأول عملية سفك دماء المجاهدين باستخدام أبشع الطرق الوحشية، من قتل بالرصاص، وتنفيذ الإعدامات العشوائية التي راح ضحيتها الكثير من الأبرياء، بل تعداه إلى أبعد من ذلك، حيث تفنن الايطاليون في تعذيب المجاهدين وعملوا على إحراقهم لإرهابهم وإخضاعهم لحكمهم.

أما المبحث الثاني فقد تضمن كيفية استخدام الطائرات وترويع المدنيين دون رحمة حيث قاموا برميهم بالقنابل الحارقة ورشهم بالغازات السامة، من أجل القضاء على المقاومة بطريقة أسرع.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أما المبحث الثالث فقد اشتمل على دراسة عملية حشد المجاهدين في المعتقلات وتفريغهم في السجون الجماعية دون مراعاة لأوضاعهم الصحية ولا فئاتهم العمرية فقد ضمت تلك المعتقلات كافة شرائح المجتمع الليبي من أطفال وشيوخ ونساء.

وتطرقنا في المبحث الرابع لظاهرة التعذيب المعنوي التي تمثلت في النفي خارج البلاد، حيث بذلوا كل جهدهم من أجل القضاء على العنصر البشري لكي يتسنى لهم الاستحواذ على خيراتها.

وتأتي الخاتمة لتعرض النتائج المستخلصة من البحث، يليها قائمة مفصلة بالمصادر والمراجع التي ساعدت الباحث في استخراج البحث في صورته النهائية وإعطائه النتيجة المرجوة ليكون إضافة مفيدة وسديدة ساهمت في عرض بعض مشاكل تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر.

المبحث الأول

الممارسات البشعة بدماء المجاهدين الليبيين من قبل الاستعمار الإيطالي

على إثر الخسارة التي تعرض لها الايطاليون في معارك الهاني وشارع الشط في 23 أكتوبر 1911م، ويرجع ذلك إلى حسن إدارة المجاهدين لخطة سير المعركة ومباغتة الايطاليون من الخلف مما تسبب في مقتل العديد من الجنود الطليان وجرح الكثير منهم[1].

(1) تقرير القنصل الأمريكي في طرابلس إلى السفير الأمريكي في اسطنبول، بتاريخ 24 أكتوبر 1911م، وثائق أمريكية، مجلد (1)، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م، ص492.

وفي هذا الصدد، يخبرنا فرنسيس ماكولا، الذي كان يراقب الأحداث، إن السرية الرابعة والخامسة من اللواء الحادي عشر، وكان عددها 400 جندي وضابط لم يبقى منها غير 37 رجلاً، الأمر الذي دفع بالإيطاليين إلى فقدان وعيهم وإطلاق الرصاص بطريقة عشوائية في كل الاتجاهات وعلى كل من يقع بصرهم عليه دون تفريق بين مسلح وأعزل من سكان منطقة المنشية، وعملوا على قيام مجزرة كبيرة فيها، ومنذ ذلك الحين بدأت عمليات سفك الدماء والتنكيل بالمواطنين[1].

وقد كانوا الضباط والجنود الايطاليين يشهرون مسدساتهم في الشوارع والطرقات، الأمر الذي افزع المواطنين الآمنين، وليس هذا فحسب بل قاموا بتفتيش البيوت بحثًا عن الأسلحة، وأصدروا بيانات تهدد بإعدام كل من يكون بحوزته سلاح، وأقيمت المحاكم العسكرية وأصدرت أحكام الإعدام[2]، الأمر الذي دفع العقيد نشأة بك إلى توجيه برقية مستعجلة إلى حكومته في اسطنبول طلب منهم الاحتجاج دوليًا على تلك الجرائم التي ارتكبها في حق سكان واحة المنشية، حيث أنهم لم يستثنوا الأطفال ولا النساء وقتلوهم جميعًا، و شوهدت جثت الرجال في كل مكان وقد ذبحوهم ذبح الخراف[3].

وكان انتشار الجثث في الميادين والطرقات أمرا عاديًا مما اغضب كراوزة ورفض الكتابة في كل الحالات التي يشاهدها من بشاعة الموقف والصور المروعة التي شاهدها[4].

(1) فرنسيس ماكولا، حرب ايطاليا من اجل الصحراء، ترجمة: عبدالمولى صالح الحرير، مراجعة محمود حسن منسي، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م، ص 181، 184.

(2) نفس المرجع، ص191.

(3) برقية نشأة بك إلى الحكومة الترقية في اسطنبول، بتاريخ 3 نوفمبر 1911م، وثائق أمريكية، مصدر سابق، ص 335.

(4) غوتلو أولف لفكراوزة، تقارير صحفية حول الغزو الايطالي لليبيا، ترجمة: عماد الدين غانم، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993م، ص109.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وتشير المصادر الوطنية والأجنبية إلى الجرائم البشعة التي ارتكبها العدو الايطالي تجاه المواطنين، حيث عملوا على إعدام أربعة عشر رجلاً جريحاً بعدما هربوا من المذبحة التي أقامها الايطاليون ضد الأهالي ولكنهم لم يستطيعوا النجاة فعلم الايطاليين بمكان تواجدهم وألقوا القبض عليهم وشنقوهم في نفس اليوم[1] بالقرب من جامع سيدي حمودة[2].

وفي هذا الصدد يفيدنا كراوزة أن الايطاليين قاموا بعملية تمشيط فقتلوا كل من وجدوه مسلحاً أو شبه مسلح أما من تبقى منهم فقد سحبوهم إلى المدينة وبلغ عددهم ثلاثمائة شخصاً[3].

ويورد لنا أبوت الكثير من الروايات حول الجرائم التي ارتكبت في احداث المنشية، حتى النساء والأطفال لم ينجوا من العقاب والمحاسبة حيث كانت جثثهم ملقاة في المساجد والبيوت التي تم استرجاعها من الايطاليين، ويضيف رواية كان قد نقلها عن طبيب يوناني، إنه سمع من احد النساء في المستشفى في عين زارة عن المعاملة السيئة والتعذيب حتى الموت للنساء الليبيات على يد الجنود الايطاليين[4].

وهناك العديد من الروايات عن عمليات القتل الجماعي، أولها الحكم بقتل الذكور الذين في واحة المنشية ممن تجاوز سنهم الثالثة عشر والرابعة عشر عاماً

(1) فرنسيس ماكولا، المرجع السابق،ص 193،هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر، من صفحات الاستعمار الايطالي في ليبيا، مطبعة الكرنك، القاهرة، ط2، 1948م، ص 23.

(2) جامع سيدي حمودة يقع بالقرب من سور المدينة ويبعد عدة أمتار عن مقر قيادة الجنرال كانيفا، وفي عام 1950م أطلق عليه ميدان الشهداء.

(3) غوتولبكراوزة، مرجع سابق، 173.

(4) ج. ن، أبوت، الحرب المقدسة في طرابلس الغرب، ترجمة: عبدا لحفيظ الميار، دارف المحدودة، لندن، 1993، ص ص163، 164.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بتهمة اشتراكهم في الحرب[1]، ويفيدنا الزاوي بأن ذلك شمل كل عربي حمل السلاح أو اشترك في المقاومة[2].

ومن القصص المروعة قتل الأسرى جميعاً دون محاكمة، وكردة فعل على هذه الأفعال الوحشية استطاع المجاهدين هزيمة الايطاليين وحاصروهم في المدينة القديمة، فكانت ردة فعل العدو أكثر بشاعة فقاموا بقتل كل من وجدوه أمامهم أثناء انسحابهم، فعمت المذابح المكان[3] وتشير المصادر إن عدد القتلى في واحة المنشية ما بين أربعة إلى سبعة ألاف كما هتكت أعراض النساء[4].

وقد نبذت الصحافة العالمية ما فعلوه الايطاليين من مجازر في حق الليبيين، حيث اتهمت صحيفة الستاندرد (standard)، ايطاليا بالقتل الوحشي للنساء والأطفال، كما نشرت صحيفة التايمز (Times) بأن فيضانات الدم فتحت وطالت البريء والمذنب معاً، كما وصفت صحيفة المانشيستر جارديان العدو الايطالي بأنه من أكثر الحروب فظاعة في التاريخ، كما إتهمته أيضاً بأنه قتل واجبر على رحيل أكثر من ثلث السكان في مدينة طرابلس[5].

كما قام الايطاليون بانتهاك مقدسات المسلمين وذلك بدخولهم المساجد للتفتيش عن الأسلحة [6].

(1) فرنسيس ماكولا، مرجع سابق، ص244، هيئة تحرير ليبيا، مرجع سابق، ص32.
(2) الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 1973، ص199.
(3) فرنسيس ماكولا، مرجع سابق، ص 284.
(4) كراوزة، مرجع سابق، ص97، هيئة تحرير ليبيا، مرجع سابق، ص20.
(5) وليم اسكيو، اوروبا والغزو الايطالي لليبيا، 1911 – 1912م، ترجمة: ميلاد المقرحي، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص 112.
(6) هيئة تحرير ليبيا، مرجع سابق، ص 93.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ومن قصص القتل العشوائي التي ارتكبها الايطاليون في عام 1913 عندما شرعوا في شق الطرق وأعمال البناء، فقاموا بتجنيد المواطنين في أعمال السخرة وكانوا يحتجزون المواطنين لتوفير اليد العاملة، ومن ثم ارسالهم إلى سجن القلعة حيث يوجد فيه مجموعة ممن حكم عليهم بالإعدام، فاختلط العمال بالمحكومين، ونفد فيهم جميعاً حكم الإعدام[1].

وفي معركة القرضابية مثال أخر لعمليات القتل الجماعي، فعند وصول حملة العقيد مياني إلى سرت، رفض العديد من الرجال الذهاب مع الحملة لقتال إخوانهم في قصر بوهادي الذي يبعد عن سرت بأكثر من عشرون كيلو متر وعند هزيمة قوات مياني رجع إلى سرت وصب جم غضبه عليهم وقام بإعدام مائة رجل منهم رمياً بالرصاص دون محاكمة[2].

وبعد هزيمة الايطاليين في معركة القرضابية، قاموا بردة فعل انتقامية نتج عنها إحراق مئاتي شخص من أهالي مدينة تاورغاء ومصادرة جميع أملاكهم، وفي مصراتة احرق الايطاليون منزل الشريف فيدان وفيه جميع أفراد عائلته وأقاربه[3].

ونلاحظ هنا إنه عندما يتعرض الجنود الايطاليين للهزيمة، يقومون بأعمال انتقامية كردة فعل على هزيمتهم، وهذه الأعمال الوحشية لم يسلم منها حتى الشيوخ والأطفال والنساء[4].

(1) نفس المرجع، ص 44.
(2) احمد عطية مدلل، التدخل الأجنبي في ليبيا (1918 – 1915م)، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، ج 2، 2007، ص 820.
(3) هيئة تحرير ليبيا، المرجع السابق، ص 45.
(4) نفس المرجع، ص 46.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المبحث الثاني
استخدام الطائرات والقنابل والغازات السامة

لقد مارس الايطاليون أبشع الأساليب القمعية للنيل والانتقام من المقاومة الوطنية حيث قصفت بطائراتها الحربية الأراضي الليبية دون أن تكترث للخراب والدمار الذي ستحدثه في البلاد.

وفي نوفمبر عام 1911م ألقيت أول قنبلة على المجاهدين في منطقة عين زارة[1] ومن مأسئ هذا القصف العنصري قتل الأبرياء وحرق البيوت وتخريب المدن والقرى يضاف إلى ذلك قتل الحيوانات وحرق المزارع، وتزايد عدد الطائرات الحربية الغازية حيث وصل عددها في السنة الأولى من الغزو ثمان وخمسين طائرة، استخدم فيها الفاشست الغازات السامة المحرمة دولياً، حيث ألقيت الطائرات قنابلها التي كونت سحباً من الدخان في الهواء مما سبب اختناقاً مميتاً للناس[2].

وفي عام 1917م تم رش مناطق الزاوية وصرمان والعجيلات بالسائل الحارق، كما قتلوا السكان والحيوانات، ودمروا الحقول باستخدام القنابل الحارقة المحرمة دولياً[3].

وقد استخدم الطيار الايطالي بياني قنابل الغاز السامة ضد المجاهدين فكبدهم خسائر فادحة، كما ساهم الطيران الحربي في إفناء الثروة الحيوانية، وذلك بإصدار

(1) مصطفى علي هويدي، ظاهرة النفي وأسبابها، مجلة الشهيد، العدد العاشر، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989، ص 69.

(2) أنزو سانتاريللي، جورج ووشا، رومين دائنيرو، لوجي قوليا، عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، ترجمة: عبدالرحمن سالم العجيلي، تقديم عقيل البربار، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988، ص ص 74، 75.

(3) ايريك ساليرنو، حرب الابادة في ليبيا، ترجمة: علي حسنين،، المنشأة العامة للتوزيع والنشر، 1984، ص 87.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

صوت الصافرة فتفزع الحيوانات وتتجمع فيقوم بإلقاء القنبلة عليهم وإبادتهم دفعة واحدة.، كما طالت طائرات العدو القوافل الناقلة للإمداد لمساندة المجاهدين في الصحراء حيث تمكنت القوات الايطالية من قصفها وتدميرها بالكامل، وفي هذا الصدد شجع القائد بادوليو الأعمال الوحشية والإجرامية التي قام بها سيشيلياني وخاصة الغارات الجوية وعمليات التطهير التي طالت البلاد بأكملها[1].

المبحث الثالث

السجون والمعتقلات

لقد مارس العدو الايطالي هذه الظاهرة كردة فعل تجاه المقاومة الوطنية في ليبيا والانتقام منهم بعد الانتصارات التي حققتها المقاومة، لذلك عملت ايطاليا على تفريغ البلاد من سكانها وذلك بزج المواطنين في المعتقلات التي أقاموها في الصحراء، بهدف محاصرة الوطنية اقتصادياً وعزلها اجتماعياً، وذلك بمنع إمدادها بالمؤن والأموال وقطع مصادر إعاشتها، والحيلولة دون التحاق عناصر وطنية جديدة بها، وبذلك القضاء على المساعدات التي كانت تحصل عليها المقاومة خفية من بقية المواطنين، لذلك عمل حاكم ليبيا بيترو بادوليو (PietroBadoylio)[2]على إقامة معسكرات اعتقال في أماكن بعيدة يجمع فيها القبائل التي كانت تساند الثوار، وبدأت ايطاليا في تنفيذ برنامجها الاستعماري فأقامت مراكز للتجميع من بينها عين الغزالة وطلميثة وبرسس وتوكرة *.

(1) انزو سانت اويللي وآخرون،مرجع سابق، ص 145.
(2) حكم ليبيا في الفترة من 1929 إلى 1933.
(*) عين الغزالة تقع غرب طبرق بحوالي 45 كيلو متر، وهى منطقة حصينة تحيط بها المياه من ثلاثة جهات.

وبعد فشل المفاوضات بين عمر المختار والايطاليين استخدم العدو هذه الوسيلة للضغط على حركة المقاومة وإجبارها على الاستسلام، وقد اختار الطليان منطقة عين الغزالة مركزاً لتجميع المواطنين لحصانته وإفشال هجمات الثوار، ولكن مع ذلك تمكن المجاهدون من قبيلتي العبيدات والحاسة بالاتفاق مع المعتقلين بتدبير كمين للإيطاليين والاستيلاء على احد القوافل وغنم ما تحمله من مؤن وذخائر بعد القضاء على الحراس[1]ولكن الايطاليون ردوا بيد من حديد على المجاهدين فطوقوهم وأعادوا اعتقالهم واعدم بعضهم، ومع ذلك فإن هذه الحادثة لم تردع المجاهدين وأعوانهم من الأهالي، حيث ضلوا يغيرون بين حين وأخر لكي يفهم العدو بأن ليبيا لن تكون سهلة المنال[2].

طلميثة: اتخذها الايطاليون قاعدة لتجميع المجاهدين في عام 1930م، لمناعتها حيث يمكنهم التصدي لأي هجوم مباغت من المجاهدين وانقاد اخوانهم المعتقلين، وتمكن الايطاليون من اعتقال ما بين (50: 60) ألف نسمة من قبيلتي البراعصة والدرسة وبعض القبائل الأخرى[3].

مركز تجمع برسس: كانت برسس مركزاً لتجمع قبيلة العبيدات من سكان الجبل الأخضر، ومكث المعتقلون فيها قرابة خمسة أشهر، ونظراً لطول مدة الاعتقال حدث تمرد وهرب بعض المعتقلين، الأمر الذي دفع غراتسياني إلى إصدار أوامره بترحيل المعتقلين من برسس إلى معتقل البريقة[4].

(1) ادريس عمر الحرير، الاستعمار الاستيطاني الايطالي في ليبيا، 1911 – 1970، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس،1984، ص ص،123، 124.
(2) نفس المرجع السابق، ص174.
(3) مجموعة من الاساتذة والباحثين، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، يوسف سالم البرغثي، المعتقلات، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، ط2، 1998، 349.
(4) نفس المرجع، نفس الصفحة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المعتقلات الجماعية:

إن مرحلة جمع السكان في معسكرات البريقة والعقيلة والمقرون وسلوك وغيرها، كانت ضربة قاسمة لحركة الثورة في الجبل الأخضر لأنها حرمت المقاومة من استبدال دماء جديدة بمن يسقطون شهداء في ميادين النضال، كما إنها سببت كارثة كبيرة فقد هلكت أعداد هائلة من الحيوانات التي كانت تشكل عصب الاقتصاد بالنسبة لسكان القبائل المهجرة من ديارها إلى تلك المعتقلات العامة[1].

ا – معتقل العقيلة[2]:

ضم هذا المعتقل أفراد قبائل البطنان وبعدها تم فرز أفراد قبيلة العبيدات، وتم نقلهم إلى معتقل العبيدات بالبريقة، وبقى بالعقيلة من تربطه صلة قرابة بأحد المجاهدين، واشتهرت العقيلة باسم معتقل العقوبات أيضا لأنه مورست بداخله أبشع أنواع العقوبات على المعتقلين من جلد بالسياط يصل إلى ألف جلدة وسكب الماء المالح على جسم المعاقب، كما قاموا بربط المتهم في العمود تحت أشعة الشمس الحارقة مدة لا تقل عن ثلاثة أيام، كما عملوا على تعذيب وإجهاد المعتقلين بكنس الرمال ونقلها من مكان إلى أخر طيلة اليوم، كما سخروهم لشحن وتفريغ حمولة البواخر الايطالية، وما يميز معتقل العقيلة عن غيره إنه خليط من جميع أفراد القبائل القاطنة في برقة، وقد منع الايطاليين السجناء السياسيين من مزاولة أي عمل أو امتلاك أي شيء بل كانوا عرضة للانتقام منهم، بعد كل هزيمة يلحقها المجاهدين بالطليان[3].

(1) قصة جهاد الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي (1911 – 1943)، صور ووثائق وأرقام، جمع وتعليق حبيب وداعة الحسناوي، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988، 248.

(2) العقيلة منطقة صحراوية تقع على خليج سرت تبعد عن بنغازي بحوالي 285 كلم، مياهها مرة المذاق شمسها قوية يندر بها الكلاء.

(3) يوسف سالم البرغثي، المعتقلات، مرجع سابق، ص 351.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٢ – معتقل البريقة:

لقد ضم معتقل البريقة قبائل العبيدات، ومارس بحقهم الطليان أبشع وسائل التعذيب والتجويع مما أصاب الناس أمراض الإسهال والمعدة والأورام بالمفاصل حيث كان يصل عدد الموتى يومياً إلى 150 شهيد.

٣ – معتقل سلوق:

احتوى معتقل سلوك قبائل العواقير والعرفة والعبيدات وهو أكبر المعتقلات مساحة، وبلغ عدد المعتقلين بداخله حولي 36 ألف نسمة، تم توزيعهم على الخيام، وقد سُمح للمعتقلين بسلوق بمزاولة بعض الأعمال خارج المعتقل بموجب تصريح يمنحه مدير المعتقل على شرط أن يعود قبل غروب الشمس، وكانت حالة المعتقلين بسلوك أفضل من حالة المعتقلين بالبريقة والعقيلة، و مع هذا أصيبوا ببعض الأوبئة الفتاكة كالتيفوذ اللطعي الذي تسبب في هلاك أغلب سكان المعتقل[1].

٤ – معتقل المقرون:

ضم هذا المعتقل قبائل الدرسة والبراعصة حيث بلغ عددهم حوالي 18 ألف نسمة وطبق عليهم نفس النظام الذي طبق على المعتقلات السابقة، ولكن زاد الاهتمام به لوجود مدرسة الباليلا داخل سياجه، حيث قام الطليان بتعليم الأطفال مبادئ الفاشية في محاولة منهم لخلق جيل يدين بالولاء لروما، ولكن هذا الحال لم يستمر طويلاً، حيث انتشرت المجاعة وسوء التغذية والتعذيب بالجلد والربط على العمود، وكثرت فيه الإعدامات الأمر الذي ادى إلى إبادة المعتقلين[2].

(1) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري، القاهرة، 1947، ص 66، 68.

(2) عقيل البربار وأخرون، عمر المختار، نشأته وجهاده (1862 – 1931)، المركز الليبي للمحفوظات التاريخية، طرابلس، ط2، 1983، ص ص 130، 131.

ولم تكتفي ايطاليا بجمع المعتقلين وإبادتهم بل عملت على تفريغ البلاد من سكانها، حيث عملت على ترحيلهم ونفيهم إلي سجون ومعتقلات الجزر الايطالية، لكي تتسنى لها فرصة القضاء على جميع المعارضين والانفراد بحكم البلاد، ضناً منها إنها بهذه الأعمال الوحشية ستقضي على المقاومة، ولكن كل جرائمها في حق الليبيين لم تزدهم إلا إصراراً على مواصلة الكفاح والجهاد ضد العدو المحتل.

المبحث الرابع

التعذيب المعنوي (النفي خارج البلاد)

إن عقوبة النفي تتمثل في إبعاد الشخص المشتبه فيه خارج وطنه، وقد شملت عمليات النفي مختلف الفئات من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، وكل من له نشاط سياسي أو محرض على المقاومة أو داعماً لها.

لقد كانت عمليات النفي تخالف كافة الشرائع السماوية والنظم القانونية، إذ كيف يكون الإنسان الذي يدافع عن نفسه ووطنه مجرماً ويُحْكم عليه بالإعدام أو النفي، في حين إن كافة القوانين والتشريعات المعاصرة تلزم المواطن بالدفاع عن وطنه في حالة تعرضه للخطر الخارجي، لذلك جاءت فكرة التجنيد الإجباري أو الخدمة الوطنية التي طبقتها أغلب الدول على شعوبها[1].

وبذلك فإن عمليات النفي وما ترتب عليها تعتبر منافية لقواعد الأخلاق الدولية وقواعد القانون الدولي، لأن الغزو والنفي مُورسا ضد دولة مستقلة وأدى ذلك إلى حرمانها من العيش بسلام.

لقد ارتبطت ظاهرة النفي ارتباطاً مباشراً بتصاعد حركة المقاومة المسلحة، فقد كانت عمليات سفك الدماء هي نوع من ردة الفعل العدوانية نتيجة الفشل الذي

(1) احمد عطية مدلل، مرجع سابق، ص 821.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

منيت به ايطاليا بسبب الخسائر التي تعرضت لها، لذلك كانت عمليات النفي هي الجزء المكمل لمظاهر القتل والسجن التي ارتكبها الايطاليون بحق المجاهدين.

ومن أجل القضاء على المقاومة الوطنية، فقد باشرت ايطاليا عمليات النفي منذ أول مواجهة مسلحة في مدينة طرابلس يوم 23 أكتوبر 1911، في معركة المنشية وشارع الشط وسيدي المصري، حيث أصدر رئيس الوزراء الايطالي جيوليتي أوامره بنفي أي معارض للسلطات الايطالية إلى جزر فافنيانا (Faveniana) وأوستيكا (Ustica) وترمتي (Tremiti) وفينتوتيني (Ventutini)[1].

وبالفعل فقد بدأ الطليان افراغ واحة المنشية من سكانها، ونفي رجالها إلى الجزر الايطالية، وكان الهدف من عمليات النفي استتاب الأمن وعدم اتصال السكان بالمجاهدين المطوقين للواحة الأمر الذي يؤدي إلى مساندتهم لبعضهم ومقاومتهم[2].

كما كان هدف الطليان من إتباع سياسة النفي تجاه المجاهدين يكمن في تغطية عمليات الإعدام التي أصبحت مصدر انتقاد العالم لهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى للتقليل من عدد المحاربين بالموت المحقق الذي كان ينتظرهم في المعتقلات الايطالية.

وهكذا كان الترحيل عشوائياً وعملاً انتقامياً ونوعاً من القصاص غير العادل بعد كل هزيمة تلحق بالقوات الايطالية، وقد شملت عمليات النفي الرجال والنساء والشيوخ وحتى الأطفال لم ينجوا من الانتقام، وفي هذا الصدد فقد تم العثور على

(1) رومانينراينيرو، الجوانب المجهولة عن المقاومة الليبية، مجلة البحوث التاريخية، السنة 7، عدد 2، المركز اللبي للمحفوظات التاريخية، طرابلس، 1985، ص ص 98، 99.

(2) باولوا مالتيزي، ليبيا أرض الميعاد، ترجمة: عبدالرحمن سالم العجيلي، مركز المحفوظات للدراسات التاريخية، طرابلس، ط 2، 1992، ص 228.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

عدة وثائق تبين عدد المنفيين إلى جزيرة تريميتي من 29 أكتوبر 1911 إلى 9 يناير 1912 بـ 1367 منفياً، كان وصولهم على دفعتين، الأولى بعدد595 منفياً، والثانية بعدد 772 منفياً، توفى منهم 198 منفياً[1].وازداد عدد المنفيين في الفترة ما بين 20: 30 يناير 1912 بعدد يقدر بـ 3053 منفياً موزعين على عدة جزر ايطالية، وقد كان المنفيون من المدن الساحلية، ثم تواصل زحف الايطاليون إلى المدن الداخلية في الجبل الغربي ومنطقة سرت والقبة وفزان ومنطقة الجبل الأخضر، وعلى اثر الهزائم التي تعرض لها الايطاليون في سنتي 1914 – 1915، وبانسحابهم نحو الساحل كانوا يقومون بعمليات اسر جماعية للسكان المدنيين إما بالانتقام للتعويض عن خسائرهم البشرية التي فقدوها في ساحات الحرب، ففي معركة لُقن عمران في أواخر نوفمبر 1914 على سبيل المثال تم اسر عدد من سكان المنطقة من بينهم أربعون رجلاً من الحوامد تم نفيهم إلى جزيرة اوستيكا[2].

وفي مدينة برقة تؤكد لنا الوثيقة المؤرخة في نوفمبر من عام 1914، إن عمليات النفي لم تكن بناء على التهم الموجهة للمرحلين، بل كانت تهدف إلى نفي الأبرياء لإرهاب السكان[3].

وكانت عمليات الأسر والسجن والنفي تتم بنفس الوثيرة في كافة المناطق الداخلية، ففي فزان والجفرة وسرت في مايو 1915، وبعد معركة القرضابية والهزيمة الفادحة التي تعرضت لها القوات الايطالية، وبسبب عمليات القتل الجماعي التي ارتكبها العقيد مياني في سرت كردة فعل على الهزيمة، وتخوف الايطاليون من ردود الفعل ضد حامياتهم في المناطق التي ينتمي إليها الذين اعدموا،

(1) سلسلة الوثائق الايطالية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 1989، احصائية بعدد المنفيين بجزيرة تريميتي، بتاريخ 9 يناير 1912، ص58 – 59.
(2) نفس المصدر السابق، ص 402 – 515.
(3) نفس المصدر، وثيقة رقم (916073)، بنغازي، في 18 نوفمبر 1914، ص 156.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

صدرت الأوامر باعتقال الزعماء أو ذويهم قبل انتشار خبر المذبحة، وكان الهدف من هذا الإجراء ضمان الأمن لحامياتهم في تلك المواقع، ونتيجة لذلك فقد جرت عمليات اعتقال واسعة في مصراتة وترهونة وقماطة وزليتن والخمس وورفلة وتم نفيهم إلى ايطاليا[1].

وليس من السهل توفير إحصائية متكاملة بعدد المنفيين نظراً لشح المصادر، غير إن الرقم الذي يمكن الاطمئنان إليه وفق المصادر المتوفرة يقدر ب3618 بين رجل وامرأة وطفل تم استخلاصها من قوائم المنفيين التي دونت بأيدي الطليان أنفسهم، حيث كانت القائمة الأولى من طرابلس، وضمت 595 رجلاً وشاباً، وتم نفيهم في يوم 26 أكتوبر 1911، وتم نفيهم إلى جزيرة تريميتي[2].

أما القائمة الثانية فقد ضمت 276 رجلاً وطفلاً، وكانت التهم المنسوبة إليهم هي مناهضة الحكم الايطالي أو مساعدة المجاهدين وقد كانت عمليات النفي في المدة المحصورة بين 1913 – 1915[3].

وفي المجموعة الثالثة 671 شخصاً وكلهم من الرجال ومن المناطق الممتدة بين طرابلس وسرت، والبعض من الجبل الغربي، والكارثة العظمى التي حلت بالبلاد هي موت الشباب وهى الفئة التي ركز عليها الايطاليون، وخاصة بعد مشاركة الأخيرة في الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918)، وانضمام ايطاليا فيها في شهر مايو 1915، وذلك للاستفادة من خدمات المنفيين في مختلف المجالات منها الخدمات العامة مثل الزراعة والصناعة وغيرها، لذلك عملت

(1) الوثائق الايطالية، مصدر سابق، نص قرار الوالي تاسوني الصادر في 12 يونيو 1915، 165.
(2) نفس المصدر السابق، قائمة بأسماء المبعدين من طرابلس إلى جزيرة تريميتي، ص ص 260 – 270.
(3) نفس المصدر السابق، ص ص335 – 340.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ايطاليا على تكثيف عمليات النفي لتعويض خسائرها في تلك الحرب، كما إن ايطاليا عملت على مشاركة بعض الليبيين في تلك المعارك الأوروبية، التي ليس لهم بها أية علاقة[1].

وكان من أسباب ازدياد عمليات النفي في ولاية طرابلس امتلاء السجون بالمواطنين الليبيين، لذلك عمل الايطاليون على نفي العديد من السكان إلى جزرهم البحرية من أجل القضاء على المقاومة الشعبية في البلاد.

وهكذا نتوصل إلى نتيجة المعاملة السيئة التي تعرض لها المنفيون في جزر المنفى فقد عوملوا باحتقار وازدراء وكانوا يتعرضون للإهانة دائماً، بل واجبروا على العمل في مزارع ومصانع الايطاليين بدون مقابل، وليس هذا فحسب بل عملوا على ترحيلهم إلى المستعمرات الايطالية في أفريقيا وتحديداً إلى أرتريا يشتغلون في أعمال مد خطوط السكك الحديدية و ذلك لتعويض النقص في الأيدي العاملة[2].

أما عن الوضع الصحي للمنفيين فقد انتشرت العديد من الامراض بين صفوفهم مما أدى إلى هلاكهم، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها انعدام الغذاء والكساء وقسوة المناخ في جزر مكشوفة، والإقامة في السراديب المظلمة التي لا تصلها أشعة الشمس، مما أدى إلى انتشار الأمراض المعدية والفتاكة بين صفوف المنفيين مثل مرض الكوليرا الذي أودى بحياة الكثير منهم، وهذا ما حدث للمنفيين في جزيرة اوستيكا وتريميتي، ومن الأمراض الأخرى التي كانت سبباً في وفاة المنفيين داء

(1) محمد سعيد القشاط – معارك الدفاع عن الجبل الغربي، المنشأة العامة للتوزيع والنشر، طرابلس، 1983، ص 178.

(2) الوثائق الايطالية، مصدر سابق، برقية مارتيني إلى حكومة ارتريا رقم 2783، بتاريخ 30 مايو 1915، 178.

الرئة وداء الشُعب ووباء الحمى والهزال، وقد زادت نسبة الوفيات في الفترة الممتدة من 23 ديسمبر إلى 6 يناير 1912 حيث تجاوزت النصف[1].

ويرجع سبب تلك الوفيات إلى عدم قدرة بعض الأجسام على التأقلم مع ظروف البيئة، خصوصاً كبار السن والصغار، فهم لا يستطيعون مقاومة البرد القارس في تلك الجزر.

وقد أشار تقرير أخر أعده لوترايو (Lutrqrio) المكلف بالتفتيش على المعتقلين في جزيرة تريميتي، إلى ارتفاع عدد الوفيات بسبب الالتهاب الرئوي وأمراض أخرى معدية، وليس هذا فحسب بل ازدادت الأحوال سوءً في هذا المعتقل بسبب سوء التغذية وإهمال النظافة في الزنزانات وسوء المعاملة، كل تلك العوامل ضاعفت من معدل الوفيات بين المنفيين[2].

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذا البحث مدى بشاعة الجرائم التي تعرض لها الشعب الليبي بسبب مقاومته للاحتلال الايطالي، ولكن هل يعد هذا مبرراً للتنكيل بالمواطنين والنيل منهم بأبشع الوسائل.

لقد تفنن الايطاليين في تعذيب الليبيين دون حسيب أو رقيب، حيث إن المجتمع الدولي لم يكترث لما يحصل في ليبيا من مذابح وإعدامات جماعية وفردية بل تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك حيث استخدم الايطاليين الطائرات وإلقاء القنابل الحارقة على شعب يمكن وصفه بالأعزل مقارنة بالأسلحة المتطورة التي استخدمها الطليان للقضاء على حركة المقاومة التي كان لها دوراً

(1) الوثائق الايطالية، المنفيون، مصدر سابق، ص60.

(2) نفس المصدر السابق، رسالة وزارة الداخلية إلى الإدارة العامة للصحة، حول تقرير لوترايو بتاريخ 25 يناير 1912، ص 69.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

كبيراً في صد العدو الخارجي وإلحاق الهزائم الواحدة تلو الأخرى، وكردة فعل على تلك الهزائم عملت ايطاليا على تفريغ البلاد من سكانها بإتباعها لكافة الأساليب المشروعة والغير مشروعة للقضاء على الليبيين دون تفريق، حيث شمل انتقامهم جميع فئات الشعب الليبي حتى النساء والأطفال والشيوخ الذين لا حول لهم ولا قوة لم يسلموا من بطشهم وانتقامهم.

ولكن كل تلك الأعمال الانتقامية لم تثني الشعب الليبي عن كفاحه ودفاعه عن وطنه وتحريره من براثن العدو الغاشم، حتى استقلالها في 24 ديسمبر 1951 تحت اسم المملكة الليبية المتحدة تحت نظام ملكي دستوري.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق والتقارير:

1. تقرير القنصل الأمريكي في طرابلس إلى السفير الأمريكي في اسطنبول، بتاريخ 24 أكتوبر 1911، وثائق أمريكية، مجلد (1)، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989.
2. برقية نشأة بك إلى الحكومة الترقية في اسطنبول، بتاريخ 3 نوفمبر 1911، وثائق أمريكية.
3. رسالة وزارة الداخلية إلى الإدارة العامة للصحة، حول تقرير لوترايو بتاريخ 25 يناير 1912.
4. الوثائق الايطالية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 1989، إحصائية بعدد المنفيين بجزيرة تريميتي، بتاريخ 9 يناير 1912 م.
5. وثيقة رقم (916073)، بنغازي، في 18 نوفمبر 1914 م.
6. برقية مارتيني إلى حكومة ارتريا رقم 2783، بتاريخ 30 مايو 1915 م.
7. رسالة وزارة الداخلية إلى الإدارة العامة للصحة، حول تقرير لوترايو بتاريخ 25 يناير 1912م.

ثانيا: المراجع العربية والمترجمة:

1. الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 1973م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

2. ايريك ساليرنو، حرب الإبادة في ليبيا، ترجمة: علي حسنين، المنشأة العامة للتوزيع والنشر، 1984 م.
3. أنزو سانتاريللي، جورج ووشا، رومين دائنيرو، لوجي قوليا، عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، ترجمة: عبدالرحمن سالم العجيلي، تقديم عقيل البربار، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988 م.
4. إدريس عمر الحرير، الاستعمار الاستيطاني الايطالي في ليبيا، 1911 – 1970، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس،1984م.
5. أحمد عطية مدلل، التدخل الأجنبي في ليبيا (1915 – 1918)، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، ج 2، 2007 م.
6. باولوا مالتيزي، ليبيا أرض الميعاد، ترجمة: عبدا لرحمن سالم العجيلي، مركز المحفوظات للدراسات التاريخية، طرابلس، ط 2، 1992 م.
7. ج. ن، أبوت، الحرب المقدسة في طرابلس الغرب، ترجمة عبدا لحفيظ الميار، دارف المحدودة، لندن، 1993 م.
8. حبيب وداعة الحسناوي، قصة جهاد الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي (1911 – 1943)، صور ووثائق وأرقام، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.
9. غوتلوب أودلف كراوزة، تقارير صحفية حول الغزو الايطالي لليبيا، ترجمة عماد الدين غانم، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

10. فرنسيس ماكولا، حرب ايطاليا من اجل الصحراء، ترجمة: عبد المولي صالح الحرير، مراجعة محمود حسن منسي، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991 م.

11. فرنسيس ماكولا، المرجع السابق،ص 193،هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر، من صفحات الاستعمار الايطالي في ليبيا، مطبعة الكرنك، القاهرة، ط2، 1948م.

12. عقيل البربار وأخرون، عمر المختار، نشأته وجهاده (1862 – 1931)، المركز الليبي للمحفوظات التاريخية، طرابلس، ط2، 1983م.

13. محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري، القاهرة، 1947م.

14. محمد سعيد القشاط – معارك الدفاع عن الجبل الغربي، المنشأة العامة للتوزيع والنشر، طرابلس، 1983م.

15. مجموعة من الأساتذة والباحثين، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، يوسف سالم البرغثي، المعتقلات، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، ط2، 1998م.

16. وليم اسكيو، أوروبا والغزو الايطالي لليبيا، 1911 – 1912، ترجمة: ميلاد المقرحي، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988 م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المجلات والدوريات العلمية:

1. روماين راينيرو، الجوانب المجهولة عن المقاومة الليبية، مجلة البحوث التاريخية، السنة 7، عدد 2، المركز الليبي للمحفوظات التاريخية، طرابلس، 1985م.
2. مصطفى علي هويدي، ظاهرة النفي وأسبابها، مجلة الشهيد، العدد العاشر، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989 م.

مجلة دراسات تاريخية

دورية علمية محكمة

مجلة دورية، علمية، محكمة، تصدر عن مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع
واتس آب: +2001008170225